

BIBLIOTHECA ISLAMICA

اقْتِدَاءُ الْغَافِلِ بِإِهْتِدَائِ الْعَاقِلِ

قُطْبُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ الْقَسْطَلَانِيِّ

حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ

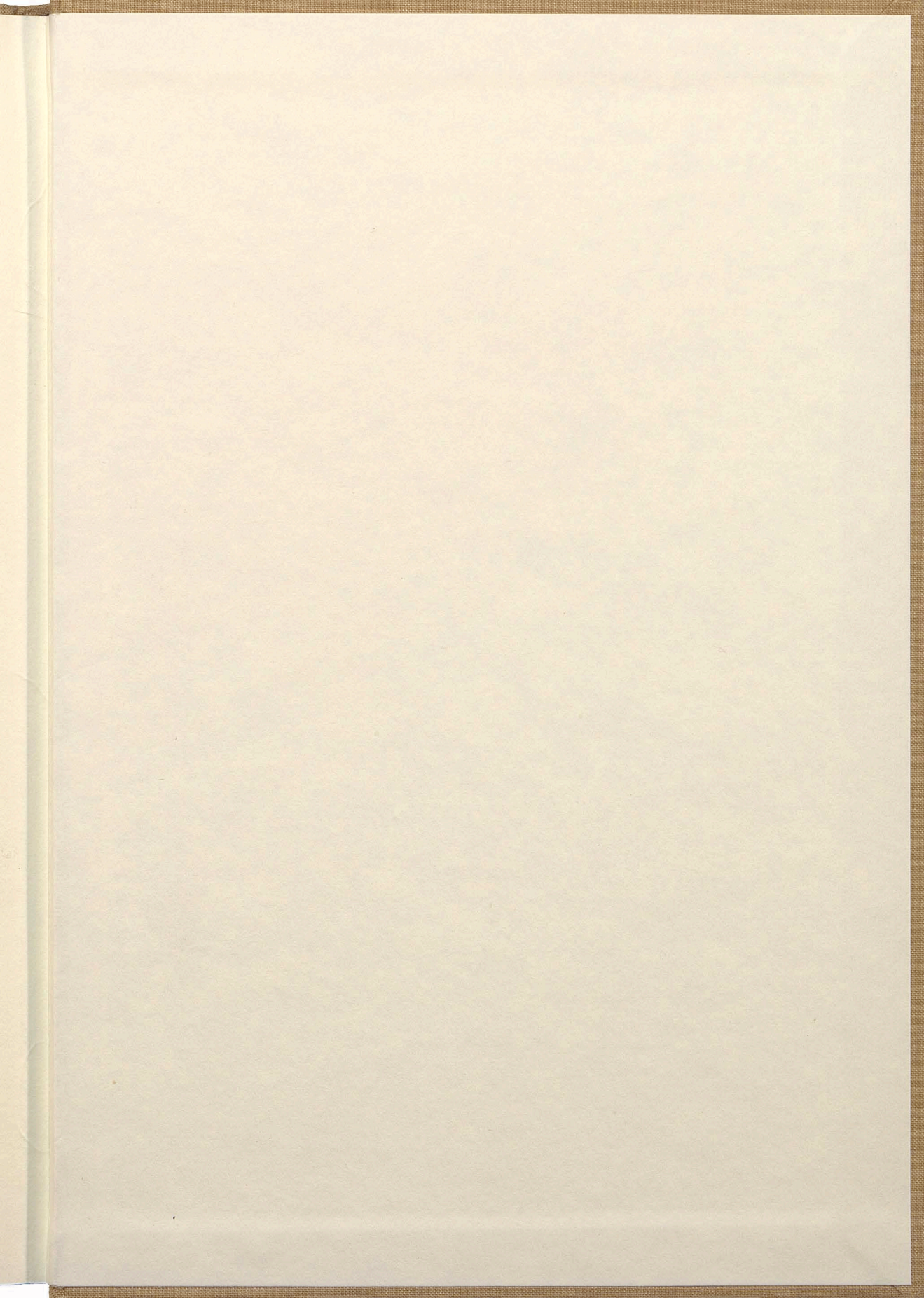
أحمد جمعة عبد الحميد

مراجعة

المعهد الألماني للأبحاث الشرقية

المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت

دار الفكارابي



اِقْتِرَاءُ الْغَافِلِ

بِاهْتِرَاءِ الْعَاقِلِ

النشأة الأولى للإسلاميين

أسسها هلموت ريتز

يُصدَرُهَا

المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت

اقتداء الغافل

بأهتداء العاقل

قطب الدين محمد بن أحمد بن علي القسطلاني

٦١٤ - ٦٨٦ هـ

١٢١٨ - ١٢٨٧ م

حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ

أحمد جمعة عبد الحميد

مُراجَعَة

المعهد الألماني للأبحاث الشرقية

بيروت ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م



توزيع
دار الفارابي

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
بيروت ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

طبع على نفقة
وزارة الثقافة والأبحاث العلمية التابعة لألمانيا الاتحادية
بإشراف المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت التابع لمؤسسة ماكس فيبر
طُبع في مطبعة درغام، بيروت-لبنان

يوزع
خارج الدول العربية: كلاوس شفارتس فيرلاغ - برلين

ISBN: 978-3-87997-698-0



في الدول العربية: دار الفارابي للنشر والتوزيع - بيروت

ISBN: 978-614-432-469-1



إهداء

إلى الصديق الذي صدّقني، إلى الأب والأخ اللذين لم أجدهما فوجدتهما فيه،
إلى الذي وثق بقدراتي فوثقتُ بها، عمّي العزيز أنور عبد الحميد أبو نمر

محتويات الكتاب

صفحة	الموضوع
١	تمهيد
٧	مقدمة: الكتاب ومؤلفه وطريقة إخراج النصّ
٧	١- الكتاب
٧	نُدرة النصّ
٨	مصادر القسطلاني
١٠	صحّة نسبة الكتاب إلى القسطلاني
١٢	وصف النُّسخ المُعتمَدة في التحقيق
١٥	٢- المؤلّف
١٥	مولده وحياته
١٦	نسبته
١٧	رحلاته في طلب العلم
١٨	مؤلّفاته
٢١	القطب القسطلاني والتصوف الإسلامي
٢١	- ملامحه الصوفية
٢٢	- روافده الصوفيّة
٢٣	- رؤية القسطلاني للصوفية
٢٣	وفاته

المحتويات

٢٤ ٣- طريقة إخراج النص
٢٦ الرموز المستخدمة في التحقيق
٢٩ نماذج من المخطوطات
١ النَّصُّ مُحَقَّقًا
٣ [توطئة]
١١ القول في المقدمة
٢٨ تقويم فيه تميم
 خاتمة لتمييم التقويم حاكمة بالفصل بين المعوج
٣٢ من القصد والمستقيم
٣٥ الطرف الأول: في العلم وبيان شرفه لصاحبه ونوعه وأدبه لطالبه
٤٢ الوصف الأول: إزالة النقص
٤٤ الوصف الثاني: إثبات الكمال النافع في المال
 الطرف الثاني: في بيان المسالك للسالك وما يتعين عليه أن يتوقى
٥٥ في طريقه من المهالك
 النوع الأول: فيما يتوجب من الوظائف على من جد في الخدمة
٥٥ وتعرض لمواهب اللطائف
 المقصد الأول: في الفرق بين اسم الصوفي والفقير وما يتمييز
٥٥ به كل واحد منهما من الشرف الخطير
 المقصد الثاني: في الحذر من الغرور وما فيه من الشرور المظلمة
٦٣ لما نار من الصدور
٦٤ الصنف الأول: العلماء
٦٤ الصنف الثاني: المتعبدون
٦٥ الصنف الثالث: المتصوفة
٦٧ الصنف الرابع: الأغنياء

٦٧ الوجه الأول: الإنفاق
٦٨ الوجه الثاني: الإمساك
٦٨ النوع الأول
٦٩ النوع الثاني
٦٩ النوع الثالث
٧٠ المقصد الثالث: فيما يصدّ عن الوصول، ويردّ العمل عن القبول
٧١ العقبة الأولى: العلم
٧١ العقبة الثانية: التوبة
٧٢ العقبة الثالثة: عقبة العوائق
٨٦ العقبة الرابعة: العوارض
٨٧ العارض الأول: تعلّق النفس بهمّ الرزق
٨٨ العارض الثاني: الانتظار لعوارض الأخطار
 العارض الثالث: ما ورد من الأقضية الغيبية فيما لا شعور به
٨٩ للنفس البشرية
 العارض الرابع: مُنازلة المصائب الصوائب ومُكابدة
٩٠ الشدائد النوائب
٩٠ العقبة الخامسة: البواعث
٩٣ العقبة السادسة: القوادح
٩٣ النوع الأول: الشرك في المقاصد والنيّات
٩٤ النوع الثاني: [الرياء]
٩٦ النوع الثالث: العُجب
٩٧ العقبة السابعة: الحمد والشكر
	النوع الثاني: في بيان شرح المقامات لأهل الإرادات وفتح
٩٩ باب الزيادات على من يرغب في الإفادات
 الفصل الأول: في حكم السالك وما يخشى عليه في
٩٩ طريقه من المهالك

المحتويات

الفصل الثاني: في بيان طرف من مصطلح القوم؛ ليطمئن

١٠٤ من تعلمه من يتحصن في سرّه عن الذمّ واللوم
١٠٥ القول في الوقت
١٠٦ القول في المقام
١٠٦ القول في الحال
١٠٨ القول في الخاطر
١٠٨ القول في الوارد
١٠٩ القول في الشاهد
١٠٩ القول في النَّفس
١١٠ القول في الروح
١١١ القول في السر
١١١ القول في النَّفس - بفتح الفاء
١١٢ القول في الغلبة

الفصل الثالث: في علم الأحوال والمقامات، وما نجني بثمرته

١١٣ الرياضات من السعادات
١١٨ فائدة وافدة بالإفادة عائدة
١٢٧ القسم الأول: المبادئ
١٢٧ الأول: الانتباه
١٢٧ الثاني: التوبة
١٢٩ الثالث: الإنابة
١٢٩ الرابع: المجاهدة
١٣١ الخامس: الورع
١٣٢ السادس: الزُّهد
١٣٣ السابع: الإرادة
١٣٦ الثامن: المراقبة
١٣٦ التاسع: الفتوة

١٣٧ العاشر: الصدق
 القسم الثاني: الوسائط،
١٣٩ وهي الحالات وما فيها على الاتصال بالله من الدلالات
١٣٩ الأول: الخشوع
١٤٠ الثاني: الخوف
١٤٣ الثالث: الرجاء
١٤٥ الرابع: التوكل
١٤٧ الخامس: الاستقامة
١٤٩ السادس: الخلق
١٥١ السابع: الذكر
١٦٢ الثامن: السماع
١٦٥ التاسع: الأنس
١٦٧ العاشر: العلم
١٦٩ القسم الثالث: النهايات
١٦٩ الأول: القرب
١٧٠ الثاني: المعرفة
١٧٨ الثالث: المكاشفة
١٨١ الرابع: المحبة
١٨٦ الخامس: الغيرة
١٨٨ السادس: المشاهدة
١٩١ السابع: القبض والبسط
١٩٣ الثامن: الفناء والبقاء
١٩٨ التاسع: التوحيد
٢٠٣ العاشر: الجمع والتفرقة
٢٠٧ القول في التتمّة: [العزلة والمعاشره، أيها أفضل؟]
٢١١ القسم الأول: في مبدأ أصلها

المحتويات

٢١٥ القسم الثاني: في ذكر فضلها
 القسم الثالث: في أدب الدخول في الأربعين، وما يتوجب المحافظة
٢١٦ عليه فيها، لمن رغبَ فيها مِنَ المتوجِّهينَ
٢٢٣ القسم الرابع: في ثمرتها وما يتجدد بعد فعلها من تركها
٢٢٩ ثبت المصادر والمراجع
٢٤١ الكشافات
٢٤١ كشاف الآيات القرآنية
٢٥٣ كشاف الأحاديث النبوية
٢٦٠ كشاف المصطلحات والمقامات والأحوال
٢٦٢ كشاف الأعلام
٢٧٠ كشاف الأشعار

مهتد

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الأولين والآخريين،
الذي حَكَمَ بالباطنِ والظاهرِ، فنالَ الوِلايَةَ قبلَ النُّبوّةِ، وعلى مَنْ نَهَجَ نَهَجَهُ،
وتربّى على هُدْيِهِ، مِنْ صحابَتِهِ وتابعيهِمْ، وَمَنْ تبعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ.

وبعد

فإنَّ المحدثَ والفقيهَ قُطِبَ الدينِ القسطلانيّ يُعدُّ مِنْ أبرزِ علماءِ الصوفيّةِ
المجربينِ العاملينِ، ومن أقطابِهِم المعروفينِ، فقد كتبَ في التصوّفِ كغيرِهِ مِنْ
علماءِ الطائفةِ، ولا غرابةَ في الجمعِ بينَ التجربةِ والتأليفِ، فلا يكتُبُ في التصوّفِ
إلا مَنْ عاشَ تجربةً عبّرتَ عن حالِهِ، ومارسَ رياضةً نفّسَ فيها عمّا في وجدانه،
فقد ذاقَ مذاقَ القومِ، وَمَنْ ذاقَ عَرَفَ.

ولكنّ مِنَ المؤسِّفِ أنّ لا يُنشرَ لقطبِ الدينِ القسطلانيّ أيُّ عملٍ مِنْ أعمالِهِ
في التصوّفِ الإسلاميّ^(١)، والمؤسِّفُ أكثرُ أنّ ما كتبه في التصوّفِ هو ما بين
المجهولِ والمفقودِ.

(١) حقّق الأستاذ الدكتور: حبيب الله حسن أحمد ثلاث رسائل للقطب القسطلاني وأطلعتُ عليها
مؤخراً؛ نظراً لعدم نشرها. رسالتان منها طُبعتا مع بحثه الموسوم بـ: «جهود القطب القسطلاني
في رسم الطريق إلى الله». الأولى: «تحفة المفيد والمفاد في صفة المريد والمراد»، والثانية: «شعار
الإظهار في منازل المقرّبين والأبرار». أمّا الثالثة فطُبعت ضمن بحثه الموسوم بـ: «الدعوى والشطح
عند الصوفيّة»، وهي رسالة في المنع منها بعنوان: «نصيحة صريحة من قريحة صحيحة في المنع من
الدعوى والشطح، وما يتعلّق بهما من الذم والمدح». وقد عانى ما عانيتُ، من قلة المعرفة بهذه
النصوص، وعدم ذكرها في كتب البليوغرافيا والتراجم، وقد أحسن الرجل فيما كتب.

تمهيد

- فقد أُلّف القسطلانيّ هذا النصّ: «اقتداء الغافل باهتداء العاقل»، وقد عدّدته
مما جُهل عنّا، وذلك لأسبابٍ سوف أشرحها في الدراسة، وأُلّف: «الارتباط»
وهو ما لم نعرف عنه إلاّ عنوانه وموضوعه، فقد ذكره السخاوي في «القول
المنبي» صراحةً، وذكره غيره تعريضاً، وهذا أيضاً تناولته في الدراسة^(١).
والذين جاؤوا بعد القسطلانيّ لم يعتمدوا عليه، لأسبابٍ لم أقف عليها،
وذلك باستثناء الجلال السيوطيّ، الواسع الإطلاع، الكثير المعرفة بالمطّان،
وهو الذي كان سبباً في معرفتي بهذا النصّ (اقتداء الغافل) عندما كنتُ أقوم
بتحقيق رسالته «تأييد الحقيقة العليّة وتشديد الطريقة الشاذليّة» ضمن مشروع
«الأعمال الكاملة للسيوطي في التصوّف الإسلامي»، والذي يتولّى نشره المعهد
العلميّ الفرنسيّ للآثار الشريّة بالقاهرة، وصدرت هذه الرسالة بالقسم الأول
رقم ٤٧ لسنة ٢٠١١م، والمرتضى الزبيدي في كتابه: «إتحاف السادة المتّقين في
شرح إحياء علوم الدين». وسيأتي الحديث عنها.

- ويُعدّ هذا الكتاب «اقتداء الغافل» من أقدم وأهمّ الكُتب في موضوع التّقدي
الدائيّ عند الصوّفيّة، فقد أخذ بعضُ مُصلحيهم على عاتقهم نقدَ المذهب
وتأصيله وتقعيده، وبيان الأصيل من الدّخيل فيه، وقد عرّف مؤلّفه بالإنكار
على مُدّعيّ التصوّف، والتصديّ لهم، فهو المحدثُ والفقيه والصّوفي، الذي
أخذ التصوّف عن أربابه العُدول المتشرّعين والمتسنّين، فاشتهر بمؤلّفاته المليئة
بالتشهير بالأدعياء منهم.

(١) انظر فيما سيأتي ص ١٩.

والكتاب يُوحى من خلال عنوانه أنه مبادرة منه لإصلاح حال المتصوّفة، أو التحذير منهم، وحثّهم على الإقتداء بأسلافهم من أعلام التّصوّف الذين جعلوا التشرّع منهاجاً لهم. ٣

وهذه القضية (نقد المتصوّفة والمتفلسفين منهم) اهتمّ بها كثيرٌ من المصنّفين، كان أقدمهم - كما ذكرَ السخاويّ في المصدر السابق - القطب القسطلانيّ المتوفّى سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٨م^(١)، ويأتي بعده عماد الدين الواسطيّ المتوفّى سنة ٧١١هـ/١٣١١-١٣١٢م^(٢)، وابن تيميّة المتوفّى سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م^(٣)، وسيف الدين السعودي المتوفّى سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥-١٣٣٦م^(٤)، وتقي الدين الشبكي المتوفّى سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م^(٥)، وسراج الدين البلقيني المتوفّى سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢- ٩

(١) له: «اقتداء الغافل باهتداء العاقل» هذا، و«نصيحة صريحة من قريحة صحيحة»، و«الارتباط»، و«تكريم المعيشة بتحريم الحشيشة»، و«تتميم التكريم لما في الحشيشة من التحريم»، وهما في الردّ على المتصوّفة في تحليل شربها، و«ارتفاع الرتبة باللباس والصّحبة»، و«يقظة الاعتبار في موعظة أهل الاغترار»، و«تحفة المفيد والمفاد في صفة المرید والمراد»، و«شعار الإظهار في منازل المقرّبين والأبرار»، و«ورد الرائد في ورد الوالد». وانظر مؤلفاته فيما سيأتي.

(٢) له: «باشورة النصوص في هتك أستار الفصوص»، في مناقشة ابن عربي حول كتابه «فصوص الحکم»، نشره عدنان أبو زيد، بيروت، دار النوادر، «البيان المفيد في الفرق بين الإلحاد والتوحيد».

(٣) له على سبيل المثال: «أهل الصّفة وأباطيل بعض المتصوّفة فيهم وفي الأولياء وأصنافهم والدعاوى»، و«إبطال وحدة الوجود والردّ على القائلين بها» نشرهما محمد رشيد رضا، و«بغية المرتاد في الردّ على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد، من القائلين بالحلول والاتحاد»، نشره موسى بن سليمان الدويش، «الحجج الثقيلة والعقلية فيما ينافي الإسلام من بدع الجهمية والصوفية».

(٤) له: «الردّ على بعض ما جاء في فصوص الحکم لابن عربي»، و«الغيث العارض في معارضة ابن الفارض». انظر: الأعلام، ٥٩: ٤.

(٥) له: «المعجم المخرّج» وقد اعتمد عليه السبوطي في رسالته «تأييد الحقيقة العلية وتشبيد الطريقة الشاذلية» كما أنّ له قصيدة، جواباً عن سؤال وردّ عليه في السماع: أيّها أحلّ؟ هوأم الغيبة؟ أوردتها التاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرى. انظر: طبقات الشافعية، ١٠: ١٨٢، والأعمال الكاملة للسبوطي في التّصوّف الإسلامي، ١٠٨.

تمهيد

- ١٤٠٣م^(١)، وشمس الدين الزبيريّ العيزريّ المتوفّي سنة ٨٠٨/١٤٠٥-١٤٠٦م^(٢)،
وابن نور الدين البيانيّ الخطيب المتوفّي سنة ٨٢٥/١٤٢٢م^(٣)، وتقيّ الدّين
٣ الفاسي المالكي المتوفّي سنة ٨٣٢/١٤٢٨-١٤٢٩م^(٤)، وشرف الدين ابن المقرئ
الشافعي المتوفّي سنة ٨٣٧/١٤٣٣-١٤٣٤م^(٥)، والعلاء البخاريّ الحنفي المتوفّي
سنة ٨٤١/١٤٣٧-١٤٣٨م^(٦)، والأهدل الشّافعي المتوفّي سنة ٨٥٥/١٤٥١-
١٤٥٢م^(٧)، والعماد الكازروني المتوفّي سنة ٨٦٠/١٤٥٥-١٤٥٦م^(٨). فضلاً عن
٦ السّخاوي المتوفّي سنة ٩٠٢/١٤٩٧م^(٩)، وجلال الدين السيوطي المتوفّي سنة
٩١١/١٥٠٥م^(١٠).

(١) له آراء في ابن عربي، وقال بتكفيره، نقل ذلك عنه ابن حجر العسقلاني. انظر: لسان الميزان، ٣١٨:٤.

(٢) له: «أسنى المقاصد في القواعد». انظر: الضوء اللامع، ٢١٨:٩.

(٣) له: «كشف الظلمة عن هذه الأمة». انظر: الضوء اللامع، ٢٢٣:٨.

(٤) له: «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» ضمّنه جزءاً خاصاً في عقيدة ابن عربي وحياته وما قاله المؤرّخون والعلماء فيه، وله أيضاً «تحذير النبيه والغبي من الافتتان بابن عربي». انظر: شذرات الذهب، ١٩٩:٧.

(٥) له: «الصبحة»، «الذريعة لأنصار الشريعة»، «الحجّة الدامغة لرجال الفصوص الزائغة». انظر: الضوء اللامع، ٢٩٢:٢.

(٦) له: «فاضحة المُلحدّين وناصحة الموحّدين». انظر: شذرات الذهب، ٢٤١:٧.

(٧) له: «كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحّدين». انظر: كشف الظنون، ١٤٩١:٢-١٤٩٢.

(٨) له: «حجّة السّفرة البرّة على المُبتدعة الفجّرة». انظر: شذرات الذهب، ٢٩٧:٧.

(٩) له: «القول المُنبّي في ترجمة ابن العربي»، جمع كلام النّقاد فيه وفي طريقته الفلسفيّة، وما قيل في كُتبه واعتقاده. رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة أمّ القرى، للباحث خالد بن العربي مُدرّك.

(١٠) له رسالة مهمّة في نقد منهج التّصوّف والمتصوّفة، اسمها: «تأييد الحقيقة العليّة وتشبيد الطريقة الشاذليّة»، اعتمد على القطب القسطلاني اعتباراً كبيراً، وقد حقّقَتْ هذه الرسالة ضمن الجزء الأول من مشروع الأعمال الكاملة للسيوطي في التّصوّف الإسلامي، نشر المعهد الفرنسي للأثار الشرقيّة بالقاهرة، اعتمدتُ عليها كثيراً في ضبط نصّ هذا الكتاب. إلا أنّ له في التّصوّف كتاباتٍ قد يُنتقد بسببها ممّن لا يهوّون التّصوّف ولا يعتقدونه، بعضها صدر في الجزء الأول من المشروع السابق الذّكر، ومنها ما سيصدر إن شاء الله في الجزأين الآتيين.

وكما نقدَ القسطلاني أوضاعَ المتصوفة في عصره نقدًا لاذعًا، فقد كان لزامًا عليه أن يتحدث عن الأمُودج الأمثل لما يجب أن يكون عليه الصوفي الحقيقي الكامل، فيقول: «فإذا تبين وصِفُ هؤلاء للعاقل تعين عليه أن يعلمَ وصِفَ حال الرجل الكامل، وهو الرجلُ الذي فُوتِحَ قلبه بإقبالِ الإنابة، فدخل من باب التوبة إلى الإجابة، ثم جاهدَ نفسه في خلوته وعزلة بالإنفراد، ثم صاحبَ التقوى والورعَ والزهدَ في سيره، ثم ترقى إلى المقامات والأحوال، ثم إلى مقام المعرفة، ثم عملَ على تركِ مُراداته، واجتنابِ الملاحظة لحظوظه، فصار عبدًا حقًا، آثر الله على ما سواه في سيره ونجواه، ولم يعتمد في أمره شيئًا من هَواه ... إلخ»^(١).

ويمتاز هذا العمل بأنه خصَّص جزءًا منه للحديث عن المصطلح الصوفي، كما فعل سابقوه، أمثال سراج الدين الطوسي المتوفى سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨-٩٨٩م في كتاب: «اللُّمع»، فقال: «فافتقرت هذه الطائفة إلى مصطلح تُعبَّرُ به عن معلومها في مقاصدها، وتُخبرُ به عن مصادرها في معارفها ومواردها، حتى يقع الفرق بين من انتمى إليها، وتخلَّق بأخلاقها، وتأدَّب بطريقها، ومارَس علومها، وبين من كان خَلِيًّا منها، مُعرِّضًا عنها، آخذًا في غير منهجها، أو مُعاشرًا لها قد تزيًا بزيتها، ولم تَسْمُ هِمَّتُه إلى طلبِ علمها وفهمِ مصطلحها، فظنَّ من رآه أنه من علمائها»^(٢).

كما يمتاز أيضًا بأنه اعتمد فيما كَتَبَ عن الأحوال والمقامات على نصوص لم تصل إلينا، ككتاب أبي عبد الرحمن السُّلمي المعروف بـ«مقامات الأولياء»، وكتاب «المقالات في المقامات» لأبي بكر محمد بن علي الغازي المُطوعي.

وفيا يلي الحديث عن الكتاب، ومصادره، وما وصل إلينا منها وما لم يصل، ثم الحديث عن المؤلف وحياته ومصنَّفاته، وطريقتي في إخراج النص.

(١) انظر: جهود القطب القسطلاني في رسم الطريق إلى الله، ٤٨؛ وفيا سيأتي ص ٥٣.

(٢) انظر فيا سيأتي ص ١٣٤.

مقدمة: الكتاب ومؤلفه وطريقة إخراج النصّ

١ - الكتاب

٣ نُدْرَة النصّ

- لم تستطع كتب البليوغرافيا مدّنا بكلّ أسماء المصنّفات في تراث الحضارة الإسلامية، وبسبب ذلك فقدنا الكثير من المعلومات عن مصادر قد تكون موجودة في مكتباتنا غير المفهرسة، وقد تجمّع عاملان على التعيم على هذه النصوص، أولهما: عدم ذكرها في الكتب المتخصّصة، وثانيهما: عدم وجود فهرس مطبوعة للمكتبات المحفوظة فيها هذه المصنّفات.
- ٩ ومن هذه المصادر هذا المصدر الذي نُقدّمه مُحقّقًا، حتّى وصفته بأنّه من الآثار المجهولة لقطب الدين القسطلاني في تصوّف الإسلام، ويُعزى هذا الجهل إلى الأسباب الآتية:
- ١٢ ١ - عدم ذكر هذا العنوان في كُتب التراجم التي ترجمت لصاحبه، باستثناء كتاب «الأعلام» للزركلي^(١)، الذي ذكر المؤلف مع عدم ذكره في المصادر التي اعتمد عليها في ترجمة المؤلف. كما لم تذكره كتب البليوغرافيا كإضافة، ولا فهرس المخطوطات، ولا كارل بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي».
- ١٨ ٢ - قلة من اعتمد عليه من كُتب في تصوّف بعد القسطلاني؛ فلم يعتمد على الكتاب - كما سنذكر بعد - إنّ شاء الله - إلا المرتضى الزبيدي في كتابه: «إتحاف السادة المتّقين» وفي بعض المواضع فقط، وجمال الدين السيوطي في كتابه: «تأييد الحقيقة العليّة وتشبيد الطريقة الشاذليّة».

(١) انظر فيما سيأتي ص ١٨.

الكتاب ومؤلفه وطريقة إخراج النصّ

- ٣ - عدم قيام أيّة دراسات على هذا المؤلّف ولا عن نسخته، لا في الغرب ولا في الشرق، حتى في سؤالي عن معلوماتٍ - تخصّ النصّ - لبعض المستشرقين المهتمّين بالتصوف الإسلاميّ أمثال: الأستاذ الدكتور جوزيبي سكاتولين، والأستاذ الدكتور ديني جريل، والأستاذ الدكتور ميشيل شودكفيتش Michel Chodkiewicz، فلم تتوفّر أيّة معلومات لديهم، لا عن النصّ ولا عن نسخته.

مصادر القسطلاني

- لم يذكر القسطلاني المصادر التي اعتمد عليها في كتابه صراحةً، وإن كان قد ذكّر بعض المصادر لمصنّفين سابقين عليه في موضعين:

- الأول: عندما ذكّر سبب عدم ذكر الأسانيد في كتابه قال إنّه اكتفى بذكر من سبقوه لهذه الأسانيد، مثل: أبي نصر عبد الله بن محمّد السراج في كتاب: «اللّمع»، وأبي عبد الرحمن محمّد بن الحسين السلمي في كتابه المفقود: «مقامات الأولياء»، وأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري في كتاب «الرسالة»، وأبي بكر محمّد بن علي الغازي المطوّعيّ في كتابه المفقود: «المقالات في المقامات».
- الثاني: عند حديثه عن ألف في علوم القوم وذكر آدابهم وأحوالهم ومقاماتهم قال: «وقد صنّف أئمّة هذه الطائفة في علومهم وآدابهم كتبًا كثيرة، كالحارث ابن أسد المحاسبيّ، وعمرو بن عثمان المكيّ، وأبي عبد الرحمن السلميّ، وأبي القاسم القشيريّ. وصنّف الشيخ أبو عبد الرحمن السلميّ مصنّفًا في آدابهم، وكذلك شيخ شيخنا ضياء الدين أبو النّجيب الشّهردديّ، وغيرهما. فمنّ تطلع إلى علم ذلك طلبه من مظانّه».
- ولكنّ بعد ذلك يكشفُ صراحةً عن تلخيصه لبعض المصنّفات السابقة عليه، منها ما وصل إلينا ومنها ما لم يصل، ولم تتحدّث عنه كتب البليوغرافيا، فقال: «وقد تقدّم الشيخ أبو عبد الرحمن السلميّ، وقبله الحكيم الترمذيّ،

الكتاب ومؤلفه وطريقة إخراج النصّ

وبعدَه الأستاذ أبو القاسم القشيري، وقبله أبو نصر السراج، وغيرهم،
وأبو محمّد إسماعيل بن إبراهيم بن محمّد بن عبد الرحمن الهرويّ الفقيه
المقرئ، له كتاب: «درجات التائبين ومقامات القاصدين»، وأبو إسماعيل
عبد الله بن محمّد الهرويّ، له: «مقامات الراغبين إلى منازل السائرين»، وحدًا
كلّ واحدٍ منها حدوًا حسنًا. إلّا أنّ «مقامات الراغبين» أحسنُ ترتيبًا وأكثر
تهذيبًا. ونحن نختصر ما يتنفعُ به من يرغبُ إلى الإقتداء بالإهداء، ويرهبُ من
الإعتداء في الإبتداء والانتهاه.

المصادر الواردة في النصّ إمّا مجهولة لا نعرفُ عنها أيّة معلوماتٍ، أو نعرفُ
عنها بعض المعلومات، ولكنها فُقدت ولم تصل إلينا. مثال الأوّل: النصّ الذي
ذكره لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي «مقامات الراغبين إلى منازل
السائرين» وشدّد عليه بقوله: «إلّا أنّ مقامات الراغبين أحسنُ ترتيبًا وأكثرُ
تهذيبًا»، وهذا الكلام - بالطبع - لا ينطبقُ على الرسالة المشهورة المسماة
بـ«منازل السائرين»؛ لأسباب:

١ - أنّ رسالة «منازل السائرين» ليس لها إلّا هذا الاسم، ولم يذكر الذين
اعتنوا بها - تحقيقًا ونشرًا - أنّ لها اسمًا آخر.
٢ - أثناء مقابلي للنصوص الواردة في النصّ بُعِثَ توثيقها، لم يتطابق أيّ نصّ
مع رسالة «منازل السائرين».

٣ - لم تذكر كتب البليوغرافيا ولا كتب التراجم هذا العنوان مطلقًا. إذن هو
كتابٌ آخر مجهول عنّا وليس «منازل السائرين» الموجود بين أيدينا.

ثمّ ذكرَ كتابًا آخرَ لأبي محمّد إسماعيل بن إبراهيم بن محمّد بن عبد الرحمن
الهرويّ الفقيه المقرئ، يسمّى: «درجات التائبين ومقامات القاصدين»، ولم
يُعرف للهروي كتابٌ بهذا العنوان، ولم تتحدّث عنه كتب البليوغرافيا ولا كتب
التراجم، وإنّما الذي ذكر فيما سبق هو: «درجات التائبين ومقامات الصديقين»،

الكتاب ومؤلفه وطريقة إخراج النصّ

- لأبي محمّد إسماعيل بن أحمد بن الفرات السرخسيّ الشافعيّ المتوفى سنة ٤١٤هـ،
ولذا صحّحت ذلك في المتن، وعدّدته خلطاً وانتقالاً نظراً من الناسخ.
٣ ثم تحدّث عن أهم مصدرٍ كتّب عن المقامات وهو «مقامات الأولياء» لأبي
عبد الرحمن السلميّ، وهو من المصادر المفقودة التي لم تصل إلينا.
وذكر مصنّفين ولم يُحدّد مصنّفاتهم، كالحكيم الترمذيّ، واعتمد كثيراً
٦ على «الرسالة القشيرية» للقشيري، و«عوارف المعارف» للشهرزورديّ.

صحّة نسبة الكتاب إلى القسطلاني

- بعد الحديث عن ندرة هذا النصّ وعدم ذكر هذا العنوان في كتب التراجم
والبليوغرافيا وفهارس المخطوطات، يبقى الشكُّ في النسبة إلى القسطلانيّ،
٩ فأقول: إنّ نسبته إلى القسطلانيّ سليمةٌ ومؤكّدة من عدّة جوانب:
١ - روايته عن أبيه في أكثر من موضع قائلاً: «فقد سمعتُ بمكّة المشرفّة
والديّ أبا العباس أحمد بن عليّ القسطلانيّ يقول: سمعتُ الشيخ أبا عبد الله
١٢ القرشيّ يقول: لو لم ألق من المشايخ من رأيتُ، لتوهّمت أن الطريق ما عليه
الناس اليوم»^(١).
١٥ وقال في موضع آخر: «كما أنشدني والدي أبو العباس أحمد بن عليّ القسطلاني
بمكّة المشرفّة لبعضهم:

ولست براءً عيبَ ذي الوُدِّ كُلِّه ولا بعضَ ما فيه إذا كنتَ راضياً

- ١٨ فعينُ الرّضى عن كلِّ عيبٍ كليلَةٌ ولكنَّ عَيْنَ الشُّخْطِ تُبدي المَساويا»^(٢)

وقال في آخر: «وأنشدني والدي أحمد بن عليّ، رحمه الله، بمكّة المشرفّة

لبعضهم:

(١) انظر فيما سيأتي ص ٣٦.

(٢) انظر فيما سيأتي ص ١٠٤.

الكتاب ومؤلفه وطريقة إخراج النصّ

وأنتَ إذا أرسلتَ طَرْفَكَ رائداً لقلبِكَ يوماً أعقبَتِكَ المناظرُ
رأيتَ الذي لا كلَّهُ أنتَ قادرٌ عليه، ولا عن بعضه أنتَ صابرٌ^(١)

٣ - ٢ - ذِكْرُ السيوطي له في رسالته «تأييد الحقيقة العليّة وتشديد الطريقة الشاذليّة»، حيث قال: «وقال الشيخ قُطْبُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ القسطلاني، رحمه الله، أحدُ أئمّة الشافعيّة، وأحدُ أئمّة الحديث، وأحدُ أئمّة التصوّف، أخذ عن الشُّهْرَوْرْدِيِّ، واجتمع بالشاذليّ، وترجمه الإسنوي في «الطبقات»^(٢)، فقال: كان مُمّنَ جَمَعَ العِلْمَ والعمل والهيبة والورع والكرم. وطُلبَ من مكّة، وفُوِّضت له مشيخةُ دار الحديث الكاملية بالقاهرة، إلى أن مات بها في محرّم سنة ٦٨٦هـ، في كتاب له في التصوّف، سمّاه «اقتداء الغافلِ باهتداء العاقل» ما مُلَخَّصه ...»^(٣).

٣ - ذِكْرُ الزَّبيدي له في كتابه الذي شرح فيه «إحياء علوم الدين» للغزالي واسمه: «إتحاف السادة المتقين»، حيث قال: «قال القطب القسطلاني في كتابه «اقتداء الغافلِ باهتداء العاقل»: «وطلبُ العِلْمِ من أعظمِ الحِجَابِ. وما ذكروه فهو كلمةٌ حقٌّ أريدَ بها باطلٌ، وصفةٌ نقصٍ تحلّى بها مَنْ هو عن الكمالِ عاطلٌ...»^(٤).

(١) انظر فيما سيأتي ص ١٠٨.

(٢) انظر: طبقات الشافعية، ٢: ١٦٥.

(٣) انظر: الأعمال الكاملة للسيوطي في التصوّف الإسلامي، ٦٧؛ وحسن المحاضرة، ١: ٤١٩.

(٤) انظر: إتحاف السادة المتقين، ١: ٢٥١.

الكتاب ومؤلفه وطريقة إخراج النصّ

وصف النسخ المعتمدة في التحقيق

١- نسخة الأصل

- ٣ محفوظة بمكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق، كُتبت في حياة المؤلف، في السادس من ذي الحجة سنة ٦٨٢هـ/ الخامس والعشرين من فبراير ١٢٨٤م، أي قبل وفاة القسطلاني بأربع سنوات، وذلك كما جاء في حُرْدِ مَنِّهَا:
- ٦ «وَأَفَقَّ الْفِرَاعُ مِنْ نَسْخِهِ صُبْحَ الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَادِسِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِئَةِ».

- يبلغ عدد أوراقها ١٤٧ ورقة، كُتبت بخطّ نسخ، على يد محمد بن قيباز ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن رضوان الشافعي السعودي، وتبلغ مسطرتها ٩ ١٥ سطرًا، جاء على ظهرتها «كتاب اقتداء الغافل باهداء العاقل في التصوّف، تصنيف الشيخ الإمام المتقن الحافظ [قطب] الدين، ثقة الناقلين، قدوة العارفين، منهج السالكين، مُفتي الفِرَق، محلّ المشكلات، مفتي المسلمين، قطب الدين أبي بكر محمد ابن الشيخ الإمام العالم العلامة الفاضل أبي العباس أحمد بن علي ابن محمد بن الحسن القسطلاني، أعاد الله على المسلمين من بركاته، ونفع بصالح أدعيته في خلواته».
- ١٢ ١٥

ويأتي بعد مصدر معلومات المخطوط السابقة مُقَيَّدَةٌ فيها ترجمة المؤلف مأخوذة من كتاب «العبر في خبر من عَبر» للذهبي:

- ١٨ وُلِدَ الْمَصْنُفُ بِمِصْرَ سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَسِتِّ مِئَةِ، وَسَمِعَ بِهَا الْحَدِيثَ مِنْ جَمَاعَةٍ، وَتَفَقَّهُ وَأَقْتَى، ثُمَّ رَحَلَ سَنَةَ تِسْعِ وَأَرْبَعِينَ، فَسَمِعَ بِالشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ وَبِغَدَادٍ، وَاسْتَقَرَّ بِهَا، وَكَانَ مَمَّنْ جَمَعَ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ، وَالْهَيْبَةَ وَالْوَرَعَ وَالْكَرَمَ، فَطُلِبَ مِنْ مَكَّةَ، وَفُؤِضَتْ لَهُ مَشِيخَةُ دَارِ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَةِ بِالْقَاهِرَةِ إِلَى أَنْ تُوَفِّيَ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ سِتِّ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِئَةِ. كُلَّهُ فِي «العبر».
- ٢١

الكتاب ومؤلفه وطريقة إخراج النصّ

ومن شعره:

إذا طاب أصلُ المرء طابت فُروعُه ومن غلَطِ جاءت يدُ الشُّوكِ بالوردِ
وقد يَحْبُثُ الفرعُ الذي طاب أصلُه ليظهر صنعُ الله في العكسِ والطَّرْدِ ٣

وهذه النسخة فيها استدراكاتٌ كثيرة على هوامشها، منها استدراكاتٌ من «سَقَطِ» كُتِبَ عليه «صح»، واستدراكاتٌ من «ضَرْبِ» كُتِبَ عليه «بيان»، كما جاء في هامش الصفحة ١٣، و٨٧ظ:

٦ كما أنها مُطالعةٌ ومُقابلةٌ على مخطوطٍ آخر، وكُتبت إشاراتٌ لذلك على هوامشها، كما جاء في ٧٦، و٨٢:

٩ كما وُجِدَ عليها بعض التملُّكات غير المقرّوة والمطموسة، ممّا أفقدنا معلومات عن رحلة المخطوط وانتقالاته حتى وصل إلى مكانه الحالي، ونظرًا لاعتقادنا على مصوِّرة؛ لم نستطع تقديم وصف كوديكولوجي كامل لها.

١٢ ٢ - نسخة مكتبة عاطف أفندي باستنبول رقم ١٣٨٣

نسخة ضمن مجموع، به رسالتان للمؤلف، الثانية بعنوان «الأدوية الشّافية في الأدعية الكافية»، كُتبت هذه النسخة سنة ٨٩٨هـ كما جاء في حَرْدِ متنها: ١٥ «تمّ جميعُ الكتاب بحمد الله وحسن عونه وتأييده وتوفيقه على يد العبد الفقير إلى الله، الرّاجي فضل مولاه، محمود بن محمد بن محمود النّقّاطي، رحم الله السّلف، وثنى بالبركة على الخلف، وذلك بتاريخ أواسط شوال يوم السّبت من عام ثمانية وتسعين وثمان مئة».

١٨ يبلغ عدد أوراقها ٤٩ ورقة، كُتبت بخط مغربي حسن، بالمداد الأسود، تبلغ مسطرتها ٢٥ سطرًا، بها خرّم مقدار ورقة وجهها وظهراً، ورمزت لها بالرمز (ع).

الكتاب ومؤلفه وطريقة إخراج النصّ

٣- نسخة جامعة استنبول رقم ١٣٩٥ A

كُتِبَتْ سنة ١١٢٤هـ، كما جاء في حَرَدٍ مَنَّهَا: «نُجَزَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ فِي أَوَاحِرِ مِنْ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ ... سنة ١١٢٤».

٣

يبلغ عدد أوراقها ٨٢ ورقة، كُتِبَتْ بِخَطِ نَسَخٍ بِالْمِدَادِ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ، عَلَى يَدِ شَخْصٍ يُسَمَّى أَحْمَدَ بْنِ عَثْمَانَ، تَبْلُغُ مَسْطَرَّتَهَا ١٩ سَطْرًا، جَاءَ عَلَى ظَهْرِيَّتِهَا:

٦

«كُتِبَ اقْتِدَاءَ الْغَافِلِ بِاهْتِدَاءِ الْعَاقِلِ لِلشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْإِمَامِ الْعَامِلِ الْعَلَّامَةِ بَقِيَّةِ السَّلَفِ، عُمْدَةِ الْخَلْفِ قُطْبِ الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْإِمَامِ الْعَارِفِ بَقِيَّةِ الْمَشَائِخِ كِهَالِ الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ الْقَسْطَلَانِيِّ، تَعَمَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ».

٩

ويأتي بعد هذا العنوان خاتم جامعة استنبول، وعلى وجه الورقة الأولى بيتٌ مِنْ الشُّعْرِ نَصُّهُ:

١٢ لَا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِذْ كَانَتْ مَدْبِرَةً إِلَّا التَّنْقُلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

بِهَا نِظَامٌ تَعْقِيبِيٌّ، وَلَا يُوْجَدُ عَلَى ظَهْرِيَّتِهَا أَوْ فِي غَاشِيَّتِهَا مَا يَفِيدُ قِرَاءَتَهَا أَوْ مِطَالَعَتَهَا عَلَى أَحَدٍ أَوْ مِنْ أَحَدٍ، وَرَمَزَتْ لَهَا بِالرَّمْزِ (س).

٢ - المؤلّف

مولده وحياته

- ٣ هو محمّد بن أحمد بن علي بن محمّد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن الميمون القيسي التّوزري، الشّيخ قطب الدّين ابن القسطلاني، الفقيه المحدث، الأديب الصّوفي، العابد.
- ٦ وُلِدَ في ذي الحجّة سنة أربع عشرة وسِتّ مئة. وسمع من والده، ومن الشّيخ شهاب الدين الشّهروزي، وليسَ منه خرقة التّصوف، وسمع الكثير بمصر ودمشق من أصحاب السّلفي، وأصحاب ابن عساكر، وبيّغداد من جماعة^(١).
- ٩ وُلِدَ بمصر ونشأ بمكة^(٢) وسمع بها «جامع الترمذي» من أبي الحسن بن البّناء، وسمع من أبي القاسم الشّهروزيّ كتاب «عوارف المعارف»، وسمع من الحسن ابن الزُّبيديّ وجماعة^(٣).
- ١٢ وقرأ العِلْمَ ودرّس وأفتى، ورحل في طلب الحديث سنة تسع وأربعين، فسمع من: محمد بن نصر ابن الحصري، ويحيى بن القميرة، وإبراهيم بن أبي بكر الزعبي، وطائفة كبيرة بيّغداد والشّام ومصر والموصل. واستجاز حينئذٍ لأولاده السّبعة: محمّد والحسن وأحمد ومريم ورقيّة وفاطمة وعائشة. وأسمع بعضهم^(٤).

(١) انظر: طبقات الشافعية، ٤٤:٨ ولحظ الأُلْحَاط، ٧٦.

(٢) قال القاسي: إنّه وُلِدَ بمصر وحُيِّلَ في موسم سنة تسع عشرة إلى مكة، فنشأ بها. انظر: العقد الثمين، ٣٢١:١؛ والنجوم الزاهرة، ٧:٣٧٣.

(٣) انظر: تاريخ الإسلام، ١٥:٥٧٨؛ ولحظ الأُلْحَاط، ٧٦؛ والعقد الثمين، ١:٣٢١.

(٤) انظر: لحظ الأُلْحَاط، ٧٦؛ والعقد الثمين، ١:٣٢١.

الكتاب ومؤلفه وطريقة إخراج النصّ

كان شيخاً عالمًا، عاملاً، زاهداً، عابداً، نبيلًا، جليلاً، مهيبًا، جامعًا للفضائل، كريم النفس، كثير الإيثار، حسن الأخلاق، قليل المثل. طُلب من مكة إلى القاهرة فولّي مشيخةً الكاملة إلى أن مات^(١).

٣

قال فيه الأديب ناصر الدين أبو علي شاور طرخان، المعروف بابن النقيب:

استوحشتُ مكةً من قُطبها واستأنستُ مصرُ به الديار

٦

شيخُ شيوخِ الحرمِ المقتدى برأيه عند الأمور الكبار

فيا له قطبٌ مدارُ العُلا عليه، والقطبُ عليه المدار^(٢)

وقال عنه اليونيني: «كان له صيتٌ حسن، وتوجّه وانقطع إلى الله تعالى ...

٩

وكان من مشايخ العصر المشهورين بسعة العلم»^(٣).

وقال عنه ابن سعيد الأندلسي: «اجتمعتُ به في داره بالفسطاط، وهو

مشهورٌ بالزهد، مُلازمٌ للمجاورة بمكة، فقيهٌ متميزٌ، مُدرّسٌ كآبيه، وبيته

١٢

لطيفُ الشائل، غزيرُ المروءة، مُعينٌ لمن يردُّ على مكة من المغاربة بجاهه وماله»^(٤).

نسبته

يُنسب القسطلاني إلى «قُسْطَلِينَة»، بضمّ القاف وتخفيف اللام، وبعضهم

١٥

ضبط: «قَسْطَلِينَة»، بفتح القاف وتشديد اللام المكسورة، من إقليم إفريقيا

بالمغرب^(٥).

(١) انظر: تاريخ الإسلام، ٥٧٨: ١٥؛ وفوات الوفيات، ٣: ٣١١؛ ولحظ الألاحظ، ٧٧.

(٢) انظر: العقد الثمين، ١: ٣٢١.

(٣) انظر: ذيل مرآة الزمان، ٤: ٣٣٠.

(٤) انظر: المُعرب في حلي المغرب - القسم الخاص بمصر، ٢٦٩.

(٥) انظر: الديباج المذهب، ١: ٢٤٠؛ والرسالة المستطرفة، ١٢٣.

الكتاب ومؤلفه وطريقة إخراج النصّ

قال ابن رُشيد في رحلته: «وأخبرني (أي القسطلاني) أنها نسبة إلى «قسطيّية» من بلاد الجريد، وأنّ أصل آباءه منها»^(١).

٣ رحلته في طلب العلم

رحل إلى مكّة - كما سبق ذكره - وسمع بها من أبي الحسن بن البناء «جامع الترمذي»، ومن أبي طالب عبد المحسن بن أبي العميد الحنفي، إمام مقام إبراهيم، ومن الشيخ شهاب الدين الشهروردي^(٢).

٦ ورحل إلى دمشق، فسمع بها من إسماعيل بن أحمد العراقي، وأحمد بن المفرج بن سلمة الأموي، وغيرهما^(٣).

٩ ورحل إلى بغداد، فسمع فيها سنة خمسين وستّ مئة من إبراهيم بن أبي بكر الزعبي، وأبي السعادات عبد الله بن عمر البندنجي، وفضل الله بن عبد الرزاق الجيلي، وموهوب بن أحمد الجواليقي، ويحيى بن قميرة، وغيرهم^(٤).

١٢ ثم رحل إلى مدنٍ أخرى، فسمع بالكوفة ومَنْج وحران وحمص والمعرفة والقدس ومصر والمدينة واليمن^(٥).

وقرأ الشيخ قطب الدين القسطلاني الفقه والتفسير والخلاف وأنواع العلوم على شيخ الحرم نجم الدين بشير بن حامد التبريزي، ودرّس بمدرسة «دار زبيدة» بالحرم بحضرة والده، وأفتى سنة ثلاثٍ وثلاثين وستّ مئة، وحدث بكثير من مسموعاته وبعض تأليفه^(٦).

١٨ قال ابن فهد الهاشمي: «ثم أخذ في طرق التصوّف والتسلُّك، والتعرُّف بأرج سلفه الصالح والتمسُّك، ففاضت عليه عوارفها، فاجتنى غرُوسًا يانعةً، واجتلى

(١) انظر: ملء العيبة بما جُمع بطول الغيبة، ٣: ٤١٥.

(٢) انظر: العقد الثمين، ١: ٣٢١.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

الكتاب ومؤلفه وطريقة إخراج النصّ

شُموسًا طالعة، وجمع في ذلك مجموعاتٍ، وأوضح في مجلّسه موضوعات ... ولم يزل مُعظّمًا عند الخاصّ والعامّ، مُتصدّيًا لإبلاغ السُّننِ، وإسباغ المِننِ، قائمًا بقضاء الحاج على أحسن منهاج^(١).

٣

مؤلفاته:

- ١ - الإفصاح عن المعجم من الغامض والمُبهم^(٢).
- ٢ - اقتداء الغافل باهتداء العاقل^(٣).
- ٣ - تفسير آيات من القرآن الكريم^(٤).
- ٤ - لسان البيان عن اعتقاد الجنان^(٥).
- ٥ - مراصد الصلّات في مقاصد الصلاة^(٦).
- ٦ - مدارك المرام في مسالك الصيام^(٧).
- ٧ - تكريم المعيشة بتحريم الحشيشة^(٨).
- ٨ - تتميم التكريم لما في الحشيشة من التحريم^(٩).

٩

١٢

(١) انظر: لحظ الألاحظ، ٧٨.

(٢) انظر: الرسالة المستطرفة، ١٢٣؛ وكشف الظنون، ٢: ١٥٨٣.

(٣) الذي نحن بصدد تحقيقه، ولم يُذكر هذا المؤلف إلا عند الزركلي، ولم يُذكر فيها اعتمده من مصادر. فقد اعتمد «طبقات الشافعية»، و«فوات الوفيات»، و«الرسالة المستطرفة»، و«شذرات الذهب»، و«النجوم الزاهرة»، و«حسن المحاضرة»، و«المُعرب» القسم الخاص بمصر. ولم يذكر «الافتداء» في أيٍّ منها، فربما شاهد المخطوط ونسبه إليه. انظر: الأعلام، ٥: ٣٢٣.

(٤) انظر: الأعلام، ٥: ٣٢٣. أُطلعت على نسخته مؤخرًا، وجدته يتحدّث فيها عن تفسير صوفي لقوله تعالى في قصة عُزير الكلباء: ﴿قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم﴾ نسخة ضمن مجموع بدار الكتب ٥٠٨ مجاميع.

(٥) انظر: العقد الثمين، ١: ٣٢٢؛ والأعلام، ٥: ٣٢٣. ويسمى: «التعريف للشيب والشبان في اعتقاد الجنان»، هو ما تحمله نسخة دار الكتب ٥٠٨ مجاميع.

(٦) انظر: تاريخ الأدب العربي، ٨: ٤٣٦.

(٧) انظر: الأعلام، ٥: ٣٢٣، وهدية العارفين، ٢: ١٧.

(٨) انظر: كشف الظنون، ٢: ١٦٦١؛ وهدية العارفين، ٢: ١٧. النسخة موجودة بدار الكتب المصرية، وشرعت مؤخرًا في تحقيقها مع التتميم.

(٩) انظر: هدية العارفين، ٢: ١٧.

- ٩ - الارتباط^(١).
- ١٠ - نصيحة صريحة من قريحة صحيحة في المنع من الدّعوى والشطح^(٢).
- ٣ ١١ - ارتفاع الرتبة باللباس والصُّحبة^(٣).
- ١٢ - عروة الوثيق في النار والحريق^(٤).
- ١٣ - منهاج العلماء الأخيار في تفسير أحاديث كتاب الأنوار^(٥).
- ٦ ١٤ - المنهج المبهج عند الاستماع لمن رغب في علوم الحديث عن الاطلاع^(٦).
- ١٥ - النُّصح من موارد المتالف في الاقتداء بالموافق والمخالف^(٧).
- ١٦ - تأنيس النضارة على إقامة الوزارة^(٨).
- ٩ ١٧ - جلالة الدلالة في إقامة العدالة^(٩).

(١) هو كتابُ ألف في زنادقة الصوفيّة لم يذكره صراحةً إلا السخاوي. انظر: القول المنبئ عن ترجمة ابن العربي، ١٦٤، و٢٣٩. وذكره تعريضاً ابن العماد، قال: إنّه صنّف كتاباً في الطائفة الذين يَسْلُكُ طريقَتهم ابن سبعين، وبدأ بالحلاج وختم بالعفيف التلمساني. انظر: شذرات الذهب، ٧: ٦٩٤. كما ذكره تعريضاً أيضاً تلميذه أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط قائلًا: «وقد صنّف شيخنا المحدث المتصوِّف قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن القسطلاني كتاباً في هذه الطائفة، فذكر فيهم الحسين بن منصور الحلاج، وأبا عبد الله الشوذي، وإبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهان عرف بابن المرأة، وأبا عبد الله بن أحلى المتأمر بلورقة، وأبا عبد الله بن عربي الطائي، وعمر بن علي ابن الفارض، وعبد الحق بن سبعين، وأبا الحسن الششتري من أصحابه، وابن مطرف الأعمى من أصحاب ابن أحلى، والصفيفير، والعفيف التلمساني. وذكر في كتابه من أحوالهم وكلامهم وأشعارهم ما يدلُّ على هذا المذهب». تفسير البحر المحيط، ٥: ٣٣.

(٢) نفسه.

(٣) انظر: هديّة العارفين، ٢: ١٧. وذكرها بلوط في كتابه بعنوان: «رسالة في لباس الخرقه». انظر: معجم التاريخ التراث، ٢٥١٨؛ والعقد الثمين، ١: ٣٢٢ بعنوان: «ارتقاء الرتبة في اللباس والصُّحبة».

(٤) العقد الثمين، ١: ٣٢٢.

(٥) انظر: معجم التاريخ التراث، ٢٥١٨.

(٦) انظر: العقد الثمين، ١: ٣٢٢.

(٧) نفسه.

(٨) نفسه.

(٩) انظر: العقد الثمين، ١: ٣٢١. وأعتقد أنها الرسالة المسماة: «إدالة العدالة على إقامة الجلالة» ضمن المجموع المذكور.

- ١٨ - فواضل الزمن في فضائل اليمن^(١).
١٩ - منهاج النبراس في فضائل بني العباس^(٢).
٣ ٢٠ - الورد الزائد في برّ الوالدين^(٣).
٢١ - وسيلة العباد في فضيلة الجهاد^(٤).
٢٢ - الأدوية الشافية في الأدعية الكافية^(٥).
٦ ٢٣ - مجلس في فضل رمضان^(٦).
٢٤ - مجلس في فضل ذي القعدة^(٧).
٢٥ - المناسك^(٨).
٩ ٢٦ - جَمَلُ الإيجاز في الإعجاز بنار الحجاز^(٩).
٢٧ - رسالة «الحَمالة»^(١٠).
٢٨ - مسألة تكلم فيها العزّ بن عبد السلام في تفضيل الأنبياء^(١١).
١٢ ٢٩ - يقظة أهل الاعتبار في موعظة أهل الاغترار^(١٢).

(١) العقد الثمين ١: ٣٢١.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه. وأتوقع أنّ هذا العنوان مُصحّف عن عنوان: «الورد الرائد في ورد الوالد» ومنه نسخة محفوظة بمركز جمعة الماجد بدبي رقم ٢٣٩١٩٦.

(٤) نفسه.

(٥) انظر: هديّة العارفين، ٢: ١٧.

(٦) انظر: العقد الثمين، ١: ٣٢٢.

(٧) نفسه.

(٨) نفسه.

(٩) نفسه.

(١٠) نفسه.

(١١) نفسه.

(١٢) انظر: تاريخ الأدب العربي، ٨: ٤٣٦. نسخة بالمجموع المذكور، يسقط منها آخر ورقة نتيجة خرم به.

الكتاب ومؤلفه وطريقة إخراج النصّ

٣٠ - تحفة المفيد والمفاد في صفة المرید والمراد^(١) (تحفة المفاد والمفيد في صفة المراد والمرید).

٣١ - شعار الإظهار في منازل المُقَرَّبِينَ والأَبْرَارِ^(٢).

٣٢ - ورد الرائد في ورد الوالد^(٣).

٣٣ - تذكرة اعتماد الفكر في صحّة اعتقاد البشر^(٤).

٣٤ - طرفة الإنسان وتحفة الإحسان^(٥).

٣٥ - تنزید المعالم في تقدير المظالم^(٦).

٣٦ - وصيّة للشُّهْرُوردي^(٧).

٩ القطب القسطلاني والتصوّف الإسلامي

ملاحمه الصوفيّة

١٢ يقول حبيب الله حسن: أمّا ملامحُ القسطلاني الباديةُ في أقواله، فإنّ ما وصلنا من المأثور عنه من شِعْرٍ ونثرٍ - على نُدرتِه - يقدّم لنا صورةً عن تصوّفه، وتطلّعهِ إلى التصوف المنشود.

١٥ ومن الناحية العلميّة فإنّ حياته صورةٌ صادقةٌ لِمَا كان يتطلّع إليه من التصوّف الحقّ، وقد يُعبّر عن تجربته الصوفيّة شِعْرًا، فيشعرُ القارئُ له بصدق اللهجة، وهو يُترجم بشعره عن سلوكه الظاهر، وأحاسيسه الباطنة.

(١) انظر فيما سبق ص ١

(٢) انظر فيما سبق ص ١

(٣) انظر فيما سبق ص ١

(٤) منها نسختان بمركز جمعة الماجد بديي برقمي ٣٧١٥٩٤، ٣٧١٥٩٥.

(٥) يوجد منها نسخة خطيّة بمركز جمعة الماجد برقم ٣٧٥٢٤٨.

(٦) ضمن المجموع المذكور، ومفقودة نتيجة خرم به.

(٧) ضمن المجموع المذكور ومفقودة نتيجة خرم به.

الكتاب ومؤلفه وطريقة إخراج النصّ

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ وَهُوَ يَعْزِمُ عَلَى الزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا، لِيُقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ:

- لَأَجْهَدَنَّ عَلَى أَلَّا أَرَى أَحَدًا وَأُنْثِنِي خَالِيًّا عَنْ قُرْبٍ مَن بَعْدَا
وَأُعْمِلُ الْفِكْرَ فِيمَا أُسْتَفِيدُ بِهِ يَوْمَ النَّشُورِ غَدًا عِنْدَ الْإِلَهِ يَدَا ٣
إِنِّي اعْتَبَرْتُ بَنِي الدُّنْيَا فَمَا ظَفِرْتُ كَفِّي بُوْدًا امْرِيَّ الْقَاهُ مُعْتَمِدًا
لَا فِي الشَّدَائِدِ أَعْوَانٌ عَلَى زَمَنِ وَلَا الرِّخَاءِ أَيْادِيهِمْ تَمُدُّ يَدَا
وَمَنْ تَصَدَّى إِلَى إِيْتِيَانٍ بِأَبِيهِمْ أَهَيْنَ حِينًا وَأَلْفَى مِنْهُمْ نَكْدًا ٦
وَالْحُرُّ يَأْنَفُ عَنْ ذُلِّ يَفِيدُ بِهِ عِزًّا فَكَيْفَ بِذُلِّ قَاصِرٍ أَبَدًا؟!
العزُّ ترك الدنيا بأجمعهم لا عن هوانٍ بهم بل ترك من زهداً^(١)

٩

روافده الصوفية

- يُرْجَعُ حَبِيبُ اللَّهِ حَسَنُ رَوَافِدِ الْقِسْطَلَانِي الصُّوفِيَّةِ إِلَى عِدَّةِ عَوَامِلٍ، كَانَ مِنْ
أَبْرَزِهَا: أُسْرَتُهُ، وَشِيُوخُهُ، وَظُرُوفُ عَصْرِهِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ.
أَمَّا عَنِ الرَّافِدِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ أُسْرَتُهُ، فَقَدْ عَرَفْنَا أَنَّ أُسْرَتَهُ بَيْتُ عِلْمٍ وَتَصَوُّفٍ، ١٢
فَوَالِدُهُ وَاحِدٌ مِنَ صُوفِيَّةِ عَصْرِهِ، وَكَثِيرًا مَا يَنْقُلُ عَنِ الْوَالِدِ الْمَأْثُورَاتِ الَّتِي يَنْقُلُهَا
بِدَوْرِهِ عَمَّنْ سَبَقَهُ.
وَأَمَّا عَنِ الرَّافِدِ الثَّانِي، وَهُمُ شِيُوخُهُ، فَقَدْ تَتَلَمَذَ لكَثِيرٍ مِنَ صُوفِيَّةِ عَصْرِهِ، ١٥
وَأَبْرَزُهُمْ شَهَابُ الدِّينِ الشُّهْرَوَرْدِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ «عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ».
وَأَمَّا عَنِ الرَّافِدِ الثَّلَاثِ، وَهُوَ ظُرُوفُ عَصْرِهِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ
وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَهِيَ الْمُمَثَّلَةُ فِي النُّكَبَاتِ الَّتِي حَلَّتْ بِالْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، فَقَدْ هَيَّأَتْ ١٨
لَا نَتَشَارِ التَّدْيِينَ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ، وَالتَّصَوُّفِ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ، عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ الْمَرْءَ عِنْدَمَا
يَفْتَقِدُ الْحِيلَةَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا أَنْ يَلْجَأَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى^(٢).

(١) انظر: جهود القطب القسطلاني في رسم الطريق إلى الله، ٢٦-٢٧.

(٢) انظر: جهود القطب القسطلاني في رسم الطريق إلى الله، ٢٧-٢٨.

الكتاب ومؤلفه وطريقة إخراج النصّ

رؤية القسطلاني للصوفية

ارتكزت رؤية القسطلاني للتصوّف على ركيزتين: نقدية وبنائية. الأولى: ٣
تتمثّل في فضح ما لا يمتّ إلى التصوّف بصلّة، ويلتصق بالتصوّف وهو منه بريء. وأحسن ما استشهد به القسطلاني لتوضيح هذه الصورة بيتٌ من الشّعْر يقول:

[الكامل]

٦ أمّا الخيامُ فإنّها كخيّامهم وأرى نساءَ الحيّ غيرَ نساءها

والثانية: تتمثّل في رسم الطريق الصحيح للتصوّف، من بداية الطريق إلى ٩
منتهاه... فهو لا يكاد يتحدّث عن الجانب النقدي إلّا ويردّفه بما ينبغي أن يكون عليه التصوّف، وما يفعله السالك، وما يتّصف به الشيخ^(١).

وفاته

١٢ انتقل إلى رحمة الله في الثامن والعشرين من المحرم سنة ستّ مئة وستّ
وثمانين بالكاملية، واجتمعت العامة على الباب يضحجون بالبكاء عليه. وأخرج
عقيب الظّهر من المدرسة والخلائق بين يديه مُمتدّون إلى تحت القلعة، فتقدّم ١٥
عليه في الصلاة جمالُ ابن النقيب المُفسّر، ولم يدخل إلى قبره بالقرافة إلّا بعد
العصر؛ لكثرة الزّحام. وكان يومًا مشهودًا. وكان علّم الدين البرزاليّ ممن حضر
دفنه^(٢).

(١) انظر: جهود القطب القسطلاني في رسم الطريق إلى الله، ٢٩-٣٠.

(٢) انظر: تاريخ الإسلام، ١٥: ٥٧٩.

٣ - طريقة إخراج النصّ

- لم يشأ الله تعالى أن يخرج هذا النصّ إلى التور لأول مرّة معيوبًا مبتورًا غير واضح تمام الوضوح لقارئه، وذلك لأنه كان سيخرجُ على نسخةٍ وحيدةٍ، ظننتها ٣ أنا والمقربين منّي أنها نادرة، وهذا إن نجم عن شيءٍ فإنما ينجم عن تقصيرٍ مني. لكنّ الله سبّب لي الأسباب، وساق إليّ من بصرني على استدراك هذا العيب، وأعطاني ما أكمل به هذا النقص، فبعد أن قام المعهد الألمانيّ للأبحاث الشرقيّة ٦ ببيروت بتجهيز أول مسودات العمل، وأرسلها لي؛ كي أقوم بمراجعتها، فوجئتُ في ليلةٍ من ليالي معهد الدراسات الشرقيّة للآباء الدومنيكان البحثيّة، والتي من التادر أن يجتمع فيها عددٌ كبيرٌ من الآباء الفلاسفة، ومعهم ضيفٌ كريم، تبادلنا ٩ معًا أطراف الحديث، وما أحلى الحديث إذا كان مُتناوَلًا في أطرافه التراث والكتب والمخطوطات، حيثُ اهتمام وتخصّص الجلوس كلهم بلا استثناء، تحدّثتُ أمام الجميع عن نصّي المهمّ الذي حقّقته على نسخةٍ نادرةٍ، ليس لها ثانية في العالم، ١٢ هكذا كان اعتقادي والجلوس العارفين بالأمر، وعن نشرته المستقبلية في سلسلة «التشرّات الإسلامية» التي أسّسها المستشرق الألماني هلموت ريتز منذ أكثر من ثمانين عامًا، ويصدرها المعهد الألمانيّ للأبحاث الشرقيّة بالتعاون مع جمعية ١٥ المستشرقين الألمان، وإذا بالضيف يصعقني بقوله: «معي منه نسختان!». يا الله، النصّ الذي حقّقته على نسخةٍ نادرةٍ معك منه نسختان؟! وقتها لم يصاحبني إلا الصمت والهَم، وغبتُ عمّن حولي، فغادرتُ جسدي أفكارٍ، وراحت تُشرق ١٨ وتُغرب، تخاطبُ النَّاس دون رأيي، وتُقرّر وتلغي، وتفعل ما يخلو لها، وجسدي الذي لم يتحرّك حركةً واحدة تصبّب عرقًا من هول الموقف.
- ٢١ ظللتُ هكذا حتى لاحظ الجلوس ما أنا عليه، وأولهم صديقنا الحبيب المهموم بهمومنا، الفرنسي العربي، الذائب في حبّ مصر، الأخ العزيز أحمد سُليّات، كان كلّ همّي في هذه اللحظة التي أفلعتني من جذوري، ماذا أنا قائلٌ

- ٣ للأستاذ الدكتور ستيفان ليدر؟، كيف ستكون الثقة بيننا بعد هذا الموقف؟، وإذا بالقرب مني، والصديق العزيز رونه فانسان، مدير المكتبة يمدّ يده ويُقدّني
- ٦ مما أنا فيه قائلاً: سوف أقوم أنا بهذه المهمة (الحديث مع ليدر إياه)، في هذه اللحظة خفّفت عني، وبدأت من وقتها أفيق من دهشتي، وأستشعرُ فضل ربّي عليّ، وأحسُّ بالنعمة والمِنَّة عليّ، فقد ساق لي دون سابق أي مقدمات مَنْ أنقذني - بفضلهِ تعالى - من كارثةٍ أوشكت أن تحلّ عليّ، لو طُبِعَ الكتاب على وضعه الأوّل. على العِلم أنّ الوضع الأوّل قد رضي عنه الجميع، لكنّ يبقى خطر تحقيق النّص على نسخةٍ واحدةٍ ملازماً لصاحبه لا يفارقه، فعند ظهور نسخة ٩ أو نسخ للنّص المحقّق على نسخةٍ واحدةٍ وقتها فقط يُوضَع محقّقهُ أمام مسؤوليةٍ كبيرة، وتُطرحُ أقلّ الأسئلة: قرأت النّص قراءة سليمة أم زاعت الأَبصار؟ في هذه اللحظة يُكرّم المرء أو يُهان. سلّمنا الله من العبثِ بتراث أمةٍ خير الأنام!.
- ١٢ وأتى في اليوم الثالث على التّحديد ردّ الأستاذ الدكتور ستيفان ليدر، أستاذ الدراسات الإسلامية والعربية، ومدير المعهد الألماني، بكلّ بساطةٍ وتفأؤلٍ وصبرٍ وتقديرٍ للكتاب ومحقّقهِ، وما فيه من جهدٍ: «نحن محظوظون إذْ ظهرت هذه النُّسخ في هذا الوقت الحرج.»
- ١٥ بهذه الكلمة البسيطة انتهت الأزمة، وشمّرتُ عن ساق الجِدِّ كي أقوم بمقابلة النُّسخ مقابلةً دقيقة.
- ١٨ والواقع أنّ تحقيق النّص على نسخةٍ واحدةٍ يحتاج إلى عواملٍ مساعدةٍ ومحدّدة، وهي مصادر المؤلّف التي اعتمد عليها، والمصادر التي اعتمدت عليه، هذه العوامل هي التي يركّزُ عليها الباحث أثناء قراءة الكلمات التي أُغْلِقْتُ عليه أو التي يشكُّ فيها، ولكن ماذا نفع لو كانت مصادر المؤلّف التي اعتمد عليها ٢١ قليلةً للغاية، واعتمد في كتاباته بكثرة على بنات أفكاره، وماذا نفع أيضاً لو أنّ نصّاً كالذي بين أيدينا ظلّ مجهولاً حتّى عمّن كتب بعمق في التصفّوف من بعده،

الكتاب ومؤلفه وطريقة إخراج النصّ

بل عمّن كتب عن الكتب (البليوغرافيا) فلم يطلع عليه أحد من البليوغرافيين، ولم يعتمد عليه مّن كتب في التصوّف سوى من ذكرنا سابقاً؟^(١).

٣ وقد حرصت على مقابلة الكتاب على مصادره أو المصادر التي نقلت عنه، فقد توصلتُ إلى عددٍ من المصادر، مثل: «الرسالة» للقسيري، و«عوارف المعارف» للشّهورودي، وغيرهما.

٦ ومنّ المصادر التي اعتمدت عليه: رسالة السيوطي «تأييد الحقيقة العليّة وتشديد الطريقة الشاذليّة»، وفي مواضع معدودة «إتحاف السادة المتقين» للزبيدي، لكن ظل الخطرُ كامناً وقائماً في المواضع التي لم يعتمد على مصادر فيها. وقيمتُ بتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار، وأثبتتُ أرقام ٩ صفحات الأصل في المتن لتسهيل الرجوع إليه، فضلاً عن التوثيق المرعيّ في كلّ العمل.

١٢ كما كنتُ حريصاً على عدم إئثار الحواشي الشفوية بالتراجم والشروحات، وأتبعْتُ المنهج المعتمد على إخراج النصّ فقط، مع كلّ ما يساعد على هذا الأمر، بالإضافة إلى تخريج الأحاديث والآثار وتوثيق النقول.

الرموز المستخدمة في التحقيق

١٥ الأصل = نسخة مجمع اللغة العربية بدمشق والتي كتبت في حياة المؤلف.

١٨ ع = نسخة عاطف أفندي، السليمانية، اسطنبول.
س = نسخة جامعة استنبول.

ما تحته خط = مصادر المؤلف الشفهية وأقوال المؤلف وتقريراته.

٢١ [] = زيادات من خارج النسخ، وأرقام النسخة الأصل.

(١) انظر فيما سبق ص ٢.

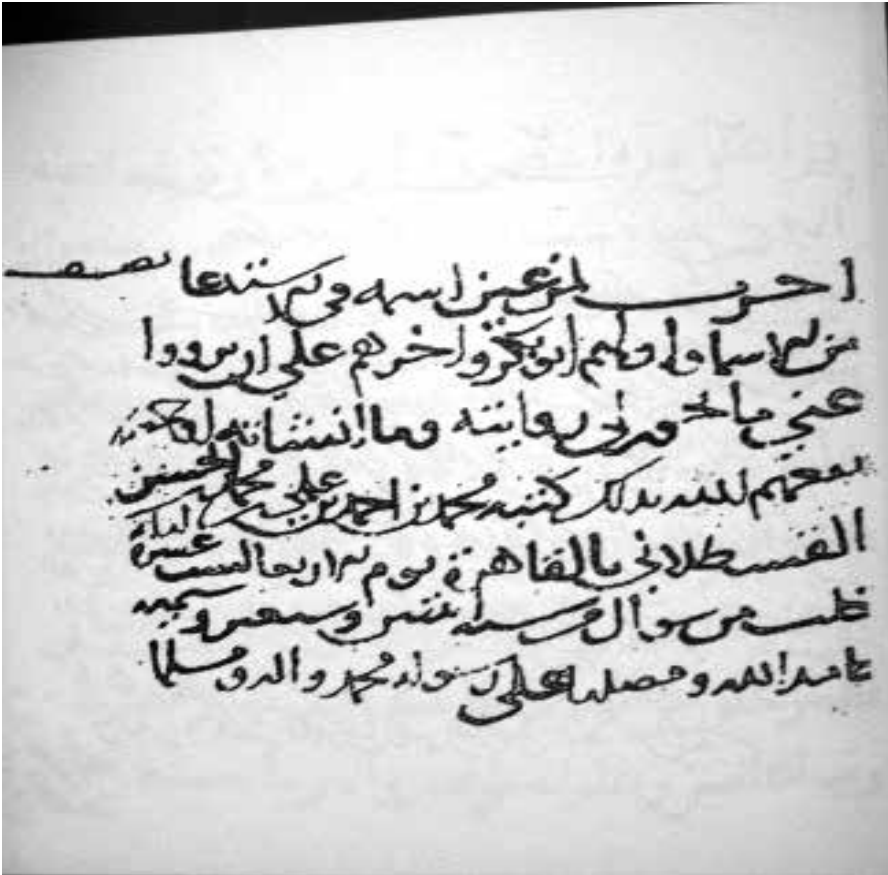
رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ

وكتبه

أحمد جمعة عبد الحميد

القاهرة أول ديسمبر ٢٠١٤ م

نماذج من المخطوطات



خط القطب القسطلاني من خلال إجازة^(١)

(١) لا توجد بالأصول المخطوطة وانظر: المخطوطات الموقعة، أعمال المؤتمر الدولي الثاني لمركز المخطوطات، مكتبة الإسكندرية (أبريل 2005) ص 367.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قال الشيخ الفقيه الامام العالم العامل
الحاج الميرزا محمد بن الامام العارف عمدة الخلف قطب الدين
ابوبكر محمد بن الامام العارف عمدة المشايخ
كمال الدين ابوالعباس احمد بن علي بن محمد
الحسن القسطلاني في شرحه في مدح
المسلمين بركاته .
الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى من اجتهادهم
لخدمته وتجاوز عنهم وعفاه وملك صدورهم بصيغته
حتى تحلل احدهم العرق من الحكامة ان نامة عنه او عفا .
ستغفروا نفوسهم حتى وردوا من شربهم بعد الكدر
علي ما قد عفا . وراقه الى الاستغفار به عنها فطابت
بهم الطافة فاثبت معرفته في قلوبهم والجهل به عنهم
نفا حطوا لهم لما تنعموا بالباس من العيش حسنة قد عفا .
والمصومون والسلمة على محمد ورسوله الذي يد في حشر

الورقة الأولى من الأصل (= النسخة المحفوظة في مجمع اللغة العربية بدمشق،
والموجود صورة عنها في مركز جمعة الماجد تحت الرقم: 224542)

النبوة اكتفى وعلى اله وصحبه وتابعه ومن حبه
 واجتهده وأثار شرعتها فتى ولما كان الدين الجسد
 للعامة والخاص والبر والفاجر من غدر في العهد وأوقاه
 ولاطف في معاملته للخلق أرحم وأحسن علياً بديل النصح
 لتحصيل شفا الأمراض التي أصابها منها على شفا وأن الله
 بحكمته التي حررها ولعمري التي قررها أقام في كل
 عصر من جعل له لساناً معبراً عن عوارف المعارف
 فخير أذن لطايف العواطف منبراً للطرائف الوضائف
 ونصب له سناناً طاعيناً من جال في الباطل وجابلاً
 المتخارفات يقطع به ما انزل من الجهل للتعانف
 ويحده ما أثار من نار السخف المتضاعف ويهويه
 ما أظلم من هوس النفس العاكف ويعقوبه ما
 اضطرب من رأي الموي الطايف والباور فعنا في
 وقتنا هذا إلى نين طال فيه على أبواب الفضائل أبواب
 الرذائل وجال فيه بالمقال على الألسنة من كل لسان

* (ملحوظة: الترقيم الظاهر في أعلى يسار الصفحة ليس ذا بال ولم نأخذه بعين الاعتبار)



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
قال الشيخ الامام الفقيه العالم العامل العلامة بقية السلف عمدة
قطب الدين ابو بكر محمد بن الامام العارف بقية المشايخ بحال الدين
ابو العباس احمد بن علي بن محمد بن الحسن القطراني رحمه الله عليه
ونفع المسلمين ببركته الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
من اجرتهم فضيحتهم لخزنته وتجاوز عنهم وعفا و ملا صدورهم هيبة
حتى يتجمل احدهم العرق والحيا منه ان نام عنه او عفا شغلهم بنفوسهم
حتى وردوا من شرهم بعد الكد على ما قد صفا وراقهم الى الاستغفار عنها
فطافت بهم الطافة فانبت موفنته في قلوبهم والجرار به عنهم نفاقتهم
لهم لما تنعموا بلباس من العيش حسنه قد صفا والصلاة والسلام
على محمد عبده ورسوله الذي به في ختم النبوة الكفى وعلى اله وصحبه وتابعهم
ومرآة واجرتهم واثار شرعتهم اقمى **ولما** كان الدين النصح للعام
والخاص والبر والفاجر فخره في العزير او في ولاطفه في معالته
للخلق او جفا تعين علينا بهذا النصيح لتحصيد شفا الاراض التي اصحابها
منها على شفا وان الله بحكمته التي حررها ونعمت التي قررها اقام في كل
عصر ف جعل له لسان مقبراء عبور والمعارف فخر اع لطايف العواطف
نقرا

مقراً انظر كيف الوظيف ونصب لنا طاعنا من جال في الباطل
 وجأ بالقول المتجاذف يقطع به ما تنصر في الجهر المتخالف ويخمد به
 ما اتار من نار السخف التضاعف وينير به ما اظلم من هوس النفس
 العاكف ويحقق به ما اضطرب من راي الهوى الطائيف ولما اذفنا
 في وقتنا هذا الى زمن طار فيه على ارباب الفضائل ارباب الرزاوم
 حار فيه بالمقار على الاما نزل ليس لهم بالمما تلتعين علينا ان
 نضح اهدر الوسيل وتبين لدينا ان نوضح ما التبس على الافاضل
 والفضائل بيان الحق لمن اعرض عنه لما جهله وتقرب الطريق على
 مقصد ان يصل وترتيب المسير لمن اضغى لصدوق المقار وقبله وانما
 ينتفع بالنصيح وتلقاه بالقبول وامثله محيئذ يري الله عنه والله
 ويعصمه الله ويعدهم منه علة ويسد منه خللة واقامه اعرض عن قلب
 استخبارا ونفارا وادبارا اجتماعه وفرار فانه لا يتردى اليه
 اصرا واضرارا وكيف يصغي للاستماع في جعل الله في اذنه عذوقا
 وفي قلبه ما يلقي اليه من العرف نكلا هو في قوم ذكر الله حالهم لقوم يعقبون
 كلا بران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وبعد فان السابق للاحق
 قرة ودرحة والاكابر للاصاغر حجة ونعمة والمشايخ للخطا والسير
 للسالك عصمة وقربة الله على سيرة الاقدار كان عقلم بالفضل عن قصد
 الصواب لم يرشده فقال تعالى اولئك الذين هدى الله فبهم يرجع
 اقدمه وانما ادب الاقدار بهم وان علت رتبته على رتبته اعمال تقدم

عظيمة اذا ذكرت بشرطها في تنوير الباطن وضبط النفس التبرؤ ^{للاوط}
 وجمع الهم فليدروم العبد على ذكر هذه الحكمة في خلوته لا يفتخر ذكرها حتى يتمكن
 في قلبه ويتزود من الحديث نفاذا تسهلت على السالكات صلت في قلبه ^{بق}
 القلب ذكرا واللسان ساكتا فيتجلى على القلب ويستقر فيه نور اليقين ^{بالحق} ويجدد
 مع روية عظمه المذكور جلا وعلا فيكون الذكر اذ ذاك ذكر الذات وذلك هو
 والمكاشفة والمعانية فيتحقق القلب بنور الذكر وهذا هو معنى قوله عليه
 السلام اللهم اجعل في قلبي نور الى ان قال اللهم اجعل لي نورا وهذا هو اقص ^{وضوح}
 الخوة عند أهلها وهي موهبة عظيمة ودرجة عالية وقد تارة ^{بتلاوة} هذه الحالة
 القرآن بالتدبر والاعتبار والتفكر والافتقار حتى يشهد عظمه المذكور فيما
 يحاوله التلاوة في الصلاة وغيرها فيشرق نور الكلام على القلب ^{يستحضر}
 عظمة المتكلم فيجمع بين نور الكلام ونور عظمة المتكلم ويستفيد مما ذكرنا
 في اللذات والحلاوة والانس سابقا هذا مع ما يفتح به عليه العلوم الدينية
 والمطالع الغيبية بالاسرار للكشفية والمعارف الالهائية وان كان ^{دورا}
 وقد يقوى عليه الجار في الذكر فيؤخر حتى يتق كان في الذكر كصاحب السبأ والنوم
 الا انه ناطق فيجلى للحقايق كما يقع للنائم فيحتاج الى التعبير وقد تجلى للحقايق
 للذكر في غير تارة فيكون كشافا وعلما في الله له فتارة بالعيان وتارة ^{بسمع}
 في خارج كالتلقين وتارة في الباطن كل ذلك يناله صاحب الخوة الجارية
 على اصدر الصحة فيصير هذا الفتح مما يزيد من شغفها بالاستقامة والصدق
 في المعاملة والفتوة في الرضاة والتليس بحاسن الاخلاق المعتاد وقد

صع

الورقة الأخيرة من نسخة جامعة استنبول (78ظ-79و)

وقد يقع شئ في صورة الفتح على ما واصل واعتدل ولم يئس نفسه
 بالسياسة الشرعية فيكون ذلك القدر سببا لبعده وطرده فيزداد ^{محمدا}
 واستطالة واحتمار بالعباد ويتماذى به الامر في ذلك حتى يحرق ^{الدين}
 ولا يترك الاقدا بالنبين ويعتقد ان المراد هو الذكر المبين دون ^{سبط}
 المرسلين ذلك هو الخسران المبين فيخرج بذلك عجلة في غير المرشحين
 وثبت في ديوان المتزندقين الملحدين وقد يقع التوبة على طائفة
 بخيال او هي ناشية عن جهال لا وليست بوقايح عند ارباب الخال لا وعلى كل واحد
 في هذا الاعوجاج والاشقاق والالا وقصد الاختصار في المقالة تحملنا
 على الاقتصار في الاطالة والمواجيد التي ترد على قلوب المتوجهين ^{العبير} للايبغ
 عنها المستعين وانما لها اثار تلوح عند المستبصرين ورواج تفوح
 عند المستشقين ومطامع تذاق في السنة المستطعين وعلابس
 تكسى في نور المبين ومواهب تقاضى على العقول في الفضل العظيم ذلك
 فضل الله بوتيته ذريته والله ذو الفضل العظيم وبذلك تم ما اردنا
 في الاقتداء بالاهتداء ونعوذ بالله في جهاد البلا ودرر الشقاوس والقضا
 وشماتة الاعداء والحاجة الى الكفار وصلى الله على محمد خاتم الانبيا
 وعلى اله وصحبه البررة الاقيا انجز بحمد الله وعونه في اواخر
 في شهر ذي القعدة على يد احقر العباد احمد بن عثمان

غفر الله ذنوبه ولوالديه ولجميع المؤمنين

١١٣٤ هـ
 ١١٢٤

النصُّ مُحقَّقًا

[توطئة]

٤ظ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(*وبه نستعين*)^(١)

٣

قال الشيخ الفقيه الإمام العالمُ العامِلُ العلامَةُ بقيَّةُ السلفِ، عُمْدَةُ الخَلْفِ، قُطْبُ الدين أبو بكر محمد بن الإمام العارف بقيَّةُ المشايخ كمال الدين أبي (*العباس أحمد بن علي بن محمد بن الحسن القسطلاني، (*فسح الله في مُدَّتِهِ*^(٢)، ونفع المسلمين ببركته: ٦ الحمدُ لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، مَن أَحَبَّهُمْ فَرَضِيَهُمْ لخدمته وتجاوزَ عنهم وَعَفَا، وملاً صُدُورَهُمْ بهيئته^(٣)، حتى يَتَخَلَّلَ أَحَدَهُمُ العَرَقُ مِنَ الحياءِ منه إن نامَ عنه أو عفا، شَغَلَهُمْ بِنُفُوسِهِمْ حتى وَرَدُوا مِنْ شُرْبِهِمْ بعد الكدَرِ على ماءٍ قد صفا، ورَقَّاهُمْ إلى الإشتغال به عنها، فطافت بهم أطفافه، فأثبت معرفته في قلوبهم، والجهلَ به عنهم نَفَى، فطوبى لهم لَمَّا تَنَعَّمُوا بلباسٍ مِنَ العيش خَسِنُهُ^(٤) قد صفا. ١٢

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي بِهِ فِي خَتَمِ النُّبُوَّةِ اِكْتَفَى، ٥و على آله وصحبه وتابعيهم، وَمَنْ أَحَبَّهُ وَأَحَبَّهُمْ، وَأَثَرَ شِرْعَتِهِمْ اِقْتَفَى. ١٥ ولَمَّا كَانَ الدِّينُ النُّصِيحَةَ، لِلْعَامِّ وَالْخَاصِّ وَالْبَرِّ وَالْفَاجِرِ مِمَّنْ غَدَرَ فِي الْعَهْدِ أَوْ وَفَى، وَلِأَطْفٍ فِي مُعَامَلَتِهِ لِلخَلْقِ أَوْ جَفَا، وَتَعَيَّنَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ النَّصْحِ لِتَحْصِيلِ

(*-١) لا يوجد في الأصل، ع. والمثبت من: س.

(*) في الأصل: أبو.

(*-٢) س: رحمة الله عليه.

(٣) س: هيبة.

(٤) ع، س: حسنه.

شفاء الأمراض التي أصابها^(١) منها على شفا، وأن الله بحكمته التي حررها،
 ونعمته التي قدرها^(٢)، أقام في كلِّ عصرٍ مَنْ جَعَلَ^(٣) له لساناً مُعَبِّراً عن عوارفِ
 المعارفِ، مُخَبِّراً عن لطائفِ العواطفِ، مُقَرِّراً لِطَرَائِفِ الوظائفِ، ونصب له
 ٣ سناناً طاعناً لمن جالَ في الباطلِ وجاء بالقولِ المتحارِفِ^(٤)، يقطع به ما اتَّصلَ مِنَ
 الجهلِ المتكاثِفِ، ويُخمدُ به ما أثارَ مِنَ نارِ السُّخْفِ المتضاعفِ، وَيُنِيرُ به ما أظلمَ
 مِنَ هَوَسِ^(٥) النفسِ العاكِفِ، ويحقِّقُ به ما اضطربَ مِنَ رأيِ الهوى الطائفِ.
 ٦ وإِذَا^(٦) لَمَّا دُفِعْنَا^(٧) فِي وَقْتِنَا هَذَا إِلَى زَمَنِ طَالَ فِيهِ عَلَى أَرْبَابِ الْفَضَائِلِ أَرْبَابُ
 الرذائلِ، وجال فيه بالمقالِ على (*الأمثال ما^(٨) ليس لهم^(٩) بالمائل^(١٠)*)، تَعَيَّنَ
 علينا أَنْ ننصحَ أَهْلَ الوسائلِ، وتبيِّنَ لَدِينَا أَنْ نُوضِّحَ ما التَّبَسَّ عَلَى الْأَفْضَلِ مِنَ
 ٩ الفضائلِ، ببيانِ الحَقِّ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ لَمَّا جَهِلَهُ، وتقريبِ الطريقِ عَلَى مَنْ قَصَدَ
 أَنْ يَصِلَهُ^(١١)، وترتيبِ المسيرِ لِمَنْ أَصْغَى لِصَدَقِ الْمَقَالِ وَقَبْلَهُ، وإِذَا يَنْتَفِعُ بِالنُّصْحِ
 ١٢ مَنْ تَلَقَّاهُ بِالْقَبُولِ وامْتثلَهُ. فحينئذٍ يُزِيلُ اللهُ عَنْهُ زَلَلَهُ، وَيُقْصِرُ بِهِ أَمَلَهُ، وَيُعِدُّ مِنْهُ
 عِلَلَهُ وَيُسَدُّ مِنْهُ خِلَلَهُ.

وأما مَنْ أَعْرَضَ عَنْ قَبُولِهِ استكباراً ونفاراً، وإِدْبَاراً عَنْ اسْتِماعِهِ وِفْراً، فَإِنَّهُ
 لا يَهْتَدِي لِلصَّوَابِ إِصراراً وإِضراراً، وكيف يُصْغِي لِلاِسْتِماعِ مَنْ جَعَلَ اللهُ فِي
 ١٥

(١) س: أصحابها.

(٢) ع، س: قررها.

(٣) التأيد: جعله.

(٤) ع، س: المتجازف.

(٥) ع: تشوُّش.

(٦) مطموسة في الأصل، والمثبت من: ع، التأيد، ٦٧.

(٧) التأيد: دفعناه.

(٨) س: مَنْ.

(٩) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(*-١٠) ع، س: نيله لمقاصده.

(١١) انظر: تأييد الحقيقة، ٦٧، ضمن نشرتنا لأعمال السيوطي في التصوف الإسلامي ١، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، المجلد ٤٧، ٢٠١١ م.

أذنه عنه وَقَرَأَ، وفي قلبه لِمَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنَ الْعُرْفِ نُكْرًا، فهو في قومٍ ذَكَرَ اللَّهُ حَالَهُمْ لِقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ، ﴿كَأَلَّا بَلَّ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]. ٣

وبعد، فَإِنَّ السَّابِقَ لِلَّاحِقِ قَدْوَةٌ وَرَحْمَةٌ، والأكابرُ للأصاغرِ حُجَّةٌ وَنِعْمَةٌ، والمشايخُ عن الخطأِ فِي السَّيْرِ لِسَالِكِ عِصْمَةٌ، وقد نَبَّهَ اللَّهُ عَلَى سِرِّ الإِقْتِدَاءِ إِنَّ^(١) كَانَ عَقْلُهُ بِالْغَفْلَةِ عَنْ قَصْدِ الصَّوَابِ | لم يستهده^(٢). فقال تعالى: ٦
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنُهُمْ أَقْتَدِهٖ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وإنما أمرَ بالإقتداءِ بهم، وَإِنْ عَلَتْ رُتْبَتُهُ عَلَى رُتْبَتِهِمْ، إمَّا لتقدِيمِ زَمَنِهِمْ، أو لتعظيمِ قَدْرِهِمْ، فإظهارُ شرفِهِمْ وفخرِهِمْ بالإقتداءِ بهم يقعُ بالموافقةِ لهم في ٩
الصبرِ والإحتِمَالِ، والمحافظةِ على صالحِ الأعمالِ (*بالإقتداءِ والتبعيَّةِ^(٣)) في التزامِ الأحكامِ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُنْدَرِجٍ فِي هَذَا النِّظَامِ، ويشهدُ لِمَا قلناه قَوْلُهُ تَعَالَى: ١٢
﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

فلَمَّا أمرَ اللَّهُ رَسُولَهُ بالإقتفاءِ لِأَهْلِ الإِصْطِفَاءِ، والإقتداءِ بِذَوِي الإِهْتِدَاءِ، ورأيتُ ما ظهر في زماننا هذا^(٤) باعْتِنَاءِ^(٥) الْعَوَامِّ بِأَهْلِ الإِدْعَاءِ، وابتلاءِ ١٥
الْخَوَاصِّ بِأَرْبَابِ الإِعْتِدَاءِ، واجترَاءِ الأنفُسِ بالتوثُّبِ عَلَى مَنَازِلِ الْأَوْلِيَاءِ بِالِابْتِدَاعِ، وَالِاتِّبَاعِ لِلْأَهْوَاءِ؛ لِفَقْدِ نُورِ الْفِرْقَانِ الْمُمَيِّزِ بَيْنَ مَرَاتِبِ الْأَصْفِيَاءِ، بذلتُ ما في الوُسْعِ مِنَ النَّصْحِ لِلْجَاهِلِ، وَأَقَمْتُ مَا رَسَمْتُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ

(١) س: من.

(٢) ع: يشتهده، س: يُرشدُه.

(*)-(٣) س: اقتداء التبعية.

(٤) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٥) التأييد: من اعتناء.

- (*)مَقَامَ الْحُكْمِ الْفَاصِلِ*^(١)،^(٢)، وَاللَّهُ عَلَى مَا فِي الضَّمِيرِ أَمِينُ الْقَائِلِ^(٣)، وَجَعَلْنَا^(٤) اسْمَهُ تَفَاوُلًا^(٥) | لِلنَّاقِلِ كِتَابٌ: «اِقْتِدَاءُ الْغَافِلِ بِاهْتِدَاءِ الْعَاقِلِ»، نُوضِّحُ بِهِ مَا التَّبَسُّرَ مِنْ حَالِ الْعَالِمِ بِالْجَاهِلِ، (*وَالنَّاقِصِ بِالْفَاضِلِ، وَالْحَالِي بِالْعَاطِلِ*^(٦))^٣ وَنُقْصِحُ فِيهِ^(٧) عَنِ بَيَانِ الْفَرْقِ بَيْنَ طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فِي (*سِيرَةٍ مِنَ الْمُتَمِّينِ*^(٨)) لِلْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ وَالْفُقَرَاءِ^(٩) الْأَمَائِلِ، مِمَّنْ مَهَرَ فِدْرَسَ، وَأَفْتَى وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ وَتَقَدَّمَ فِي صَدُورِ الْمَحَافِلِ، وَاتَّخَذَهُ الْأَنْامُ قُدُورَةً فِي الْفَتَاوَى وَالْأَحْكَامِ،^٦ يَرِجِعُونَ إِلَيْهِ فِي النِّوَازِلِ، وَهُوَ عَنِ الْعَمَلِ بِمَقْتَضَى الْعِلْمِ فِي الصُّدُورِ وَالْوُرُودِ فِي^(١٠) سَيْرِهِ مُتَثَاقِلٌ، وَعَلَى سِوَاهِ مِنْ ذَوِي الْجَهْلِ بِمَا مُنِحَ مِنَ الْفَضْلِ مُتَطَاوِلٌ، يَنْظُرُ بَعِينَ الْإِزْدِرَاءِ إِلَى مَنْ قَدَّرَهُ فِي دُنْيَاهُ نَازِلٌ، وَلَعَلَّهُ وَإِنْ بَانَ نَقْصُهُ فِي عَيْنِ رَائِيهِ،^٩ حَظَّهُ مِنَ اللَّهِ كَامِلٌ، وَمِمَّنْ ظَهَرَ بَزِيَّ الْقَوْمِ فِي الْخِدْمَةِ وَالصُّورَةِ وَهُوَ عَنِ الْمَعْنَى الْمَعْنِيَّ بِالْإِعْتِنَاءِ بِهِ بَيْنَهُمْ زَائِلٌ، وَعَلَى الْمُرَاعَاةِ لِرُغُونَاتِ نَفْسِهِ عَاكِفٌ، وَفِي فَسِيحِ الْمَجَالِ مِنْ ضَلَالِهَا جَائِلٌ، وَعَنْ تَأْدِيبِهَا بِالْآدَابِ الْمَرْعِيَّةِ فِي طَرَقِ الْأَبْوَابِ الْمَرْصِيَّةِ^{١٢}

(*)-١) مطموسة في الأصل، والمثبت من: س، التأيد، ٦٧.

(٢) انظر: تأييد الحقيقة، ٦٧.

(٣) في الأصل: الفضائل، والمثبت من: ع، س.

(٤) ع، س: وجعلت.

(٥) مطموسة في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(*)-٦) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٧) س: به.

(*)-٨) س: سيرة من انتمى.

(٩) ليس المقصود بالفقراء هنا فقيري المال والحاجة، إنما هناك في «عوارف المعارف» و«اللمع» تفرقة بين الفقير/الصوفي/الزاهد. وفي معنى هؤلاء الفقراء يقول سيدي أبو مدين الغوث (ت ٥٩٤هـ):

[البسيط]

مَا لَدَةُ الْعَيْشِ إِلَّا صُحْبَةُ الْفُقَرَا هُمُ السَّلَاطِينُ وَالسَّلَادَاتُ وَالْأَمْرَا

وانظر: المقصد الأول من النوع الأول من الطرف الثاني فيما يلي، ص.

(١٠) لا توجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

- ٧ و حائلٌ، وفي إقامة عمود | الإستقامة على نفسه فكره مائل^(١)، فما ظفر كلٌّ من الفريقين فيما حاول من حاله في محاله^(٢) بطائلٍ، ولا نظر لرقبته في فكاكٍ من يومٍ ليس لهوله مماثلٌ. ٣
- وقد دُفِعنا^(٣) لوقتٍ ظهر فيه اللغظُ، (*وَكَثُرَ الغلظُ*) واشتَهَرَ في أفعالِ أهله الشَّطَطُ، ولا سيَّما من أجري عليه من الصُّلحاءِ رَسْمُ التَّصَوُّفِ واسمُ الفقراءِ؛ فإنَّ هذا الإسمَ من^(٥) أعزَّ الأسماءِ، والمتَّصِفَ بصفةِ أهله عظيمٌ قدره في الدارينِ عند ربِّ السماءِ^(٦).
- لكنَّ تلك^(٧) التُّعوتَ المعهودةَ تبدَّلتْ بضدِّها، والأخلاقَ المحمودَةَ منهم عادتْ ذميمةً عند عدِّها. وجُلُّهم، بل أجلُّهم يدَّعي سلوكَ الطريقِ وما مشى على حدِّها، ولا مصطلحَ القومِ يعلمونَ، ولا بما مضى من سيرتهم يعملونَ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون^(٨).
- ١٢ أشبهوهم بالظاهرِ في الصُّورةِ، وبيأينوهم بالسَّيرةِ في المعاني المَسْتورةِ، فهُم كما قال الأوَّلُ في المُشَبِّه بالصُّورةِ المشهورةِ:

[الكامل]

١٥ أمَّا الخيامُ فإنَّها كخيامِهم وأرى نساءَ الحيِّ غيرَ نسائها

(١) س: سائل.

(٢) س: محاله.

(٣) التأييد: دفعناه.

(*-٤) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٥) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٦) انظر: تأييد الحقيقة، ٦٧.

(٧) في الأصل: «لتلك»، والمثبت من التأييد، ٦٨.

(٨) انظر: تأييد الحقيقة، ٦٨.

ظ٧

ظنُّوا أنَّ الفقرَ والتَّصوُّفَ أذكارٌ مشهورةٌ، ^(*) ومناماتٌ | معبورةٌ ^(١)، وخيالاتٌ
مذكورةٌ ^(٢)، فتقيَّدتْ بهم أذهانٌ محصورةٌ، وأفكارٌ مأسورةٌ، لم تصحَّبْ فُحولَ
الرِّجالِ، ولم تشربْ من ماءِ المعارفِ الزُّلالِ، بل زلَّتْ منها الأقدامُ، وتحكَّمتْ ^٣
فيها الأوهامُ، ودار في خلدِها للعقولِ الإيهاُمُ، وجعلوا التَّلَبُّسَ بشعارِ الفقرِ
مأكلَةً، والتقدُّسَ بذكرِ اللهِ بينهم مَشغَلَةً، وللتأنُّسِ ^(٣) بالمُعاشرةِ عن المبادرةِ
للطاعةِ مكسَلَةً ^(٤). وتلك حالةٌ لمن تأملها مُشكِلةٌ، وفتنةٌ لمن جهلها ^(٥) مُذهلةٌ، ^٦
ولكنَّ طبعَ اللهِ على قلوبِهِم وكانوا مِنَ الغافلينَ، وختمَ على سَمعِهِم فلم يكونوا
لنصيحةِ بالقائلينَ، ولا للعدُولِ عن الضلالِ إلى الهدى بالعائدينَ.

فقد سمعتُ - بمكَّةَ المُشرفَةِ - والدي أبا العباسِ أحمدَ بنَ عليِّ القَسطلانيِّ ^٩
يقول: سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ القُرشيَّ يقول: لو لَمْ ألقَ مِنَ المشايخِ مَنْ
رأيتُ ^(٦) لتوهَّمتُ أنَّ الطريقَ ما عليه الناسُ اليومَ، وما عندَ القومِ ^(٧) مِنَ الطريقِ
إلاَّ الإِسْمُ، إلاَّ مَنْ سَلَكَ منهم على التحقيقِ. ^{١٢}

و٨

| قلتُ: فإذا قال هذا في عصره، فما ظنُّكَ بهذا العصرِ الذي نحن فيه
الآن؟! ^(٨). فاللهُ المستعانُ على قطعِ دابرِ العُدوانِ، ونحن نُنشدُ في هذا الزمانِ ما
قد قيل في تبدُّلِ الأوطانِ بالسُّكَّانِ: ^{١٥}

(١) التأييد: مستورة.

(*)- (٢) لا يوجد في: ع.

(٣) س: التأنُّس.

(٤) انظر: تأييد الحقيقة، ٦٨.

(٥) ع، س، التأييد: تعقلها.

(٦) التأييد: لقيت.

(٧) التأييد: الناس.

(٨) انظر: تأييد الحقيقة ٦٨. وهذه العبارة بمثابة نعي من القسطلاني على بعض الصوفية في عصره، الذين لا حظ لهم في التصوف إلا أنهم أدعياء، ونقلها السُّبُوطي تعبيراً عن عصره الذي عاش فيه هو.

[الطويل]

فَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَاهَدْتَهُمْ وَلَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتَ تَعْرِفُ^(١)
 وَمَا كُلُّ مَنْ تَهَوَّى يُحِبُّكَ قَلْبُهُ وَلَا كُلُّ مَنْ صَاحَبْتَهُ لَكَ مُنْصِفٌ ٣

ولما رأيت الأمر في ذلك تفاقم، والوصف تجاوز الحد وتعاضم، أملت للغافل
 عند الاقتداء بما نحوناه له تحصيل النجاة، والعامل في الإهتداء بما رسمناه له
 وأتباع سبيل الهداة لنجاة القوم العواة، وما لم تُحصِر المقاصد بالترتيب، تبدد
 النظام ولم يندرج في سلك التهذيب، وها نحن نحصر ذلك في مقدمة وطرفين
 وتتممة:

أما المقدمة، ففي فصيحة^(٢) كاشفة عن أحوال المغترين من المتوجهين،
 واصفة لما تحيلت به الأنفس من الطرق لكي تُعدَّ بين الناس من المتصوفين^(٣)
 | المتزهدين.

٨ظ

وأما الطرفان، فأحدهما: في بيان شرف العلم وأنواعه وآدابه، (*وما يتميز به
 من الشرف*)^(٤) من جد في طلبه.

وثانيهما: فيما يلزم من عانى طريق السلوك إلى الله من الوظائف، وفي^(٥) بيان
 ذكر المقامات والأحوال التي يأتي^(٦) بها أهل السلوك جملة الطوائف، حتى يتميز
 بعلمها من تسمو همته إلى طلب المعارف.

(١) س: أعرف

(٢) ع، س: نصيحة.

(٣) ع، س: المتعبدين.

(*-*) (٤) لا يوجد في: س.

(٥) س: في.

(٦) باين.

وأما التتمّة، ففي الرياضة والخلوة التي هي من نعم الله أتم العوارف. ولما تمّ
 ما رُمناه بما قد حصرناه، وعلم ما به قد وسّمناه، انتهى بنا الكلام فيما قصدناه،
 فلنشرع فيما ذكرناه، والله أعلم.

القول في المقدمة

- ٣ إَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَقَامَ هَذَا الدِّينَ، وَأَيَّدَ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ الْمُطَهَّرَةَ بِطَائِفَتَيْنِ: (*عُلَمَاءِ الظَّاهِرِ، وَعُلَمَاءِ الْبَاطِنِ*^(١))، فَإِنَّ الدِّينَ إِنَّمَا اسْتَقَامَ نِظَامُهُ، وَاسْتَدَامَ مَرَامُهُ بِحَالَتَيْنِ: بِسَنَانٍ، وَبِيَانٍ. أَمَّا السَّنَانُ فَلِلْمُعْتَدِينَ، وَأَمَّا الْبِيَانُ فَلِلْمُهْتَدِينَ.
- ٦ وَمَا شَاهَدْنَا مَا انْتَشَرَ فِي الْفَرِيقَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ | مِنَ الْخَلَلِ فِي عَصْرِنَا، وَاشْتِهَارِ مِنْهُمْ^(٢) مِنَ الزَّلَلِ بَيْنَ أَبْنَاءِ دَهْرِنَا، حَدَانَا^(٣) ذَلِكَ عَلَى النَّصْحِ وَالشَّفَقَةِ^(٤) لِمَنْ يَرِغِبُ فِي الْإِهْتِدَاءِ مِنَ النَّوْعَيْنِ، وَيَرْهَبُ مِنَ الْإِعْتِدَاءِ فِي الْجِهَتَيْنِ، بِيَانِ رُتْبَةِ الدَّاعِيْنَ، وَمَا يَقْصِدُهُ مَنْ يُعَدُّ لِحَنَابِ اللَّهِ مِنْ جُمْلَةِ السَّاعِيْنَ^(٥).
- ٩ أَمَّا رُتْبَةُ الدَّاعِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْلَى الرُّتَبِ وَأَعْرَفِهَا وَأَمْكِنَهَا فِي زِيَادَةِ السَّعَادَةِ وَأَشْرَفِهَا. وَهِيَ رُتْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] فَسَمَتْ هِمَّةً طَائِفَةً إِلَى الدَّعَاءِ (*إِلَى اللَّهِ*^(٦))، وَرَأَتْ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ تَكْثِيرِ الْخَيْرِ فِي الْوُجُودِ، وَتَقْلِيلِ الشَّرِّ، وَذَلِكَ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ^(٧).
- ١٥ وَتَوَقَّفت طَائِفَةٌ عَنِ ذَلِكَ؛ لِاسْتِغَالِهَا فِي حَقِّ نَفْسِهَا بِمَا هُوَ الْأَوْلَى مِنَ التَّوَجُّهِ لَهَا، وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ: إِنَّ كَانَتِ الْهِمَّةُ قَدْ اسْتِغَلَّتْ بِاللَّهِ حَتَّى أُقِيمَتْ دَاعِيَةٌ لَهُ بِغَيْرِ مُعَانَاةٍ مِنْ خَارِجٍ، فَإِنَّهُ يَتَعَيَّنُ الْإِجَابَةُ، وَإِنْ كَانَتِ الْهِمَّةُ عَلَى الدَّعَاءِ عَامِلَةً، فَإِنَّهَا مَحْجُوبَةٌ جَاهِلَةٌ، وَلِحُظُوظِهَا مِنْ طَلْبِ | الظُّهُورِ وَاصِلَةٌ، وَقَدْ

(*-١) س: علماء الظاهر والباطن.

(٢) ع، س: بينهم.

(٣) التأيد: هداانا.

(٤) التأيد: التفقه.

(٥) انظر: تأييد الحقيقة، ٦٨.

(*-٦) لا يوجد في: س.

(٧) انظر: تأييد الحقيقة، ٦٩.

حصل الجهل في زماننا هذا برتبة الداعي والمدعو، والغفلة عن الفهم بحال^(١) الراجي للنجاة والمرجو، والنظر في ذلك من الأمر المهم في الدين، لكيلا يلتبس طريق المحقين بطريق المبطلين.

٣

فإذا: التمييز بين الدعاة قاعدة عظيمة في هذا الشأن^(٢)، وإنما يتطلع^(٣) إليها من رزق باطنه شيئاً من التوقان^(٤)، وكان أميناً في إشرافه على نفسه بنور قدسه وسلامة حسه، وتلك ضالة لا توجد، وفي حالة توقعها من لطف الله يقصد. ٦
فالدعاة أربعة: داع بالله إلى الله، وداع بالله إلى سنة الله على السنة رسوله، وداع بالله إلى حكمة الله، وداع إلى حُطوطِ نفسه بطريق الله^(٥).

٩

الأول^(٦): الداعي إلى الله: (*ذلك هو المقرب*^(٧)) الملحوظ، المفارق للحُطوطِ، المرافق للأُنس، الموافق للقدس، الذي نُصبت له أعلام الإعلام، وضربت على رأسه طبول الأفهام للإفهام، يدعو إلى الصدق في العمل والإخلاص، ويهدي من ضل إلى طريق المعرفة بالله والإختصاص^(٨).

١٠

١٢

قال الله تعالى في حق رسوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُبِيرًا﴾

[الأحزاب: ٤٦].

(١) س: ل حال.

(٢) انظر: تأييد الحقيقة، ٦٩.

(٣) س: يطلع.

(٤) س: الفرقان.

(٥) انظر: تأييد الحقيقة، ٦٩.

(٦) لا توجد في: س.

(٧*-٧) س: ذلك المقرب، التأييد: هو أقرب.

(٨) انظر: تأييد الحقيقة، ٦٩.

الثاني^(١): الداعي إلى سُنَّةِ الله: وهي العِلْمُ بالأحكامِ مِنَ الحلالِ والحرامِ، مُبَصَّرٌ
للسالكينَ بطريقِ المهتدينِ السابقين^(٢)، قال عليه السلام: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ
كَأَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهِ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ
عَلَيْهِ وَزْرٌ مِمَّنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ وَزْرِه شَيْئًا»^(٣).

الثالث^(٤): الداعي إلى حكمة الله: وهو الداعي إلى العِلْمِ بأحكامِ
الظاهرِ والباطنِ مِنْ عِلْمِ الشريعةِ والحقيقة: بِيَانِ عِلْمِ الخَوَاطِرِ وَعِلَلِهَا،
وصفاتِ النفوسِ وآفَاتِهَا، وطُرُقِ البحثِ عن دسائسِها^(٥). قال الله تعالى:
﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:
١٠٨]، والداعي لا يخلو مِنْ مُسْتَجِيبٍ، كَثْرَةً أَوْ قَلَّةً، عَلَى قَدَرِ مَا سَبَقَ مِنْ
ذَلِكَ فِي الأزلِ، كما أَخْبَرَ النبيُّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأنبياءُ، فرأيتُ
النبيَّ وَمَعَهُ الإثنانِ والثلاثةُ | والواحدُ، والنبيَّ وَلَا تابعَ معه»^(٦). فبيّنَ بذلك
حُكْمَ التبعيَّةِ، والداعونَ بالحقِّ: هُمُ وِرَثَةُ الأنبياءِ، وبالباطلِ: هُمُ وِرَثَةُ الشياطينِ.
فالداعي إلى الله أَقلُّهم تابعًا؛ لِمَشَقَّةِ ما دَعَا إِلَيْهِ، والداعي إلى سُنَّةِ الله تابعه كثيرٌ؛
لمازجةِ النفسِ فيما^(*) أتى به^(٧) مِنَ الأفعالِ. فطلب^(٨) الأعواضَ على الأعمالِ.

(١) لا توجد في: س.

(٢) انظر: تأييد الحقيقة، ٦٩.

(٣) انظر: سنن أبي داود، ٤٦١١؛ وسنن الترمذي، ٢٦٧٤؛ وسنن ابن ماجه، ٢٠٦؛ وصحيح ابن
حِبَّان، ١١٢.

(٤) لا توجد في: س.

(٥) انظر: تأييد الحقيقة، ٦٩.

(٦) انظر: المعجم الكبير، ٩٧٦٥؛ ومسنند أحمد، ٣٨٠٦؛ ومصنّف عبد الرزّاق، ١٩٥١٩؛ وصحيح
ابن حِبَّان، ٦٤٣١.

(*)- (٧) س: تأتي.

(٨) ع، س، التأييد: وطلب.

والداعي إلى حكمة الله أقلُّ تابعًا منه؛ لعزّة الوصولِ إلى ما يدعُو إليه من طهارة النفس وتزكيتها.

- الرابع^(١): الداعي لِحِظِّهِ مِنْ رَبِّهِ: بتوَهُم النفسِ منه القربة^(٢)، *^(٣) ولمن خَلَّصَهُ مِنْ عَتْبِهِ^(٣*)، فهو يَظْهَرُ لِلخَلْقِ بِصُورِ الطاعاتِ ومُعَاناةِ الخُشُوعِ فِي الحَرَكَاتِ والسَّكَنَاتِ، ومُلازِمَةِ الأذكارِ والخَلُواتِ. فباطنُهُ مَعْلُومٌ^(٤) بِالآفاتِ، وَسِرُّهُ مَشْحُونٌ بِالجَهالاتِ، وما وُفِّقَ حَتَّى يُرْزَقَ لَهُمَ ما هو عليه دَلالاتِ، فهذا الداعي هو أَكْثَرُ الدُّعاةِ تَبَعًا، وأرْفَعُهُم فِي صُدُورِ العامَّةِ مِكانَةً وَمَوْضِعًا، وَأَجْلُهُم فِي ظاهِرِ الحالِ مَوْقِعًا؛ لِمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَابِعِهِ مِنْ | المُناسِبَةِ فِي المِجانِبَةِ لِلخِلاصِ مِنْ رِقِّ النَّفْسِ، والمُقارِبَةِ لِدَنَسِها، والمُصاحِبَةِ لِهَوَسِها، والمِشارِكَةِ لها فِي مَقْصِدِها، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الحَدِيثِ أَنَّ «الأرواحَ جُنُودًا مُجَنَّدَةً» فِي الإِئتلافِ والاختلافِ، والإِنْكارِ لِلتعارُفِ والاعْتِرافِ، قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَناسٍ مَشْرَبُهُم، وَفَهُمَ كُلُّ فَرِيقٍ مَطْلَبُهُم^(٥)، فَهُمَ عَلى ما قامَ بِهِم مِنَ الوَهْمِ يُدانُونَ^(٦)، وَفِما دامَ عَلَيْهِمَ مِنَ البُعدِ عَنِ القُرْبِ يَرِغِبُونَ.

١١ و

- ثمَّ الدعاةُ تُخْتَلَفُ عَلى وَجوه: أَحَدُها: دَاعٍ إِلَى الغِنى^(٧) بِاللَّهِ، مِنْ حَيْثُ اعْتَناهُ بِالإِيجادِ لَهُ ابْتِداءً. قالَ تَعالَى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩].

- وثانِيها: دَاعٍ بِالْفقرِ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ ذلِكَ وَظيفَةُ العُبودِيَّةِ. وثالثُها: دَاعٍ بِالأخلاقِ الرِحمانيَّةِ الرِحمِيَّةِ، وَهي إِقامَةُ اللُّطْفِ والعُنْفِ فِي البشريَّةِ.

(١) لا توجد في: س.

(٢) س: لقربه.

(٣) س: وطن خلاصه من عتبه.

(٤) س: مغلول.

(٥) مطموسة في الأصل، والمثبت من ٧٣ و. وفي ع، س: مشربهم.

(٦) ع: يدأبون.

(٧) الغناء.

- ورابعها: الأخلاقُ الإلهية. فهذه هي (١) أجلُّ الدعواتِ المرعية، فقد ورد في الحديث: «تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ» (٢)، أي اتَّصِفُوا بِصِفَاتِهِ. وبه تمَّ الكلامُ في رتبة الداعين. ٣
- وإنما (٣) ينبغي أن يعتمدَ الداعي المتوجِّهُ إلى الله في سيره وما يجتنبه من الفعلِ المُقَرَّبِ له من شرِّه، المُبَاعِدِ له عن خيرِه، وما يتخلَّقُ به من الأخلاقِ الحميدة، وما يتحقَّقُ فيه من الأفكارِ السديدة. فإنَّا نقول: يُقال: لكلِّ مقامٍ مقالٌ، ولكلِّ عملٍ رجالٌ. ٦
- وإنَّ طريقَ القومِ لَمَّا أندرس رَسْمُهُ، وبقي اسمُهُ، وانطمس منه الأثرُ، واقتبسَ عنه الخبرُ، وذهبت تلك العصابة، انقرضت به الصِّبابة، واعترضت منه الصِّبابة، وصاروا آحادًا في البلادِ، وأفرادًا في الجِدِّ والاجتهادِ، فهُم خاصَّةُ الله من خلقه، وخلاصتُه المُجتازون في أرضه لإقامة حقِّه، تجلَّى على أسرارهم فطهرها، وتولَّى حراستهم في أفكارهم فنورَها، فهُم الداعونَ إلى بابِه، المُعترفون (٤) بعلى جنابه، الموقوفون على ما أشكَلَ من عِلْمِ الطريقِ على أربابه، المُبصِّرونَ من غشيِّ بصره عن إدراكِ الأنوارِ، المُذكِّرونَ لِمَنْ عَظَّمَ نفسَه بالاستكثارِ (٥)، ونظرَ إلى غيره بعين الإزدراء والاحتقار، فتعاطى من المراتبِ أعلاها | ومن المذاهبِ ١٥
- أغلاها، ومن المناصبِ أولاها، تردَّى برداء الكِبَرِ في النَّفسِ، وتعدَّى على الكُبراء بما عاناه من اللُّبْسِ، فهو أصمُّ عن استدلالِ (٦) الهدى، أعمى عن النظرِ في حال أهلِ التُّقى، لا يُجيبُ داعيَ الله إذا ناداه، ولا يُصيبُ من (٧) الصوابِ فيما له من الحُكْمِ على نفسه عاناه، قد استولى على عقله حبُّ الرِّياسة، فأماله عن سواء ١٨

(١) ع، س: وهذه.

(٢) انظر: تأييد الحقيقة، ٦٩.

(٣) س: وأما ما.

(٤) س: المعروف.

(٥) ع، س: بالاستكثار.

(٦) ع، س: استتاع مقال.

(٧) لا توجد في: ع، س.

السبيل، واستعلى إلى حالة يتقيها العالم، ويتراعى لها الجاهل بالدليل، فتراه لا يرعوي من تيهه لعذل عاذل، ولا ينتهي عن غيه^(١) لنصح فاضل، لبي^(٢) نفسه مرادتها^(٣) فقدفت به في المهاوي، وما صحب من يبصره بعيوبها وما قد انطوت^٣ عليه من المساوي، وتوهم أن الطريق المأم بخدمة، أو إطعام للقممة، ولقد وهم فيما علم، وندم على ما عليه قد قدم.

وقد حرس الله هذه^(٤) الطائفة عن امتداد^(٥) يد التلاعب^(٦) بما أقام لها من الرؤساء^(٧) العالمين بها، في الآتي من الزمن والذاهب، يدبون^(٨) | عنهم طعن الطاعن، وجهل الجاهل، ويميزون بين المنقطع عن الله والواصل، ويعرفون سلوك الطريق لطالبه^(٩)، (*فهم يوقفون*^(١٠) على الصواب من لم يهتد إلى مذهب^(١١))، لا يبالون عن^(١٢) اعتراض جاهل أو عالم، ولا يأخذهم^(١٣) في الله لومة لائم^(١٤).

وعلم هذه الطائفة تشارك باقي^(١٥) العلوم في العقل والنقل المفهوم، وتميز عنها بالذوق والمنازلة، والوجد في المعاملة^(١٦)، قد علم كل أناس مشربهم فهم^{١٢}

(١) س: عينه.

(٢) س: ربي.

(٣) س: بمرادتها.

(٤) مطموسة في الأصل، والمثبت من: س، التأيد، ٧٠.

(٥) التأيد: ابتداد.

(٦) التأيد: المتلاعب.

(٧) مطموسة في الأصل، والمثبت من: ع، س، التأيد، ٧٠.

(٨) نفسه.

(٩) نفسه.

(*-١٠*) س: ويوقفون.

(١١) التأيد: مذهبه.

(١٢) التأيد: من.

(١٣) س: تأخذه.

(١٤) انظر: تأيد الحقيقة، ٧٠.

(١٥) مطموسة في الأصل، والمثبت من: ع، س، التأيد، ٧٠.

(١٦) انظر: تأيد الحقيقة، ٧٠.

- فيه يكرعون، وفهم كل فريق مطلبهم فهم إليه يسرعون، فأين^(*) المعترف بما فيه^(١) نجاته ونجاة تابعيه،^(*) المتوقف عما فيه هلاكه وهلاك طائعيه؟!^(٢)، هلك من تعين من التابع والمتبوع، وسلك كل منهم غير الأمر المشروع، وحكمت الأنفس عليهم وفيهم، فما^(*) عرجوا بعد الموعظة عن النزوع، وتحكمت فيهم الغفلة، فما^(٣) استيقظوا للإقلاع عنها والرجوع، اشتغلوا بعمارة ظواهرهم عن مواطنهم، وبإصلاح معاشهم عن النظر في معادهم، جعلوا الفقر حرفة بها يكتسبون^(٤)، ودكاكين لها يعمرن، ومقاصد فيها يدأبون، وتوهموا أنهم مع ذلك إلى الله واصلون، كلاً إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، فهم فيا هم عليه من الحظوظ يعملون، وله من طلب رئاسة الأنفس يميلون ويقصدون، ولكثرة الأتباع وجمع المتاع يرغبون وفيه يجتهدون، جلبوا العوام بلين في الكلام^(*) وبذل الطعام^(٥)، وناموس فيما راموه من إقامة النظام، وأوهموهم أنهم بذلك داعون لهم إلى القرب من الملك العلام، وأنى لواقف مع عوائد الحظوظ إلى شم رائحة من هذا المقام؟!، فكيف بأن يبقى قدوة للأنام؟!، وظنوا بأن الطريق خرقه تلقى على الجسد أو الراس، وما هو ذلك^(٦)، بل هو^(٧) خرقه تبقى على ممر الأنفاس، أو ذكر بالعشي والإبكار، يجتمع عليه قوم من الأختيار أو الأشرار، وما هو بذلك، بل ذكر في القلب مستور عن الأغيار، أو ذكر^(*) عظمة الله^(٨) | الأمر والنهي وهو أعظم الأذكار، أو سفرة تمذ لمن ورد من الزوار، وما هو بذلك، بل مدد من سفر الفكر في بيداء الافتقار، أو رقص وسامع وانخلاع وانطباع بين

(١*-*) في الأصل: المستغرق. والمثبت من: ع، س.

(٢*-*) لا يوجد في: ع.

(٣*-*) لا يوجد في: ع. [انتقال نظر].

(٤) س: يكسبون.

(٥*-*) س: وبذل في الطعام.

(٦) ع، س: بذلك.

(٧) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٨*-*) س: وتظافر بها.

شبابٍ ونسوان، وماكِلٌ متنوعَةٌ من أعداد ألوان، أو رَبِطٌ جَمْعٌ مِنْ (١) ضعفاء الأذهان على مناماتٍ مبنيةٍ على خيالاتٍ واهيةٍ الأركان، ارتبطَ عليها مَنْ كان في ذهنه قليل المحصول، فاغْتَبَطَ (٢) بها مَنْ ظَلَّ في غايةٍ مِنَ الذُّهولِ عن عِلْمٍ مِنْ ٣ المنقول والمعقول.

فهذا القَدْرُ لا دلالةَ فيه على ولايةٍ ولا صلاح، ولا عِبْرَةَ به عند مَنْ هو مجتهدٌ في طلبِ فلاح، فَإِنَّ النصرانيَّ قد شاركَ المسلمَ في هذه الفضيلة، ونسب ٦ أهل الطريق مَنْ وقفَ معها إلى غاية الرذيلة، والعلَّةُ في المشاركة بين المسلم والكافر في هذا الأمر الظاهر أَنَّ الأنْفُسَ لها تطلُّعٌ إلى إدراك ما في عالم الغيب، وتشوُّفٌ (٣) إليه، فَإِنَّهَا عالمٌ لطافةٍ، وإِنَّا جاوزتِ الكثيفَ، واقتبست (٤) منه بعضَ | الكثافة، ٩ فهي مأسورةٌ محصورةٌ، عن مُرادِهَا مقصورة. فإذا ضُربَتْ بسوْطِ الرياضة، مِنْ قلةِ الأكلِ والشُّربِ والنوم، ترقَّتْ إلى الفهم والإدراك، وتعلَّتْ إلى مركزها العادل بها عن الوقوعِ مِنَ المَهاوي والأدراك، وأخبرت عن الوقائع لِمَا (٥) حصل ١٢ لها مِنَ الإشراقِ (٦) ووصل لها مِنْ معدِنِ الألفافِ، ومهما غلب على النفس مِنْ الفِكرِ ظهر لها في عالمِ الصُّورِ (٧)، وهذا ليس مِنَ الطريقِ لا في وردٍ ولا صدر، بل هو حِجابٌ يَعُدُّهُ العارفون بالله أتمَّ خطرٍ وأعظمَ ضررٍ، فلا تلبسِ المَسالكُ ١٥ على السالكِ، فَإِنَّه لَنْ يَهْلِكَ على الله إِلَّا هَالِكٌ، وكذلك مَنْ تَظَاهَرَ بالبَّلهِ والولِّه، *وتَظَاهَرَ بِمَا* (٨) بِيَدِيهِ على لسانه من السَّفه، وإِنَّه يفعل ذلك تخريبًا على العَوامِّ، وتنفيرًا لمن يتعلَّقُ بمحبَّةِ أولي الأفهام، وهذا مِنَ الإيهامِ في الأوهام، والإقدامِ على ١٨

(١) س: بين.

(٢) س: واغْتَبَطَ.

(٣) س: وتشوق.

(٤) س: فاقتبست.

(٥) س: بما.

(٦) س: الاشراف.

(٧) س: الصبور.

(*-٨) س: وتظافر بها.

الآثام، وما ظنَّ أنه به للخلق عنه يُنْفَرُ، فإنه يجمع (* به عليه*) منهم مَنْ هو في خطره مُقَصَّرٌ، فقد وقع (*فيما منه فرّ من الضرر*) | واكتسبَ وزراً ظاهراً آيلاً ١٤ ظ
 به إلى الخطر، ولئن استغفرَ في سرِّه مِمَّا منه ظَهَرَ من سُخْفِهِ وهَجْرِهِ؛ فلقد صدقَ ٣
 القائل عند أولي التَّبَصُّرَةِ: «تَرَكَ الذَّنْبَ وَلَا طَلِبُ الْمَغْفِرَةِ».

وهذا عُدُولٌ عن اتِّبَاعِ طريقِ السلفِ الصالحِ، وحصولٌ على تعجيلِ الملامِ ٦
 باجتناِبِ الطريقِ الواضحِ، وتلييسٍ مِنَ النفسِ بالملايسةِ للمأثمِ الفاضِحِ، ونقصٌ
 عند التأمُّلِ والاعتبارِ، فإنه اشتغالٌ عن الله بالأغيارِ، وعمارةِ الأسرارِ بالأفكارِ.
 وكذلك مَنْ عانى أَكْلَ الحياتِ ودُخُولَ النَّارِ، إيهامًا لضعفاءِ العقولِ أن ذلك ٩
 مِنْ أحوالٍ تُوجَدُ، وإنما هو عن حركاتٍ وحيلٍ في المَكْرِ تَرْقى وتصدُّ، وقوَّةٍ
 في النفسِ تبقى وتمهِّدُ.

وقد تَلَفَ بذلك منهم طوائفٌ، ومع ذلك فإنَّ أنفُسَهُمْ على تلك الجَهَالَةِ ١٢
 عواكفُ. فلا يظُنُّ بنا ظانُّ أننا نُنكِرُ كراماتِ الرجالِ عند غَلَباتِ الأحوالِ، وإنما
 نُنكِرُ على مَنْ يتعاطى ما ليس له ضروبٌ مِنَ الإحتيالِ؛ ليستميلَ به العقولُ
 الوالجة في ظلمةِ الإحتيالِ | والاختبالِ، ويتظاهر بحالةِ إخفاؤها هو مِنَ المطلوبِ ١٥
 مِنَ العُمَالِ في جملة الأعمالِ.

كما رُوي عن الفُضَيْلِ بنِ عِيَاضٍ أنه كان على جبلٍ من جبالِ مِثْيَ، فقال: ١٨
 لو أنَّ وُلِيًّا من أولياءِ الله أمرَ هذا الجبلَ أن يَمِيدَ لَمَادًا. قال: فتحرَّكَ الجبلُ. فقال
 له (٣): «أُسْكُنْ لِمَ أَرَدْتُكَ بهذا» فسكَّنَ الجبلُ (٤).

فالكراماتُ حقٌّ عند أكثرِ العلماءِ الأعلامِ، وأكملُها إيدالُ النقصِ بالتمامِ، كما
 قال سهلُ بنُ عبدِ الله: «أكبرُ الكراماتِ أن تُبدَلَ خُلُقًا مذمومًا مِنْ أخلاقِكَ» (٥).

(١*-*) مطموس في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٢*-*) س: وتظافر بها.

(٣) لا توجد في: ع، س.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ٦٧٨؛ وتاريخ دمشق، ٤٨: ٣٩٩.

(٥) انظر: الرسالة القشيرية، ٦٧٩.

وفي معنى ما ذكرناه طوائفٌ تتصدى لخدمة الأمراء والكبراء بالتردد إلى أبوابهم للإلتحافِ من جاههم بفضلِ أثوابهم، واعتذارهم بأن ذلك ليس لحظاً^(١) أنفسيهم، وإنما هو لأجل غيرهم من تفريجِ كربةٍ عن مضطهدٍ^(٢)، أو إيصالِ حقٍّ لمن يستحقُّه، أو أنهم داعون لهم إلى جنابِ الله وتعظيمه ومحببون لهم إلى هذه الطائفة، وممكنون لتعظيمها في صدورهم.

١٥ ظ

وهذه كلها أعداءٌ | يسامح فيها من ليس له بغيوبِ النفس^(٣) استبصاراً، أما من هو مُشترَفٌ^(٤) على غيوبها، مُطلعٌ على دسائسها، فإنه يندبُ هذه المقالة، وينقُضُ هذه الدلالة، ويقول: لا^(٥) عدولَ عن مذهبِ السلامة، ودخولِ في متعبِ^(٦) الملامة، إذ المتوجُّه مشغولٌ عن الاتِّساعِ لهذه الأوضاع، فإنَّ النفوسَ للمفاسدِ بالمصالحِ مُزَيَّنةٌ، وهي لكلِّ أحدٍ فيما تُدخله فيه أبداً مُحسَّنةٌ، وإنما يعمل على التمييزِ بين مقاصدها من له نظرٌ سديدٌ في مصادرها ومواردها، فمن لم يَزَجُرْ^(٧) نفسه عن مطالبها، ولم يَنْفِرْ بعزمه عن تكاليفها؛ ألقته في أودية الهلاك، وأوقعته فيما نصبت له من الأشرار، واختطفته كاختطافِ الشباكِ للأسماك.

ويلتحقُ من الطوائفِ بهؤلاء من يتصدى^(٨) لذكرِ مناماتٍ في أوقاتٍ^(٩) حالاتٍ، وإيهاماتٍ في أوقاتٍ بمصادفاتٍ لإصاباتٍ، ومصادماتٍ في إخباراتٍ، وبناء أمكنةٍ لاجتماعاتٍ على صورِ طاعاتٍ وإقامةِ دعاةٍ إليه بأنه الشيخُ المكاشفُ

١٦ و

(١) س: بحظ.

(٢) س: مضطر.

(٣) ع، س: الأنفس.

(٤) ع، س: مشرف.

(٥) ع، س: هذا.

(٦) س: معتب.

(٧) س: يرجأ.

(٨) س: يتعدى.

(٩) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: س.

المعول عليه، وأن المشايخ يقصدون زيارته والمثول بين يديه، فيلين^(١) إليه بذلك قلب السامع، ويلين^(٢) ما قسا من قلبه بما أودعه الداعي في المسامع، وهذه طرق كلها للأغراض مُحَصَّلَةٌ، وإلى ما ينبئ^(٣) عنه العقلاء من الأمراض مُوَصَّلَةٌ، وهذا عدول عن الطريق الواضحة، ووصول إلى الرذائل الفاضحة.

وإعلم أن طائفة المتوجهين امتحنوا بثلاثة أصناف، يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا: ممنكر لطريقهم وأحوالهم، ومُعترف بها عالم ذلق اللسان، طلق البيان، أدخل فيها ما ليس منها، وأوهم أن ذلك العلم هو عين التحقيق المتعين عنها، ومُعترف بها، جاهل بآدابها وشروطها، اتخذ له أتباعًا، وقرّر لهم أوضاعًا^(٤).

٩ **الصنف الأول:** المنكر لعلوم هذه الطائفة، الواقف مع غرور نفسه، العاكف على ظلام حسنه، فهذا عدو ظاهر، واجتنابه سهل، والحدز منه ممكن، فلا حاجة إلى الإشتغال بما هو عليه | من الإختلال^(٥).

١٦ظ

١٢ **الصنف الثاني:** العالم المُعترف ظاهراً بالطريق، المُعترف - بزعمه - من بحر التحقيق، الذي اشتغل بعلوم الأوائل، وأوهم أنها داخله في علوم القوم، راجحة - في معتقده - على علوم الشريعة، أُعطي لساناً مُعبراً عن مقاصده، مُترجماً عمّا في ضميره، واصطلاح مع نفسه وأتباعه بمصطلح مُوهم في أوضاعه، وقرّر في آذانهم^(٦) أنه المشار إليه في عصره، وأن المدار عليه في طيه للعلوم ونشره^(٧).

(١) س: فيميل.

(٢) س: وبين.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٠.

(٥) نفسه.

(٦) س، التأييد: أذهانهم.

(٧) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٠.

- وَأَنَّ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ يَغْتَفُونَ الْعُلُومَ مِنْ بَحْرِهِ، وَهُمْ جَمَاعَةٌ زَعَمُوا أَنَّهُمْ جَاسُوا
 خَلَالَ دِيَارِ الْمَعَارِفِ، فَأَفْسَدُوا بِذَلِكَ عَقَائِدَ مَنْ سَارَ^(١) صَحْبَهُمْ مِنَ الطَّوَائِفِ،
 ٣ واعتقدوا قِدَمَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَشْبَاحِ، وَامْتَزَجَ الْمَوْجُودَاتِ الْمَتَمَثِّلَةِ وَالْمُتَضَادَّةِ أَزْلاً
 وَأَبْداً^(٢)، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُتَشَكَّلٌ^(٣) فِي الصُّورَةِ هُوَ عَيْنُ الْمُتَشَكَّلِ الْآخَرِ، كَالْفِيلِ
 مَعَ الْبَقَّةِ، إِلَى هَذَايَا لَا يَقُولُهُ مُحْصِلٌ، وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ لِلْفَرْقِ بَيْنَ الْحَقِّ
 ٦ وَالْبَاطِلِ مُتَأَمِّلٌ، وَأَوْهَمُوا أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْوَحْدَةُ، | وَأَنَّهُ عَيْنُ التَّحْقِيقِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ،
 وَهُوَ عِلْمُ الْإِحَاطَةِ الَّذِي مَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ صِحَّتَهُ قَصَرَ فَهْمُهُ، وَكَثُرَ وَهْمُهُ، وَكَانَ
 مَحْجُوبًا عَنِ الْعُلُومِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالْمَكَاشِفَاتِ الْغَيْبِيَّةِ^(٤).
- ٩ وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْهُمْ دَعْوَى لَا بُرْهَانَ يَعْضُدُّهَا، وَلَا إِيمَانَ يَسْنُدُّهَا، اغْتَرَبَهَا مَنْ
 اسْتَمَعَ مَا أَلْقَاهُ إِلَيْهِ، وَنَبَا عَنْهَا فَهَمُّ مَنْ اسْتَقَرَّ^(٥) الْحَقُّ لَدَيْهِ. وَهَؤُلَاءِ هُمْ مُبَايِنُونَ
 لِعُلُومِ^(٦) التَّحْقِيقِ، مُحَافِظُونَ عَلَى الْمَبَاعِدِ لِذَقِيقِ التَّوْفِيقِ، تَخَطَّوْا بِزُخْرُفِ الْمَقَالِ
 ١٢ رِقَابَ أَرْبَابِ الْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ، وَاعْتَقَدُوا فِيهِمْ أَنَّهُمْ مِنَ الْجُهَّالِ الضُّلَّالِ.
 فَكَانُوا نَقْمَةً عَلَى الْمَسْتَمْعِينَ، وَفِتْنَةً عَلَى الْمُتَوَجِّهِينَ^(٧).

الصف الثالث: الجاهل بعلوم هذه العصابة الذين هم أهل الخشية والإنابة،

- ١٥ الَّذِي جَعَلَ التَّلْبِيسَ^(٨) بِشِعَارِهِمْ وَسِيلَةً إِلَى صَدِّهِ عَنِ الْعِلْمِ وَإِعْرَاضِهِ^(٩)، وَالدَّخُولِ

(١) لا توجد في: ع، س.

(٢) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٠.

(٣) التأييد: مُشكَّلٌ.

(٤) في الأصل: العينية، والمثبت من: ع، س، التأييد.

(٥) التأييد: استقرَّ.

(٦) التأييد: لعلم.

(٧) انظر: تأييد الحقيقة، ٧١.

(٨) في الأصل: التلبس، والمثبت من: ع، س، التأييد.

(٩) انظر: تأييد الحقيقة، ٧١.

- في غمارهم حيلةً في (*نَيْلٍ مقاصده*^١) وأغراضه، وإطعامَ الطعام وسيلةً^(٢) إلى بلوغ المرام، والاجتماع على^(٣) الأذكارِ سُلْمًا إلى بلوغ الأوطارِ، ولُبْسِ | اللِّيفِ ١٧ظ
 والشُّعْرِ جَلْبًا لمعتقدِ البشرِ، وتركِ الخبزِ والماءِ ربطًا لعقولِ الأغبياءِ مِنَ الضُّعفاءِ، ٣
 والارتقاء للوعظِ على المنابرِ صَرْفًا لوجوهِ العوامِّ إليه في المحافلِ والمحاضرِ، والسعيِّ في قضاءِ حوائجِ الناسِ شرفًا له يمتنُّ به على خائفٍ مِنَ البأسِ، والتردُّدِ ٦
 إلى أبوابِ السلاطينِ والوزراءِ والأمرءِ والقضاةِ والولاةِ حُجَّةً في التوصلِ إلى الإحسانِ للفقراءِ، ودفعِ المظالمِ عن المضطَّهدينِ مِنَ الأغنياءِ الكُبراءِ. ولو أخذنا في تعدادِ^(٤) أنواعِ مقاصدِ النفوسِ الجاهلةِ لأَطلنا.
 ٩ وقد صنَّفَ الناسُ قَبْلَنَا^(٥) في أنواعِ الغرورِ ومسالِكِهِ، ومَن أراد ذلك أخذَهُ من مَظانِّهِ، *وعثرَ على مدارِكِهِ*^(٦)، لكن هذا تنبيهٌ لمن له فِطْنَةٌ حاصلةٌ، وفِطْرَةٌ قابلةٌ على التمييزِ بين المقاصدِ، والتعريفِ بالفرقِ بين *الصحةِ والفسادِ*^(٧).
 ١٢ فَمَن لم يَشْتَغَلْ بعلومِ النفوسِ وآفاتِها ومصادرِها ومواردِها في صفاتها، ويعمل على تزكيةِ نفسه وطهارتها، وسعيهِ لها في وجودِ نجاتِها، فإنه يُعَدُّ بمعرفةِ | عِلْمِ السلوكِ مِنَ الجاهلينِ، ولا يكون لهذهِ الطريقةِ من جملةِ الوارثينِ^(٨). ١٨و
 ١٥ فهؤلاءِ الأصنافُ المذكورونَ هُم فِتْنَةٌ على العوامِّ والخواصِّ، ومِحْنَةٌ يَبْعُدُ منها - ولا سِيَّما في هذا الوقتِ - الخلاصُ^(٩)، فإذا تبيَّن وصفُ هؤلاءِ للعاقلِ،

(*-١) ع، س: نيله لمقاصده.

(٢) س: وصلة.

(٣) س: إلى.

(٤) س: تعديد.

(٥) لا توجد في: س.

(*-٦) ع: عثر عليه من أدركه.

(*-٧) ع، س: الصحيح منها والفاسد.

(٨) انظر: تأييد الحقيقة، ٧١.

(٩) التأييد: الخاص.

- تعيّن عليه أن يعلم وصف حال^(١) الرجل الكامل، وهو الشخص الذي فُتِحَ قلبه بإقبال الإنابة، فدخل من باب التوبة إلى الإجابة، ثم جاهد نفسه في خلوته وعزّلته بالانفراد عن الصحابة، ثم صاحب التقوى والورع والزهد في سيره^(٢)، فكان ٣
 من أهل النجاة^(٣)، ثم ترقى إلى المقامات والأحوال، التي من تخلّق بها عدّ ممن آراؤه صادفت الإصابة، ثم ترقى^(٤) إلى مقام المعرفة الذي من أقام به رحل^(٥) عن نفسه ساكن الكآبة^(٦)، ثم عمّل على ترك مُراداته، واجتناب الملاحظة لحظوظ^(٧)، ٦
 فصار عبدًا حقًا، آثر الله على ما سواه في سرّه ونجواه، ولم يعتمد في أمره شيئًا من هواه، لحظّ عن العوائد بالتزوع، وحفظ الفوائد عن الرجوع^(٨).
 وهذا الصنف هو الذي دخل في الطريق بالأدب، فأمن | في الفريق من ٩
 العطب، ولم يتوثّب^(٩) على طلب الرتب^(١٠)، * ولم تغلب نفسه عليه، فتوقّعه في الريب^{(١١)*}.
 قال شيخ مشايخنا الشيخ أبو عبد الله القرشي رحمته الله: من لم يدخُل في الأمور ١٢
 بالأدب لم يدرك مطلوبه منها^(١٢).

١٨ظ

(١) لا توجد في الأصل، س، والمثبت من: عد.

(٢) التأيد: مسيره.

(٣) عد: النجاة.

(٤) لا توجد في الأصل، س.

(٥) س: رجل.

(٦) س: الكتابة.

(٧) س: لحظوظه.

(٨) انظر: تأييد الحقيقة، ٧١.

(٩) التأيد: يتثوب.

(١٠) انظر: تأييد الحقيقة، ٧١.

*-(١١) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: عد، س.

(١٢) انظر: نفع الطيب، ٢: ٥٤.

قلتُ: فالأدبُ مصباحُ السعادة للزيادة، ومفتاحُ^(١) الإفادة للإرادة، فمن لم يَصْحَبَ مَنْ يُهَدِّبُهُ وَيُرْتَبِّبُهُ وَيُؤَدِّبُهُ لم يَصْلِحِ الإقتداءُ به في هذا الطريق، ولم يُفْسَحِ له في بسطِ كَفِّه لِقَبْضِ الرفيق، فَإِنَّ هَذِهِ الطائفةَ لم تأخُذْ في هذا المنهج عن جهالةٍ، بل عن علمٍ ودلالةٍ، وكشفٍ وجلالةٍ. وقد تقدّم لها مشايخُ فُحُولٍ وأئمةٌ جَمَعُوا بين عِلْمِي الظاهرِ والباطنِ مِنَ الفروعِ والأصولِ، ومَيَّزُوا بين المُتَرَدِّدِ مِنَ القولِ بين الفصولِ والفضولِ^(٢).

قال شيخنا، شيخُ شيوخِ الإسلامِ، شهابُ الدينِ الشُّهْرَوْرْدِيُّ في وصيةٍ كَتَبَهَا لبعضِ أصحابِهِ: وليس أمرُ الدينِ أَقَلَّ من صِنْعَةٍ من الصنائعِ التي لا يمكن تحصيلُها ومعرفتها إلا بصانعٍ مُرْشِدٍ، فقد ورد: الشيخُ في قومهِ كالنبيِّ في أمته^(٣).

قلتُ: فَمَنْ (*نَحَا مَنَاجِهِم*)^(٤) وَدَرَجَ على سبيلهم، ونَهَجَ في دليلهم، وشهدت له القواعدُ بصحةَ سلوكِهِ في إقامته ورحيلِهِ، وربّاه مَنْ هو مشهورٌ بين أهلِ هذه الصنعةِ بِصُحْبَةِ مَنْ اتَّبَعَ مَنْ كان قبلَهُ في سبيلِهِ، اتَّصَلَتْ نِسْبَتُهُ، واستُمعَتْ كلمتُهُ، وارتفعتْ جهتهُ، ودخَلَ في دائرتِهِمْ، ووصل إلى منزلتِهِمْ، وَمَنْ جَمَحَتْ نَفْسُهُ للإبَاءِ عن الإنقيادِ، وطغَتْ^(٥) على مَنْ سلكَ سبيلَ الرشادِ، وادَّعت أنها مُكاملة^(٦) مُخاطَبَةٌ بِالظَّفَرِ بالمرادِ، فَإِنَّهَا محجوبةٌ بظلمةِ الهوى عن نورِ الهدى والودادِ، فَسُحِّقًا لها، قد طُرِدَتْ مِنَ البابِ، وأحْرِقَتْ بنارِ البِعادِ^(٧).

(١) س: ومصباح.

(٢) انظر: تأييد الحقيقة، ٧١.

(٣) انظر: آداب المريدين، ١٢٤.

(*-٤) س: نجا منجاهم.

(٥) س: وطغنت.

(٦) س: كاملة.

(٧) ع: العناد.

وكم من شخصٍ تحلّى بحليّتهم، وتشبّه بزيّهم، وأوهم - ظاهراً - أنه منهم، يُعبّر بلسانه عنهم، فإذا كشفت عنه عند البحث والتجربة علمت أنه في الباطن عنهم خارج، وأنه على سنن هواه دارج، فالظاهر عنوان الباطن، والباطن ٣ | ميزان الظاهر، فلم يصدق ظاهره باطنه، علّم دعواه فيما أتاه، ولما كان الباطن لا سبيل لأحدٍ عن* الاطلاع عليه، أحال الشارع الأحكام على الظاهر، ولأجل هذا قال عليه السلام: «أمّرت أن أحكم بالظاهر، والله يتولّى السرائر»^(١). ٦

فهذه الطائفة لها آداب في الظاهر، وآداب في الباطن، فمن لم يحكم أسباب الآداب لم يُعظم احترام الجناب، وحرم^(٢) فتح الباب، وأتم الأحوال المُفادّة: لين المُقادّة، وترك الإرادة، ومخالفة العادة^(٣)، فمن وقف في نفسه مع عاديّتها، ٩ وأتبعها في إرادتها، حجب ذلك عن طلب سعادتها، ولم يظفر بما يُريده المتوجه من زيادتها، وقد قيل في ذلك لبعض المتأخرين:

١٢ [الطويل]

إذا المرء ربّى نفسه بمُرادِه فقد شاد بُنياناً على غير أُسّه
وإن شابه من بعد هذا رئاسة فقد سكن الداء العُضال برأسه
| فكن قاطعاً أن ليس يُفلحُ دهره إذا كان ممن ذاق طعمًا لنفسه ١٥
ومن لا تُربّه الرجالُ وتسقيه لباناً لهم قد درّ من ثدي قُديسه
فذاك لقيطٌ ما له نسبة تُرى ولا يتعدى المرء أبناء جنسه

١٨ ونحن نعتقد أنّ مواهب الله وعطاياه ومِنحه وهداياه متعدّدة في قضاياها، لا تأتي عن كسبٍ يوجبها، ولا عن أدبٍ* (في الظاهر*) يُكسبها، غير أنه على كلِّ

(١) انظر: مسند الشافعي، ٨.

(٢) س: ويحرم.

(٣) لا توجد في: س.

(٤*-٤) لا يوجد في: س.

- ٣ منها شاهدٌ، والمعاندُ عن الصواب حائدٌ، ولِلْحَقِّ جاحدٌ، وعلى الباطل جامدٌ، على أن القيامَ بالتزامِ الأدبِ أَدْعَى في تعظيمِ الرُّبُوبِيَّةِ إلى منالِ (١) الأَرَبِ، وأحقُّ في تعظيمِ الإِتِّبَاعِ المُنْجِي مِنَ العَطَبِ.
- رَوَيْنَا عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ: لَأَنْ أُنْقَلَ مِنَ سَجَادَتِي إِلَى النَّارِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُنْقَلَ مِنَ الحَانِ إِلَى الجِنَانِ.
- ٦ قلتُ (٢): هذه مقالةٌ جرت من لسانِ مَنْ كانتِ الحشِيَّةُ - له من ربِّه - في قلبه قائمةً، والمعرفةُ - به له - في ذهنه ثابتةً لازمةً؛ لأنَّ اشتقاقَ العبوديةِ مِنَ التَّعَبُّدِ، وهو التذللُ، وذلك يقع بالامتثالِ لنوعِي الأمرِ والنهي | ، كما قال الله تعالى: ٢٠
- ٩ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٩].
- ١٢ فالعبوديةُّ حالةٌ مطلوبةٌ مِنْ واجبِ الرُّبُوبِيَّةِ، والناسُ فيها يتفاوتون، وهُمُ بها مُطالِبُونَ، وهي منزلةٌ متوسطةٌ بين العبادَةِ والعبوديةِ (٣)، والعبادةُ (٤) خدمةٌ الظواهرِ مع طهارةِ السرائِرِ، والعبوديةُّ رؤيةٌ تصرَّفِ المالكِ في أعمالِ السالكِ، فهو له مُلاحِظٌ، وعلى امتثالِ أمرِهِ مُحافظٌ.
- ١٥ والعبوديةُّ: هي القيامُ على قَدَمِ الإِسترسالِ مع الله في جميعِ الأحوالِ، ودوامُ الارتحالِ في منازلِ الإعظامِ والإِجلالِ. وهي المراتبُ الثلاثُ المذكورةُ في حديثِ جبريلَ ﷺ: «الإِسلامُ، والإِيمانُ، والإِحسانُ». (* وهي الأَنفُسُ* (٥) الثلاثةُ: الأَمارةُ، واللَّوامةُ، والمطمئنةُ.
- ١٨ والإِحسانُ له مراتبُ: مَبَادٍ وِغَايَاتُ. فَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ المَبَادِيَّ محصوراً (٦). وَأَمَّا الغَايَاتُ فلا نَهايةَ لها.

(١) ع: منازل.

(٢) لا توجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

(٣) س: والعبودة.

(٤) س: فالعبادة.

(*-٥) س: المعبر بأنفس.

(٦) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س، كذا.

٢١ و

- فالواقفُ على بساطِ العبودية قلبه بالله معمورٌ،* وهو من الاعتناء بالله واعتناء الله به | من نعمته عليه محمورٌ*^(١)، لا تعلق له بحاضرٍ أو غائبٍ، ولا مؤثرٌ^(٢) عنده لمادح أو عائبٍ، قد جعلَ الهمَّ همًّا واحدًا، وكان لذوق التعرُّف له من مولاه^٣ واجدًا، ومِنحَ الله ومِننه لا تنحصرُ بالعدِّ،* (ولا ينكشفُ البرهانُ بالحدِّ^(٣))، وإنما يتنزَّلُ مِنحةً من الغيبِ،* (لا حالة ما تعيَّن من العيبِ)* وأزله ما تمكَّن من الربِّ. وحاصلُ هذه الطريقِ يرجعُ إلى فَقْدِ ووجِدِ: وَجِدَ بالله، وفَقْدِ لِمَا سِوَاهُ^(٥).^٦ وهو ينقسمُ إلى علمٍ ظاهرٍ وباطنٍ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله^(٦).

تقويمٌ فيه تتميمٌ

- ٩ إن اعترضَ جاهلٌ بمصالح الديانة، جائلٌ في فضائح المهانة، بأن قال: الإشتغالُ بتهديبِ نفسِ الإنسانِ وإصلاحِها أولى من بيانِ أحوالِ أنفسِ الناسِ وذِكْرِ عوارِها، وإظهارِ ما خفيَ من مقاصدها، وأتضح من كثرة عثارها، فقد ورد: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوبِ الناسِ»^(٧)، وأنت فقد ذكرتَ كثيرًا^{١٢} من المعاييبِ، ونشرتَ مطويًا من المثالبِ، ومثلُ ذلك* (لا يعتمدُه^(٨) المرشدُ إلى الطريقِ، ولا | يعتقده من هو مُستمسكٌ بالعهدِ الوثيقِ!.^{٢١} ظ
- ١٥ قلتُ: هذه مقالةٌ عن الصوابِ عادلةٌ، وإلى الخطايا واصلةٌ، وعن العلمِ حائلةٌ، وفي الجهلِ جائلةٌ، خالفتِ الكتابَ والسُّنةَ، وحالفتِ البدعةَ المبعدةَ عن المنة.

(١*-*) لا يوجد في: س. [انتقال نظر].

(٢) ع، س: تأثر.

(٣*-*) ع، س: ولا تنكشف بالبرهان والجد.

(٤*-*) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٥) انظر: تأييد الحقيقة، ٧١

(٦) انظر فيما سيأتي ٨٨.

(٧) انظر: شعب الإيمان، ١٠٥٦٣؛ وكشف الحفاء، ١٦٧٣.

(٨*-*) ع، س: لا ينبغي أن يعتمدُه.

- ٦ أما الكتابُ فإنَّ الله تعالى قد قصَّ علينا نبأ المخالفين، ليقع الاعتبارُ
 للسامعين، ويتمكَّن السُّلُو في قلوبِ الداعينَ بالكتابِ الكريمِ، إنَّما جاء مؤدِّبًا
 للعبادِ، مُعرِّفًا لهم (*بطريقِ وجهٍ*)^(١) الصِّلاحِ والفسادِ، ليترتَّبَ على ذلك
 الإجتناِبُ لها وتركُ العنادِ، كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ^ط
 وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٩]، وكما قال تعالى: ﴿وَتَلَّكَ الْأَمْثَلُ
 نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [الحشر: ٢١].
- ٧ وكان ﷺ إذا بلغه عن أحدٍ ما يكرهه، يقول بين جلسائه: «ما بال أقوامٍ
 (*أو رجالٍ*)^(٢) يقولون كذا وكذا؟؛ يُعرِّضُ بذِكْرهم ويُصرِّحُ بما فعلوه، تأديبًا
 لهم وتهذيبًا لأخلاقهم، وتعريفًا للسامعين بقبح مثل | ذلك الفعل^(٣)، حتى يقع
 منهم الكفُّ عنه في المستقبلِ، ومن حيثُ المعنى أن السامع إذا وقفَ على تفرُّيع
 أصحابِ تلك الخصالِ المذمومة، وتعنيفِ مَنْ أرخى الرسنَ في المراتبِ المعلومة،
 اجتهد - إن طلب السعادةَ لنفسه - في تركها إن كان قد لابسها، أو في اجتناِبها
 قبل أن يقع فيها، فإن النفسَ مُلبَّسةٌ على كثيرٍ مِنَ الخواصِّ، فما ظنُّكَ بالعوامِّ
 المُبتدئين؟! ولا يظنُّ ظانُّ أن ذلك من الغيبة، فإن شرطَ الغيبةِ تعيينُ الشخصِ
 المذكورِ بما يكرهه، وهذا ليس من ذلك الباب.
- ٨ وقد تكلم أهلُ الطريقِ في الفرقِ بين محمودِ الأفعالِ ومذمومِها، وصنّفوا في
 ذلك كُتُبًا كثيرة.
- ٩ والعجبُ مَنْ هو جاهلٌ، ربَّى نفسه، وصحبَ مَنْ هو مثله، ولم يتأدّب
 بأدبِ الظاهرِ الذي هو الشرعُ، ولا بأدبِ الباطنِ الذي هو مُراقبةُ الخواطرِ،
 كيف يتخيلُ في ذهنه أن يكون داعيًا إلى الله، مؤدِّبًا لعبادِ الله! هذا لا يُقدم

(*-١) س: بطريق وجوه.

(*-٢) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٣) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

عليه إلا من (* يكون غافلاً*^(١)) في جهله عن يقظة تُبَصِّرُهُ، أو جاهل (* بعلم أهل*^(٢))
| الحياء من الله ومن خلقه^(٣). ٢٢ظ

٣ وقد تقدم قبلنا مشايخ الطريق في الكلام على من تعاطى في سيره
(* غير سيرهم*^(٤))، وتقاضى بأفعاله ما يُعَدُّ به خارجاً عن طريقهم^(٥)،^(٦).

قال أبو بكر محمد بن عبد العزيز المروزي: سمعت الواسطي - هو أبو

٦ بكر محمد بن موسى - يقول: جعلوا سوء أدبهم إخلاصاً، وشره نفوسهم
انبساطاً، ودناءة الهمم جلادة، فعموا عن الطريق، وسلكوا فيه المضيق^(٧)،
فلا حياة تنمو في شواهدهم، ولا عبادة تزكو في محاضرتهم، إن نطقوا
٩ فبالغضب، وإن خاطبوا^(٨) فبالكبر، توثب أنفُسهم يُنبئ عن [حُبث]^(٩)
ضائرهم، وشرههم في المأكل يُظهر ما في سويداء^(١٠) أسرارهم، قاتلهم الله
أتى يُؤفكون.

١٢ وقال أبو بكر الطمستائي: الطريق واضح، والكتاب والسنة بين أظهرنا،
وفضل الصحابة معلوم بسبقهم إلى الهجرة وبصحبتهم، فمن صحب منا
الكتاب والسنة، وتغرب عن نفسه والخلق، وهاجر بقلبه إلى الله، فهو الصادق
١٥ | المصيب^(١١).

(*-١) ع، س: هو غافل.

(*-٢) س: المعبر بأنفس.

(٣) انظر: تأييد الحقيقة، ٧١.

(*-٤) س: عن سيرتهم.

(٥) س: طريقتهن.

(٦) انظر: تأييد الحقيقة، ٧١.

(٧) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٢.

(٨) في الأصل، س: خوطبوا، والمثبت من الرسالة.

(٩) زيادة من الرسالة.

(١٠) س: سويد.

(١١) انظر: مدارج السالكين، ٢: ٤٦٧؛ وتأييد الحقيقة، ٧٢.

وقال أبو العباس الدينوري: نقضوا أركان التصوف، وهدموا سبيلها، وغيروا
 معانيها بأسماء^(١) أحدثوها: (*سَمُوا الطَّمَعَ «زيادة»، وسُوءَ الأدبِ «إخلاصاً»^(٢)،
 والخروج عن الحقّ «شَطْحاً»،^(٣) والتلذُّذَ بالمذمومِ «طَبِيبَةً»، واتَّبَعَ الهوى «ابتلاءً»،
 والرجوعَ إلى الدنيا «وُصُولاً»، وسُوءَ الخُلُقِ «صَوْلَةً»^(٣)، والبُخْلَ «جلادةً»،
 والسُّؤَالَ «عملاً»، وبَدَاءَةَ اللسانِ «ملامةً»، وما كان هذا طريقَ القوم. ولو
 تَبَعْنَا أقوالَ المشايخِ في ذلك أَطَلْنَا^(٤).

(١) الرسالة: أسامي.

(*-٢) التأييد: سَمُوا الطَّمَعِ إِخْلَاصًا.

(*-٣) التأييد: والتلذُّذُ بِالْمَذْمُومِ صَوْلَةٌ.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ١٧٨؛ وتأييد الحقيقة، ٧٢.

خاتمة لتتميم التقويم
حاکمة بالفصل بين المعوجّ من القصد والمستقيم

- ٣ إنَّ الله - سبحانه وتعالى - نَزَّهَ الْعُقُولَ الْفَاضِلَةَ عَنْ إِهْمَالِ مَقَاصِدِهَا، وَصَرَفَهَا
عَنْ إِهْمَالِ فِكْرَتِهَا فِي مَفَاسِدِهَا، وَوَصَلَ هِمَمَ الْمُنْقَطِعِينَ عَنْهُ بِمَنْ وَصَلَهُمْ بِبَابِهِ،
وَأَفَاضَ مِنْ خَلَعِ أَنْوَارِهِ عَلَيْهِمْ مَا شَهِدَهُ فِيهِمْ مِنْ عَدَلٍ عَنِ الْخَطَأِ مِنْهُ^(١) إِلَى صَوَابِهِ.
- ٦ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَّا وَقَفْنَا لِمَا نَظَمْنَاهُ مِنْ هَذَا الْإِهْتِدَاءِ | فِي الْإِقْتِدَاءِ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيبِ
لِمَنْ قَصَدَ إِلَى مَسَلِكِ التَّهْذِيبِ اقْتِدَاءً بِمَنْ سَلَفَ مِنَ الْعِصَابَةِ الْبَاعِثَةِ عَلَى طَلَبِ
التَّأْدِيبِ، الْبَاحِثَةِ^(*) عَنْ عِلْمَاءِ النُّفُوسِ وَقَمَعًا لَهَا بِالتَّأْنِيبِ^(*)، وَالْمَصَاحِبَةِ لِلتَّرْقِيِ
عَنْ عَالِمِ الشَّهَادَةِ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ عَلَى التَّدْرِيجِ وَالتَّرْتِيبِ - وَهَمَّ الصَّفْوَةُ مِنْ
أَهْلِ الْإِصْطِفَاءِ وَالصَّفَاءِ، الْمَطْلُوقُ اسْمُ الصُّوفِيَّةِ عَلَيْهِمْ عِلْمًا مَانِعًا مِنَ الْإِشْتِرَاكِ
فِي الْأَسْمَاءِ - آثَرْتُ مِنَ الصَّدَقِ فِي مَحَبَّتِهِمْ أَنْ أَكْثَرَ بِالتَّصْنِيفِ سَوَادَ زَمْرَتِهِمْ،
وَأَنْ أَظْهَرَ مَا خَفِيَ عَنِ^(٣) النَّازِرِ مِنْ مَكْنُونِ حِكْمَتِهِمْ، وَجَمَلَةً مَا أودَعْنَاهُ فِيهِ
مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْحِكَايَاتِ، فَإِنَّهُ مُتَّصِلٌ لَنَا بِالرُّوَايَاتِ، مُتَّحَصِّلٌ عِنْدَنَا بِالْأَسَانِيدِ
لِأَرْبَابِ الْمَقَالَاتِ، وَإِنَّمَا قَصَدْنَا بِحَذْفِهَا الْإِخْتِصَارَ، مَخَافَةَ الْإِضْجَارِ بِالْإِكْثَارِ،
فَالْمُشْتَغَلُّ^(٤) بِالتَّوَجُّهِ لَا قَصْدَ لَهُ^(٥) إِلَّا فِي الْعَمَلِ بِمَا عَلِمَ، وَلَا حَاجَةَ لَهُ فِي عِلْمِ
الْإِسْنَادِ، فَإِنَّ مَا أَدَّى إِلَيْهِ مِنَ الْمَعْنَى عِنْدَهُ قَدْ فَهَمَ مِنْهُ الْمَرَادُ | وَإِنَّمَا يَقْصِدُ^(٦)
الْإِسْنَادَ مَنْ يَقْصِدُ الْإِعْرَابَ، وَيُورِدُ عَلَى الْأَنْفُسِ الْإِتْعَابَ، وَيَعْمَلُ عَلَى الْمُبَاهَاةِ
وَالْمُضَاهَاةِ.

ظ ٢٣

و ٢٤

١٨

(١) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(*)- (٢) س: علم آفات النفوس وقمعًا لها بالتأديب.

(٣) ع، س: علي.

(٤) ع، س: فإن المشتغل.

(٥) لا توجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

(٦) س: يطلب.

فإن قلت: قد سبق أئمة من الأئمة^(١) المصنِّفين من هذه الطائفة إلى ذكر الأسانيد في كتبهم، كأبي نصر عبد الله بن محمد^(٢) السراج في كتاب: «اللمع»، وأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي في كتاب: «مقامات الأولياء»، وأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري في كتاب: «الرسالة»، وأبي بكر محمد بن علي الغازي المطوعي في كتاب: «المقالات في المقامات»، وغيرهم^(٣)، فهلاً سلكت سبيلهم وحدوت منهجهم؟^٦

قلت: الجواب عنه من وجهين:

- الأول: أنه قد أغنى إسنادهم عن ذكر إسنادنا، وإنما قصدنا بترك الإسناد التخفيف على الناظر في كتابنا من بعدنا. ^٩
- والوجه الثاني: أنهم إنما ذكروا الأسانيد إرغاماً لأنفٍ منكرٍ تعاطى ردّ مقالهم، | ونقضاً على مدّع أن هذا العلم لم تردّ به السنة، فقصداً التعريف ^{٢٤}ظ
- بأن السنة قد وردت به^(٤)، وأنهم قد اشتغلوا بما اشتغل به أهل الظاهر من علم الإسناد^(٥)، وأنهم فاقوهم بما لم يتصل إليه فهمهم من علم أهل القرب والوداد^(٦).
- وأما من جاء بعدهم فقد كفي من هذا النصب، وشفي من هذا المرض ^{١٢}
- والوصب، ولاحت له أعلام الهدى، فرهب واهتدى، ورغب فيما اقتدى^(٧)، ^{١٥}
- وأشرق فيه شمس الهداية في نهار العناية، فراضت منه شمس خيل العمية

(١) ع: المشايخ.

(٢) التأييد، ع، س: علي.

(٣) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٢.

(٤) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٥) لا توجد في: س.

(٦) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٣.

(٧) في الأصل، ع، س: اعتدى.

في ميادين فضل الرعاية، فاستنقذ^(١) نور<sup>(*) التوحيد و^(٢) التوفيق في أفق التحقيق،
 وبهر ضوء شعاعه الأنيق، فمحا ظلمة التعويق عن التصديق، فهناك تثبت^(٣)
 أقلام النهاية، وتنتشر أعلام الولاية،^{(*) وتنكسر أقلام الدراية^(٤)}، فينقطع ما
 تسلسل من الرواية، ويتصل ما انفصل من الهداية. وبه تمت الخاتمة، وقد تم بهذا
 ما أردنا | من المقدمة، فلنشرع في الطرفين:</sup>

(١) ع، س: فاستقر.

(*)-٢) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٣) في الأصل: ثبتت.

(*)-٤) لا يوجد في: ع.

الطرف الأول

في العلم وبيان شرفه لصاحبه، ونوعه وأدبه لطالبه

- ٣ دلّ النقل والعقل على فضيلة العلم ورفعته وتعظيم قدر من عانا، واعتلى درجته. أما النقل فقال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَخَشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].
- ٩ وروينا من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين». ورواه معاوية أيضاً. صحيح، ورواه مسلم وغيره^(١).
- ١٢ - كرم الله وجهه - : «والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً (*أحب إليك*)»^(٣) من أن يكون لك حُمُرُ النَّعَمِ». صحيح، أخرجاه، واللفظ لمسلم^(٤).
- ١٥ وروينا من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد». أخرجه الترمذي وابن ماجه^(٥).
- وروينا من حديث أبي أمامة الباهلي - واسمه صدي بن عجلان - قال: قال رسول الله ﷺ: «العالم والمتعلم شريكان في الأجر، ولا خير في سائر الناس بعد»^(٦).

(١) انظر: صحيح مسلم، ١٠٣٧؛ وصحيح البخاري، ٧١؛ وسنن الترمذي، ٢٦٤٥.

(٢) في الأصل: سعيد.

(* - ٣) ع، س: خير لك.

(٤) انظر: صحيح مسلم، ٢٤٠٤؛ وصحيح البخاري، ٢٧٨٣.

(٥) انظر: سنن الترمذي، ٢٦٨١؛ وسنن ابن ماجه، ٢٢٢.

(٦) انظر: سنن ابن ماجه، ٢٨٨؛ والمعجم الكبير، ٧٨٧٥.

الطرف الأول: في العلم وبيان شرفه لصاحبه

ورَوَيْنَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِمَجْلِسَيْنِ فِي مَسْجِدٍ (١)،
فَقَالَ: «كِلَاهُمَا عَلَى خَيْرٍ، وَأَحَدُهُمَا أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ؛ أَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَدْعُونَ اللَّهَ
وَيَرْغَبُونَ إِلَيْهِ، فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَهَؤُلَاءِ (٢) يُعَلِّمُونَ (٣) الْفِقْهَ أَوْ
الْعِلْمَ، وَيُعَلِّمُونَ الْجَاهِلَ فَهُوَ أَفْضَلُ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا» (٤)، قَالَ: ثُمَّ جَلَسَ فِيهِمْ.
ورَوَيْنَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: «أَعْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا،
وَلَا تَكُنِ الرَّابِعَ فَتَهْلِكُ» (٥)، وَعَنْهُ أَنَّهُ (٦) قَالَ: «كُونُوا يَنَابِيعَ الْعِلْمِ مَصَابِيحَ الْهُدَى،
أَخْلَاسَ الْبُيُوتِ، سُرُجَ اللَّيْلِ، جُدَدَ الْقُلُوبِ، خُلُقَانَ الثِّيَابِ» (٧)، تُعْرِفُونَ فِي أَهْلِ
السَّمَاءِ، وَتَخْفُونَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ» (٨).

و٢٦

ورَوَيْنَا عَنْ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: «الْعِلْمُ عِلْمَانِ: فَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ،
وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَذَلِكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ» (٩)، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا (١٠) اللَّفْظُ عَنْ
أَنْسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُسْنَدًا (١١).

وَأَمَّا الْعَقْلُ فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ مَيِّزَ الْإِنْسَانَ وَشَرَفَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ بِمَا
حَصَلَ فِيهِ مِنْ قُوَّةِ الْإِدْرَاكِ وَالتَّصَوُّورِ، وَأَمَدَّهُ بِهِ (١٢) مِنَ الْقُوَّةِ الْمُفَكِّرَةِ وَالمُدَبِّرَةِ
وَالْقَابِلَةِ لِمَا يُلْقَى إِلَيْهِ، حَتَّى تَمَكَّنَ (١٣) مِنْ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ وَإِيصَالِهَا إِلَى صِلَاحِهَا فِي

(١) س: مسجده.

(٢) ع، س: وأما هؤلاء.

(٣) ع، س: فيتعلمون.

(٤) انظر: سنن الدارمي، ٣٤٩؛ وسنن ابن ماجه، ٢٢٩؛ ومسنند الطيالسي، ٢٢٥١.

(٥) انظر: سنن الدارمي، ٢٤٨.

(٦) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٧) في الأصل: الشباب.

(٨) انظر: سنن الدارمي، ٢٦٢؛ والعزلة والانفراد، ١: ١٢٩.

(٩) انظر: سنن الدارمي، ٣٦٤؛ ومسنند الربيع، ٩٤٧؛ ومسنند ابن أبي شيبة، ٣٤٣٦١.

(١٠) س: بهذا.

(١١) انظر: تأييد الحقيقة، ٤٠.

(١٢) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(١٣) في الأصل: تكن، والمثبت من: س.

- معاشها ومعادها، وسياسة غيره من الحيوانات حتى قهرها وذللها وصرفها في مقاصده، واستخرج أنواعاً من الصنائع، وامتن الله عليه أن خلق له الموجودات في العالم السفلي، كما | قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي ٣
- الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، فلما كان من الشرف بهذه المكانية تعين أن يصرّف أشرف ما فيه وهو القلب، إلى أشرف شيء وهو العلم، إذ به له تحصل ٦
- السيادة العاجلة، والسعادة الآجلة، والمجانبة لما يفسده، وهو الهوى الملقبي به في بحر الغوى، فحينئذ ينتفع بالعلم ويرتفع، ويندفع عنه الغرور بالجهل وينقطع. وقد أجمع العقلاء واتفقت الملل والنحل على شرفه جملةً، وإن اختلفوا في ٩
- تفاصيل العلوم المطلوبة، وها نحن نوضح شرف الإنسان، ونفصح عنه بالبرهان، فنقول: إن الله سبحانه خلق آدمي وركب فيه من القوى المدركة المميّزة بين الحقائق والأخلاق المتضادة ما دلّ به العقول على غاية اعتناؤه بشأه واقتنائه له ١٢
- في خزائن غيبه ذخائر عرفانه، فشرّفه وعرفه، وبصره وصرفه، وكرمه وعلمه، (*وقومته وألهمه*)، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، إلى قوله: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، كما قال ١٥
- | تعالى: ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، واختصه بعد أن أبدعه بما فيه من العقل أودعه، حتى يتمكن من التمييز بين حقائق الأشياء، والتنزيل لها في مراتبها، والفرق بين مضارّها ومنافعها، وإعطاء كل ذي حقّ ١٨
- حقّه منها، وكما تخصص كل آدمي ببنية هي لغيره مبيّنة، فكذلك يتخصص في الأفكار والمقاصد، فتباينت منهم المعاني كبتائن الصور، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَالِكُمِ﴾ ٢١
- [الروم: ٢٢]، فقام بكل صورة نوع من المعاني، تميل إليه فتعمل عليه. ثم القوى المرتسمة في الأذهان، والفكر القائمة بالإنسان: إمامة قائمة بالجنان يُعبّر عنها باللسان، وإمامة صور متشكّلة في عالم الخيال يظهرها إلى عالم

الطرف الأول: في العلم وبيان شرفه لصاحبه

الحِسَّ مِنَ الْقُوَّةِ الْمَفْكُورَةِ إِلَى الْقُوَّةِ الْمَصُورَةِ، وليس يشارك الإنسان في هذا شيءٌ مِنَ الْحَيَوَانِ، فَلَمَّا اخْتَصَّ الْعَقْلُ الْمُتَصَرِّفُ فِي هَذِهِ الْآلَاتِ^(١)، كان أشرفَ الموجودات الداخلة في دائرة المصنوعات، | وأولاها بالكمال، وأعلاها في الجمال، ٣ وأخصها بالتقرب^(٢) مِنَ الْقَرِيبِ الرَّقِيبِ، فتعين عليه أن يسعى في حال حياته لطلب نجاته، وأن يعتني بتحصيل ما فيه سلامته في عاقبته^(٣)، وسعادته في آخرته، ولا ذلك إلا بالعلم الباطن والعمل الظاهر، فبهما تكمل السعادة وتحصل ٦ الزيادة.

فقد رَوَيْنَا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ»^(٤)، فَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ^(٥)، فقد فرض طلب العلم ٩ واختلَفَ فِي الْمَفْرُوضِ طَلْبُهُ مِنْهُ، فَقِيلَ: عِلْمُ الْإِخْلَاصِ وَأَفَاتِ النَّفُوسِ وَمُفْسَدَاتِ الْأَعْمَالِ. وَقِيلَ: عِلْمُ الْوَقْتِ. وَقِيلَ: عِلْمُ الْحَالِ فِيمَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ فِي الدَّارَيْنِ. وَقِيلَ: عِلْمُ الْحَلَالِ وَاجِبٌ^(٦). وَقِيلَ: عِلْمُ الْبَاطِنِ وَهُوَ مَا يَزِيدُ ١٢ بِالْيَقِينِ^(٧)، وَيُكْتَسَبُ ذَلِكَ بِالصُّحْبَةِ وَمُجَالَسَةِ الْأَخْيَارِ وَالْأَبْرَارِ. وَقِيلَ: عِلْمُ التكاليف الظاهرة، مِنَ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ وَالنِّكَاحِ وَالطَّلَاقِ ... وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَقِيلَ: ٢٨ هُوَ طَلَبُ حُكْمٍ مَا يُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَهُ تَمَّ قَدْ | جَهْلَهُ. وَقِيلَ: عِلْمُ التَّوْحِيدِ. وَقِيلَ: ١٥ عِلْمٌ مَا بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَيْهِ فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ». وَقَالَ

(١) ع، س: الحالات.

(٢) ع، س: بالتقريب.

(٣) س: عاقبته.

(٤) انظر: مسند البرار، ٩٥؛ وشعب الإيمان، ١٦٦٣.

(٥) انظر: سنن ابن ماجه، ٢٢٤؛ ومسند أبي يعلى، ٢٨٣٧، ٢٩٠٣، ٤٠٣٥؛ ومسند البرار، ٦٧٤٦، ٧٤٧٨. وقال البيهقي في «الشعب» وقد جعلها حديثًا واحدًا: هذا حديثٌ مثنى مشهور وإسناده ضعيف. وقد رُوِيَ مِنْ أَوْجُهٍ كُلِّهَا ضَعِيفَةً. انظر: الشعب، ٣: ١٩٣.

(٦) ع، س: حيث كان إذ كان أكل الحلال واجبًا.

(٧) س: في اليقين.

شيخنا شهاب الدين الشهروردي: هو علم الأمر والنهي. فهذا ما يتعلق ببيان العلم المطلق^(١).

٣ ولما كانت العلوم متنوعه، والدواعي إليها متوفره، والأسباب الموصلة إليها متعددة، تعين على العاقل النظر في الفرق بين المحمود من العلم والمذموم.

٦ فالمحمود منه ما بلغ من تعاطاه إلى طهارة النفس وتزكيتها، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤]، وكما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [١٠-٩].

٩ والمذموم منه ما دعاها إلى الكبر والعجب وحب الشرف والرفعة والحسد... وغير ذلك^(٢).

ولما كانت المهمم الشريفة متطلعة إلى تحصيل العلم، تعين علينا الكلام في بيان تقسيم العلم المطلوب النافع حالاً ومآلاً، الدافع مقتاً ووبالاً.

١٢ فنقول: إن العلوم المأمور بطلبها تنقسم إلى قسمين: علم بالله، وعلم بأحكام الله. ثم العلم بالله ينقسم إلى: العلم بأسماء ذاته وصفاته وأفعاله، وما يجب ويجوز ويستحيل في حقه^(٣).

١٥ ثم العلم بأحكام الله علم بأحكام الدنيا المتعلقة بأحكام المكلفين، وعلم بأحكام الآخرة في المعتمين والمعدبين^(٤).

١٨ ثم أحكام المكلفين على ضربين: ظاهر وباطن. أما الظاهر فعلم أحكام الأنام بالمأمور بالتزامها، وهو علم الفقه، من امثال الأمر واجتناب الحرام. ومدارها على القيام بفعل الأمر وترك النهي الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

(١) انظر: قوت القلوب، ١: ٢٢٥.

(٢) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٣.

(٣) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٣.

(٤) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٣.

الطرف الأول: في العلم وبيان شرفه لصاحبه

فَهَلَّتْ عَقُولُ طَائِفَةٍ إِلَى طَلْبِهِ، فَأَحْكَمُوا فُرُوعَهُ وَأَصُولَهُ، وَعَمَلُوا أَبْوَابَهُ
وفصوله، وفاقوا في ذلك الأقران، وأطلقوا في نُصرة الإسلام اللسان، فكانوا
أئمةً يُقْتَدَى بِهِمْ فِي الدِّينِ، وَيُهْتَدَى بِهِمْ^(١) فِي ظِلَامِ الشُّكِّ الْمُبِينِ.

٢٩ و

وَأَمَّا الْبَاطِنُ فَعِلْمُ الْخَوَاطِرِ، وَتَمْيِيزُ الصَّحِيحِ مِنْهَا مِنَ الْفَاسِدِ | ، وَالْمَاضِي
مِنْهَا مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ، وَالْمَدْحُ مِنَ الْمَذْمُومِ، وَمَا تَحَلَّى بِهِ النَّفْسُ وَالرُّوحُ وَالْقَلْبُ
وَالْعَقْلُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي عِلْمِ الْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ، فَتَعَلَّقَتْ بِهِ طَائِفَةٌ أُخْرَى،
طَافَتْ أَلْبَابُهَا بِكَعْبَةِ النَّظَرِ فِي أَحْكَامِ أَنْفُسِهَا، وَتَصْحِيحِ مَقَاصِدِهَا، وَإِزَالَةِ
مُتْلَابِهَا^(٢) مِنَ الْخِصَالِ الذَّمِيمَةِ، وَإِدَالِهَا بِالْفِعَالِ الْحَمِيدَةِ، فَتَنَوَّرَتْ وَتَطَهَّرَتْ،
وَأَشْرَقَتْ فِيهَا أَنْوَارُ الْمَجَاهِدَاتِ، وَتَجَلَّتْ عَلَيْهَا شُمُوسُ الْمَشَاهِدَاتِ، فَكَانَتْ
رَحْمَةً لِلْأَنَامِ، وَنِعْمَةً تَشْفِي مِنَ أَلْمِ^(٣) الْأَسْقَامِ^(٤).

وقد أثنى الله على من كان لنفسه قد عاناها^(٥) فعناها بقوله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩ - ١٠].

ومقصودنا في هذا المقام: التنبيه على ما في هذا العلم من جميل^(٦) الأحكام،
وسندكر ملح^(٧) هذا العلم وما قيل فيه، ليقع في طلبه قوة العزم^{(*) للفكر المبينة^(٨)}،^(٩).

وروينا عن عيسى - على نبينا وعليه السلام - أنه قال: ﴿العلماء ثلاثة: عالم

بالله وبأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله | ليس بعالم بالله﴾^(١٠).

ظ ٢٩

(١) ع، س: بنورهم.

(٢) ع، س: ما لابسها.

(٣) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٤) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٣.

(٥) س: عاناها.

(٦) س: جمل.

(٧) ع، س: مدح.

(٨*-٨) ع، س: للفكر النبويه.

(٩) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٤.

(١٠) انظر: تأييد الحقيقة، ٤١.

- ٣ وروينا عن سفيان الثوري قال: كان يقال: العلماء ثلاثة، عالمٌ بالله يخشى الله ليس بعالم^(١) بأمر الله، وعالمٌ بالله عالمٌ بأمر الله يخشى الله، فذلك العالمُ الكاملُ، وعالمٌ بأمر الله ليس بعالمٌ بالله، لا يخشى الله وعَجَلٌ، فذلك العالمُ الفاجر^(٢).
- ٦ وروينا عن أبي مسلم الخولاني أنه قال: العلماء ثلاثة: فرجلٌ عاشَ في علمه وعاشَ معه الناسُ فيه، ورجلٌ عاشَ في علمه ولم يَعِشْ معه فيه أحدٌ، ورجلٌ عاشَ الناسُ في علمه وكان وبلاً عليه^(٣).
- ٩ قلتُ: ومدارُ علمِ الباطنِ على الخشية، فعلى عِظَمِ الخشيةِ في الصدرِ^(٤) وتمكُّنِها مِنَ القلبِ تكثرُ المعارفُ فيه، وتنزلُ السكينةُ عليه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، [فاطر: ٢٨] وعلى قَدَرِ تمكُّنِ الخشيةِ مِنَ القلبِ يكونُ العلمُ بالله سبحانه، كما قال عليه السلام: «واللهِ إني لأَعْرِفُكُمْ باللهِ وأشدُّكُمْ خوفاً منه»^(٥). ولا تكونُ الخشيةُ إلا للعالمِ بالله^(٦).
- ١٢ وروينا عن داودَ السعدي أنه قال: «يا ربِّ، | ما علمٌ من لم يخشَكَ، أو ما حِكْمَةٌ^(٧) من لم يُطِعْ أمركَ؟!»^(٨).
- ١٥ فالخشيةُ باعثةٌ على الجِدِّ في العملِ، قاطعةٌ لما اتَّصلَ مِنَ الأملِ، زائدةٌ فيما تحَصَّلَ في القلبِ مِنَ الوَجَلِ.

(١) في الأصل: بعلم. والمثبت من التأييد، ٤١؛ وسنن الدارمي، ٣٦٣.

(٢) انظر: سنن الدارمي، ٣٦٣؛ وتأييد الحقيقة، ٤١.

(٣) انظر: سنن الدارمي، ٣٦١.

(٤) س: الصدور.

(٥) انظر: الفردوس بمأثور الخطاب، ١٦٦.

(٦) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٣.

(٧) ع، س: خشيك.

(٨) انظر: سنن الدارمي، ٣٤٨؛ ومصنّف ابن أبي شيبة، ٣٥٣٨٧.

الطرف الأول: في العلم وبيان شرفه لصاحبه

قال سَهْلٌ: الدنيا كُلُّهَا جهلٌ إلا ما كان منها عِلْمًا، والعِلْمُ كُلُّهُ حُجَّةٌ إلا ما كان منه عملاً، والعملُ كُلُّهُ موقوفٌ إلا ما كان منه إخلاصًا، والإخلاصُ كُلُّهُ مردودٌ إلا ما كان منه بالسُّنَّةِ، وتقوم السُّنَّةُ على التقوى^(١).

٣

قلتُ: وسيأتي الكلامُ على التقوى مُبَيَّنًا إن شاء اللهُ تعالى^(٢)، فإذا عَلِمَ شرفَ عِلْمِ الباطنِ فَإِنَّهُ يدورُ على أصليْنِ:

٦

عِلْمٌ باللهِ وتصرفاته في مصنوعاته وأحكامه لِمَا أتقن من مُخترَعاته، وعِلْمٌ بالنفوسِ ومراتبها، وتأمُّمها ونقصها، ومحاسنها ومعاييبها، ولأجلِ هذا قال اللهُ تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

٩

والكلامُ في ذلك يطولُ، إلا أَنَا نُنبِّهُ على أحكامِ النفوسِ، فنحصُّرها في وَصْفَيْنِ: نفيِ نقصٍ، وإثباتِ كمالٍ، ولأجلِ ذلك تنوعتْ لها الرياضاتُ من أربابِ الغاياتِ | وتوسَّعتْ في شأنها العباراتُ من أربابِ الإشاراتِ.

ظ ٣٠

١٢

الوصف الأول

إزالة النقص

مثل: مُجَانَبَةُ^(٣) الحسدِ، والكِبَرِ، والغضبِ، والغِلِّ^(٤)، والغشِّ، والطمعِ، والحقدِ، والعجزِ، والبخلِ، والشحِّ، والرياءِ، والخداعِ، والحِرْصِ، والمكْرِ، والقحَّةِ، والخيانةِ، والقسوةِ، والغُلْظَةِ، والغفلةِ^(٥)، والعجلةِ، والحِدَّةِ، والفخرِ، والخيلاءِ، والمباهاةِ، والمنافسةِ، واحتقارِ الخلقِ، وسوءِ الخلقِ، وحبِّ

١٥

(١) انظر: شعب الإيمان، ٦٨٦٧؛ وحبلىة الأولياء، ١٠: ١٩٤؛ وسير أعلام النبلاء، ١٤: ٣٤٨؛ تأييد الحقيقة، ٧٣.

(٢) انظر فيما سيأتي.

(٣) لا توجد في الأصل، والمثبت من: عد، س.

(٤) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: عد، س.

(٥) لا توجد في الأصل، والمثبت من: عد، س.

- الثناء، والرغبة في الشكر، والتصنع للخلق، والجفاء، والطيش، وعزّة النفس
والإنتصار لها، والأنس بالخلق، وأتباع الهوى، والتجبر، وطول الأمل،
والأشر، والبطر، والبغي والظلم،^(*) والعناد، والغيبة، والتئمة، وطلب المغالبة
بالباطل^(١)، وذكر معائب الخلق، وخلو القلب من الحزن، والفرح بالعاجل،
والحزن على الفائت^(٢)، والإعتراض على تدبير الله، وما ضاهى ذلك من
الحِصَالِ الذميمة والأفعال القبيحة. فحق على كل مسلم أن يتفقد^(٣) نفسه
فيها^(٤)، وأن يتعلم ما يُنجيها من الردى، ويجلبها إلى الهدى، وأن ينزّه نفسه
مما ذكرناه من الصفات، فإنها مرآة إلى الصعود إلى الهلكات، مدعاة إلى
الهبوط في الدرجات^(٥)،^(٦).
- ٣
٦
٩
١٢
١٥
- والمعمل بهذا العلم فرض على كل أحد في جميع الحالات، فليكن العبد
لنفسه مراقباً مُحاسِباً، ولما يدعوه إليه^(٧) من المخالفات مُحارباً مُجانباً، فإن
هذه النقائص هي مبادئ الشرور، ومداعي الويل والثبور، ومنها تشارد الأعمال
الصالحة، وورود الأهوال الفاضحة، وعنهما يحدث خراب الدول وذهاب
المُلْك.
- فإذا تنزهت النفس عنها، وأمنت بما يحدث فيها منها، ارتفع^(٨) عنها ما
يُقربها من العقاب في دار المآب، ويبعدُها عن الثواب في يوم الحساب، وذلك
هو المطلوب لأرباب الألباب. فهذا ما يتعلّق بإزالة النقص من النفس.

(*)- (١) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٢) س: الغاية.

(٣) س: يفتقد.

(٤) مطموسة في الأصل، والتأييد: منها.

(٥) س: الدركات.

(٦) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٤.

(٧) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٨) س: اندفع.

الوصف الثاني إثبات^(١) الكمال النافع في المال

٣١ و

وذلك من جملة أشرف الأعمال النافعة في الأخرى^(٢) عند السؤال، كمجاهدة النفس، والتقوى، والورع، والزهد، والشكر، والصبر، والقناعة، والرضى، واليقين، والتوكل، والتفويض، والتسليم، والإحسان، والصدق، والإخلاص، والنية، ورؤية المنة لله، والإحتساب في الأعمال، والسخاء، والشفقة، وسلامة الصدر، والمبادرة للأمر، والخشوع، والتواضع، والمراقبة، والمحاسبة، وحسن الظن بالله، وحسن الطاعة له، وحسن الخلق، وحسن المعاشرة للخلق، وحسن المعرفة^(٣) بالله، وغير ذلك من صفات الكمال الإنسانية^(٤).

فمن جاهد نفسه هدي لأحسن الطرقات، ومن انقاد^(٥) ترقى لأرفع الدرجات، ومن تورع نجا من التبعات، ومن زهد وجد ما فقد من الطلبات، ومن شكر ظفر من الله بالزيادات، ومن صبر قدر على ما عزّ | لذوي الحاجات، ومن قنع استغنى عن إبداء الفاقات، ومن رضي عن الله طاب عيشه في جميع الحالات، ومن عمل على اليقين زال عنه الشك في المقدورات، ومن توكل كفي جميع المهمات، ومن فوض إلى الله فاضت عليه جميع^(٦) البركات، ومن سلم نفسه إليه سلمت من طوارق الآفات، ومن أحسن كوفئاً بإزالة المسرات، وإزالة المضرات، ومن صدق تخلص من مكروه العقوبات، ومن أخلص تخصص بمضاعفة المثوبات، ومن نوى صالحاً تيسر له ما يروم من الإرادات، ومن رأى

٣٢ و

(١) التأيد: تحصيل.

(٢) ع، س: الآخرة.

(٣) س: الطاعة.

(٤) انظر: تأيد الحقيقة، ٧٤.

(٥) س: اتقى.

(٦) ع، س: مياه.

٣ مِنَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَمِنْ مِنَ الْمَخُوفَاتِ، وَمَنْ احْتَسَبَ أَعْمَالَهُ زَكَتْ عِنْدَ اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، وَمَنْ عَانَى السَّخَاءَ تَأَلَّفَ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنَ النِّفَرَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ عَلَى الْخَلْقِ رُفِعَ لَهُ لُؤَاءُ الْمَسْرَاتِ، وَمَنْ سَلِمَ صَدْرُهُ ^(*) مِنَ الْعِلَلِ ^(١) دُفِعَ عَنْهُ وَرَطَاتُ الْهَلَكَاتِ، وَمَنْ بَادَرَ ^(*) إِلَى الْأَمْرِ ^(٢) بَادَتْ عَنْهُ أَهْوَالُ الْمَخُوفَاتِ، وَمَنْ خَشَعَ قَلْبُهُ حَازَ أَرْفَعَ الرُّتَبِ فِي الْجَنَّاتِ، وَمَنْ تَوَاضَعَ | ارْتَفَعَ قَدْرُهُ وَعُدَّ مِنْ ذَوِي السِّيَادَاتِ، وَمَنْ رَاقَبَ اللَّهَ نَجَا مِنْ تَبَعَاتِ الْخَطَرَاتِ الْمُلْقِيَةِ إِلَى الْحَسْرَاتِ، وَمَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ أَلْحَفَهَا رِذَاءَ الْمَوَافَقَاتِ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَمَنْ حَسُنَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ كُشِفَ عَنْهُ سَطَوَاتُ الْكُرْبَاتِ، وَمَنْ حَسَّنَ طَاعَتَهُ ظَفِرَ بِالْقَبُولِ لِمَا يَأْتِي بِهِ مِنَ الْقُرْبَاتِ، وَمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ ثَقُلَ مِيزَانُهُ فِي الْعَرَضِ عِنْدَ خَفَةِ الْكِفَاتِ، وَمَنْ أَحْسَنَ الْعِشْرَةَ عَدَّهُ الْعُقَلَاءُ مِنْ أَرْيَابِ الْمُرُوءَاتِ، وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ كَلَّ لِسَانُهُ عَنِ الْعِبَادَاتِ وَالْإِشَارَاتِ.

١٢ فَإِذَا نَفَى وَاثَبَتِ الْمَحْمُودَ وَالْمَذْمُومَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ تَرَقَّى عَنْهَا إِلَى التَّوْبَةِ مِنَ ^(٣) الزَّلَّاتِ، ثُمَّ إِلَى الْمَحَاسِبَةِ لِنَفْسِهِ عَلَى الْهَفَوَاتِ، ثُمَّ إِلَى الْمِرَاقِبَةِ إِلَى مَا تَصَدَّرَ مِنْهُ مِنَ الْخَطَرَاتِ، ثُمَّ إِلَى الْفِكْرَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِاللَّهِ مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ وَالذَّاتِ، ثُمَّ إِلَى التَّخَلُّقِ بِصِفَاتِهِ الْعُلَى فِي تَوَجُّهِ الطَّلِبَاتِ إِلَى الْحَرَكَاتِ وَالسَّكِّنَاتِ، فَيَتَخَلَّقُ مِنَ الرَّحْمَةِ بِاسْمِهِ «الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، وَمِنْ الْإِحْسَانِ بِاسْمِهِ «الْمُحْسِنِ»، وَمِنْ الْمَنْفَعَةِ بِاسْمِهِ | «النَّافِعِ»، وَمِنْ الْمَضَرَّةِ بِاسْمِهِ «الضَّارِّ» لِمَنْ ١٨ يَسْتَحِقُّ الضَّرَرَ مِنَ الْكُفَّارِ بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَالْأَسْرِ ^(٤)، وَمِنْ الْمُسْلِمِينَ الْعُصَاةِ بِإِقَامَةِ مَا وَطَّنَ الشَّارِعَ ^(٥) عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَسْفِ وَالْإِنْكَارِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢]، وَكَذَلِكَ فِي بَاقِي الْأَسْمَاءِ،

(١*-*) ع، س: عن العِلِّ.

(٢*-*) س: للأوامر.

(٣) س: عن.

(٤) في الأصل: الأسارى. والمثبت من التأييد، ٧٤.

(٥) س: وظف.

الطرف الأول: في العلم وبيان شرفه لصاحبه

يتخلق بكل اسمٍ منها فيما هو به لائقٌ، ويتحقق بمعناه؛ فإن ذلك له إلى منازلِ التوفيقِ سائقٌ^(١).

٣ فإذا تخلقَ بصفاتِ الحقِّ (*فيا لها من المقتضياتِ*)^(٢) ترقى عنها إلى الاعتبارِ بتأثيرها في الموجوداتِ، ووجودِ سرايةِ أسرارها في المصنوعاتِ، ثم يرقى عن ذلك إلى الاعتبارِ في نعمةِ الإيجادِ، وسبقِ الخِذلانِ والعنایاتِ، ثم يرقى عن ذلك إلى الفناءِ في شهودِ الذاتِ الصادرِ عنها أنواعُ المبدعاتِ، ثم يرقى عن رؤيةِ الإراداتِ وفتنةِ المراداتِ، ثم ألقى نفسه بين يدي مُدبرها كأنها بعضُ الجماداتِ، فهناك تنتهي غاياتُ الرغباتِ، وتتوقفُ الفكرةُ عن منازعاتِ الطلباتِ، وقد أوضح معنى ما | ذكرناه من تقدمنا من الساداتِ^(٣).

ظ ٣٣

٩ قال سهلُ بنُ عبدِ الله: أولُ ما يُؤمرُ به المريدُ التبرُّؤُ من الحركاتِ المذمومةِ، ثم التَّنقُّلُ إلى الحركاتِ المحمودَةِ، ثم التفرُّدُ لأمرِ الله، ثم التوقُّفُ، ثم الرِّشادُ^(٤)، ثم الثباتُ^(٥)، ثم البيانُ، ثم القربُ، ثم المناجاةُ، ثم المُصافاةُ، ثم الموالاةُ، ولا يستقرُّ هذا بقلبه حتى يرجعَ إلى إيمانه، فيكون العلمُ والقدرةُ زادَهُ، والرِّضى والتَّسليمُ مُرادَهُ والتفويضُ والتوكُّلُ حالَهُ، ثم يَمُنُّ اللهُ بعد هذا بالمعرفةِ، فيكون مقامُهُ عند الله مقامَ المُتبرِّئينَ من الحَوْلِ والقوَّةِ، وهذا مقامُ حَمَلَةِ العرشِ، وليس بعده مقامٌ^(٦).

١٢ قلتُ^(٧): وقال يحيى بنُ معاذٍ: قناطرُ العاملينَ سبعٌ: أولها التوبةُ، ثم الزَّهدُ، ثم الخوفُ، ثم الشُّوقُ، ثم الرِّضى، ثم المحبَّةُ، ثم المعرفةُ. فبالتوبةِ تَطَهَّرُوا مِنْ

(١) س: سابق.

(٢*)-(٣*) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٣) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٤-٧٥.

(٤) التأييد: الإرشاد.

(٥) التأييد: الفناء.

(٦) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٥.

(٧) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

الذُّنُوبِ، وبالزُّهْدِ زَايَلُوا الدُّنْيَا، وبِالْخَوْفِ جَاوَزُوا قَنَاظَرَ النَّارِ، وبِالشَّوْقِ دَخَلُوا
الْجَنَّةَ، وبِالرِّضَى لَبَسُوا قِرَاطِقَ الْعِبَادِيَّةِ، وبِالْحُبِّ وَجَدُوا | طَعَمَ النِّعِيمِ، وبِالمَعْرِفَةِ
وَصَلُّوا إِلَى مَا طَلَبُوا مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^(١). ٣

قُلْتُ: اشتملت هذه المقالة منها على حكم بيان طريق السلوك، فمن تأمل
مقالها اهتدى فاقتدى، وبرداء المعرفة بعد الجهل ارتدى، فمن سلك هذا
المسلك من المتوجهين وصل^(*) إلى ما ينال^(٢) من رتبة المقربين.
ثم اعلّموا أن أعظم الآفات على العمال^(*) استحسان^(٣) منهم ما^(٤) يصدر عن
النفس من الأعمال.

قُلْتُ^(٥): قال أبو عبد الله السجزي: من استحسن شيئاً من أحواله في حال
إرادته فسدت عليه إرادته، إلا أن يرجع إلى ابتدائه، فيروّض نفسه ثانياً، ومن
لم يزن نفسه بميزان الصدق فيما يبدو منه وعليه، لا يبلغ مبلغ الرجال.

قُلْتُ: وكما يتعين على العاقل اجتناب الاستحسان لأعماله، فكذلك يتعين
عليه اجتناب المفسدات لأحواله، فإن ارتكابها مقصّر به عن الوصول لآماله.

قال ابن المبارك: أفضل أوقاتك وقت تسلم فيه من هواجس نفسك،
^(*) ووقت يسلم فيه الناس | من سوء ظنك^(٥). ١٥

وقال ذو النون المصري: إنما دخل الفساد على الناس^(٦) من ستة أشياء: الأول:
ضعف النية بعمل الآخرة. والثاني: صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم. والثالث:
غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل. والرابع: اتبعوا الطمع ولم يلتفتوا إلى الورع^(٧). ١٨

(١) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٥.

(٢*)- (٢*) لا يوجد في: ع، س.

(٣*)- (٣*) ع، س: استحساناً ما.

(٤) لا توجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

(٥*)- (٥*) الرسالة: ووقت تسلم فيه من سوء ظنك.

(٦) ع، س: الرسالة: الخلق.

(٧*)- (٧*) ع، س: الرسالة: آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق.

الطرف الأول: في العلم وبيان شرفه لصاحبه

والخامس: اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَنَبَذُوا سُنَّةَ نَبِيِّهِمْ وراءَ ظُهُورِهِمْ. والسادس: جعلوا قليلَ زَلَّاتِ السَّلَفِ حُجَّةً لَأَنْفُسِهِمْ، وَدَفَنُوا كَثِيرًا^(١) مِنْهُمْ.

٣ وقال أبو عثمان: أَلْقَى التُّهْمَةَ عَلَى جَمِيعِ عَمَلِكَ يَتِمُّ لَكَ عَمَلُكَ، وَأَسْقَطُ نُهُمَتَكَ^(٣) عَنِ الْخَلْقِ أَجْمَعِ، تَسْتَرِّخُ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِهِمْ وَفِيهِمْ.

وقال أبو حفص: مَا أَسْرَعَ هَلَاكَ مَنْ لَا يَعْرِفُ عَيْبَهُ، فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ بَرِيدُ

٦ الكُفْرِ^(٤). وقال محمد بن أبي الورد: كُلُّ عَمَلٍ لَا يَصْحَبْتَنِي فِيهِ خَوْفُ التَّقْصِيرِ فَإِنِّي أَرَانِي فِيهِ مُسْتَدْرَجًا.

قُلْتُ: فَإِذَا اعْتَمَدَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْحَالَاتِ فَقَدْ انْطَوَى لَهُ فِي ذَلِكَ عِلْمٌ

٩ الْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ، وَفَاقَ بِمَا نَالَ مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ عَلَى مَنْ لَا يَقِفُ عَلَى لَذَاذَةِ هَذِهِ الْمَذَاقَاتِ.

ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّ التَّوَصُّلَ إِلَى هَذِهِ الْحَالَاتِ | تَارَةً يَكُونُ عَنْ جَذْبِ رَبَّانِيٍّ، وَتَارَةً

٣٥

١٢ يَكُونُ عَنْ سَلُوكِ عِرْفَانِيٍّ.

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَيَكُونُ عَنْ قَدْفِ رَحْمَانِيٍّ يُلْقَى فِي قَلْبِ رُوحَانِيٍّ، بَغَيْرِ مُوقِّفٍ

وَلَا مُعَرِّفٍ وَلَا مُعَنَّفٍ لِلْأَنْفُسِ لِهَمِّهَا^(٥) مُصَرِّفٍ.

١٥ وَأَمَّا الثَّانِي: فَيَكُونُ عَنْ مُبْصَرِّ بِحُكْمِ الطَّرِيقِ، مُخْبِرٍ عَنِ عِلْمِ الْفَرِيقِ،

كَالشَّيْخِ لِتَابِعِيهِ، وَإِنَّهُ لَمَنْ أَعَزَّ الرَّفِيقِ، وَكُلُّ مَنْ الشَّخْصِينَ فِي بَحْرِ الْحَيَرَةِ

غَرِيقٌ، وَبِنَارِ الْهَيْبَةِ حَرِيقٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ

١٨ فَيَدْمَغُهُ، فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]. فَتَعْرِفُ الْحَقَّ لِقُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ وَأَحْبَائِهِ

كَذَلِكَ تَارَةً يَكُونُ بِوَسْطَةِ يَنْبُئِهَا وَيُعْرِفُهَا وَيُوقِفُهَا وَيَذَكِّرُهَا وَيُبَصِّرُهَا، فَتُدْعِنُ

النَّفْسُ وَتَنْقَادُ عَنِ الْعِبَادِ، وَتُجِيبُ لِمَا دُعِيَتْ لَهُ مِنَ الرَّشَادِ. وَتَارَةً يَكُونُ

(١) س: أكثر.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية، ١: ٢٢٠-٢٢١.

(٣) س: تهمتك.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ١: ٢٢٠.

(٥) س: لها.

- بغير واسطة من إنعام بإلهام وإتمام لإفهام، وذلك موروث لهم عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. قال الله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام ﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ ٣
- [الأنعام: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١]، وكما في أمر نبينا محمد عليه السلام، فإنه لما تعدى سنَّ التمييز، وتمكّن من النظر والاعتبار بالافتكار، قادته الفكرة إلى أن ألهمه الله طلب دين يتمسك به لما علم أن ثمَّ من يُعبد ويُقصد ويُتوجه إليه، فلم يزل يعمل على ذلك الإلهام وفيه يتردد، ويتقلب فيما كان فيه من أنواع الفكرة^(١) له يتعدّد، حتّى فاتحه الحقّ أولاً بالمنامات والإلهامات، ثمّ ثانياً بواسطة^(٢) من الوحي المعرف له بعجائب الغيوب المُعرب له عمّا أشكل على العقول، فكان يُراجع تلك الوسطة التي هي جبريل عليه السلام فيما يتجدّد له من الوقائع، ويتردد في صدره من اللوامع، حتّى استقرّ ما كان فيه من الاضطراب، وظهر له ما كان قد خفي عليه من الإقتراب، وتارة يُلقى الله في نفسه أمراً بغير واسطة فيعمل عليه، أو رؤيا تُفصح له عمّا قصد إليه، كما قال عليه السلام: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا [وإن أبطأ عليه]^(٣)، فاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ»^(٤).
- وهذا النوع يشترك فيه النفوس الصافية، وعلى قدر الصفاء في النفس تصدق الوقائع، ووقع ذلك لأُمِّ من أمته في حياته وبعد مماته. ١٨

(١) ع، س: الفكر.

(٢) ع، س: بالواسطة.

(٣) زيادة من نصّ الحديث.

(٤) انظر: مسند البرّار، ٢٩١٤؛ ومسند الشهاب، ١١٥١؛ وشعب الإيمان، ١١٨٥؛ والترغيب والترهيب، ٢٦٣١.

الطرف الأول: في العلم وبيان شرفه لصاحبه

وقد قال عليه السلام: «إِنَّ فِي أُمَّتِي مُحَدِّثِينَ، وَإِنَّ عُمَرَ لَمِنْهُمْ»^(١)، وقد قال
عُمَرُ رضي الله عنه: «يا سارية، الجبل!»^(٢)، فنزل القرآن موافقته^(٣) في مواضع، منها
قوله: لو اتخذت من مقام إبراهيم مُصلًى؟، فأنزل الله تعالى قوله في كتابه:
﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

فإذا تجلّت أنوار الغيب على القلب انفسح وانشرح، وصار صدره واسعاً
طيباً صافياً عن الكدر، كما أخبر الله عن حال صاحبه بقوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ
صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، فهو ناظر إلى الله في
جميع الأوقات، نافر عن الملاحظة للحظوظ، والمحافظة على ترك الشهوات،
لا وقوف له مع شيءٍ من التعلقات، (*ولا تطلع له إلى ما يتوقع من التعوّقات*)^(٤)،
بل قد قطع عن نفسه العلائق والعوائق، وجمع من أنسه ما تفرق عليه فلم يفرق
من البوائق الفوائق، وبقي فرداً لفرد، وعبداً لسيد، كلما اعترضه معارضٌ أزاله،
وكلما حلّ به حالٌ أحاله، فهو بالله عارفٌ، ومع الله واقفٌ، وعلى الأدب مع
خلق الله عاكفٌ، لا يصرفه عن التوجه صارفٌ، رأى المنة لله عليه وشاهدتها،
وأسقط نفسه من الوسط وباعدها، وخرج عن الحظوظ الملحوظة وعاندها،
فهو في أمره على بينة من ربه، وفي شكره على إجابته له من قلبه، قد استراح منه
من كان في البلاد من العباد، ولاخ له عين المراد لما تجرد عن العناد. فهذا ما
يتعلق بعلم الباطن، المحمود منه والمذموم.

ظ ٣٦

(١) انظر: تاريخ دمشق، ٩٦: ٤٤.

(٢) انظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ٣٥٧٨٨.

(٣) كذا في الأصل، وهو منصوب على نزع الخافض، وفي س: بموافقته.

(٤)*- (٤) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

- وأما عِلْمُ الخواطرِ والتمييزِ بين^(١) الرديءِ منها والجيدِ، فهو من جملة عِلْمِ الباطنِ، وكذلك المحاسبةُ والمراقبةُ وغيرُ ذلك، فإنه يطولُ الكلامُ فيه لو أننا | في ذلك شرعنا، وسيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى^(٢). ٣
- وما جعلَ أهلُ الطريقِ الأورادَ والأذكارَ والجُوعَ إلا لِثِقَلِ^(٣) الخواطرِ وتقعِ عمارةُ الفكرِ بما يمنعُ منها، ولا إشكالَ أن الخواطرَ متعاقبةٌ، ما ينقضي خاطرٌ إلا خلفه آخرٌ، وكثرتها إنما تتأتى عند الغفلة. وإغفال^(٤) النفسِ عن الملاحظةِ لما يتجددُ فيها والإسترسالُ في الخواطرِ من أعظمِ المضارِّ على المتوجِّهينَ، وقد نبهَ اللهُ الغافلينَ على طلبِ اليقظةِ منهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَا سَهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، ودمَّ المُسترسِلينَ فيها بقوله تعالى: ﴿وَإِحْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢]، فالمتيقِّظُ لنفسه حارسٌ عن الوسواسِ، والغافلُ تركَ حراسَتها فهو من فلاحها آيسٌ، فمن كانت لله به عنايةٌ ألهمه التفقُّدَ لخواطرِهِ، فينفي المكروهَ ويثبتُ المحبوبَ، فيكون^(٥) بذلك لربِّه مُطيعًا، ومن أهملَ نفسَه وغفلَ عنها، واتَّبَعَ | هواجسَها، وعَمِلَ على مقاصدِها، هلكَ مع الهالكينَ ضلالًا، وعُدَّ في جملةِ الأخسرينَ أعمالًا، الذين ضلَّ سعيهم في الحياةِ الدنيا، وهم يحسبونَ أنهم يحسنونَ صنعا.

٣٧ظ

- تنبيهٌ: اعلموا أن العُجبَ بالآراءِ والأعمالِ والعلومِ أعظمُ آفةٍ تردُّ على ذوي المراتبِ لأربابِ^(٦) الخُلومِ، وقُلٌّ من ينجو من تلك الآفاتِ والهُمومِ، فليحذَرُ ١٨

(١) في الأصل: من.

(٢) انظر فيما سيأتي ١٩٧.

(٣) ع: لثقل.

(٤) س: وإهمال.

(٥) في الأصل: فيكن.

(٦) ع، س: من أرباب.

الطرف الأول: في العلم وبيان شرفه لصاحبه

منه الإنسان؛ فإنه داءٌ قاتلٌ، ومقتٌ عاجلٌ، وألمٌ حاصلٌ، مُكثِرٌ للرزائلِ، مُقلِّلٌ للفضائلِ.

٣ رَوَيْنَا عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذْنِبُونَ لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ»^(٧) مِنْهُ: الْعُجْبُ». أَخْرَجَهُ الْبَزَّازُ^(٨).

وَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ الْخَيْرِيُّ: الْعُجْبُ يَتَوَلَّدُ عَنْ رُؤْيَةِ النَّفْسِ وَذِكْرِهَا وَرُؤْيَةِ الْخَلْقِ

وَذِكْرِهِمْ^(٩).

٦ وَقَالَ يَوْسُفُ بْنُ الْحُسَيْنِ: يَتَوَلَّدُ الْإِعْجَابُ بِالْعَمَلِ مِنْ نَسْيَانِ رُؤْيَةِ الْمِئَةِ فِيمَا يُجْرِي اللَّهُ لَكَ مِنَ الطَّاعَاتِ^(١٠). فَالْعُجْبُ أَعْظَمُ الْآفَاتِ الدَّاخِلَةِ عَلَى الْأَعْمَالِ،

٩ فَلْيَكُنِ الْعَاقِلُ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ | فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَهُوَ حَادِثٌ عَنِ الْإِفْرَاطِ فِي مَحَبَّةِ النَّفْسِ وَالرَّضَى عَنِ فَضَائِلِهَا وَأَخْلَاقِهَا، وَهِيَ مَجْبُولَةٌ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا يَرُدُّعُهَا عَنْهُ إِلَّا عَقْلٌ كَامِلٌ، وَذَهْنٌ فَاضِلٌ.

٣٨ و

١٢ وَأَقْلُ مَا فِيهِ مِنَ الْعَيْبِ تَنْقِصُ كِمَالِ الْإِنْسَانِ فِيمَا وَقَعَ مِنْهُ الْعُجْبُ فِيهِ فِي

الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ؛ لِأَنَّ الْمُعْجَبَ بِمَا اقْتَنَاهُ مِنْ آيَاتٍ وَكِتَابٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ صَنْعَةٍ لَا تُمَكِّنُهُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَعَوَّضَ عَنْهُ غَيْرَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَرَى غَيْرَهُ أَجْوَدَ مِنْهُ، فَهُوَ مَغْرُورٌ

١٥ بِإِعْجَابِهِ، مَسْرُورٌ بِمَا شَكَّلَ^(١١) فِي نَفْسِهِ، فَعَمَلُهُ عِنْدَ ذَلِكَ لَا يَتَزَيَّدُ، وَمَا لَمْ تَحْصُلِ

الزِّيَادَةُ كَانَ النِّقْصُ حَاصِلًا، فَيَتَخَلَّفُ عَنِ مَكَانَةِ أَمْثَالِهِ، وَيَتَوَقَّفُ عَنِ رُتْبَةِ

نُظْرَائِهِ فِي أَحْوَالِهِ، وَهُوَ مَوْطِنٌ شَدِيدٌ. وَقَدْ نَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى اطِّرَاحِهِ وَاجْتِنَابِهِ

١٨ بِقَوْلِهِ: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ»، قِيلَ: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:

(٧) س: أكثر.

(٨) انظر: مسند البزار، ٦٩٣٦.

(٩) انظر: طبقات الصوفية، ١: ١٤١؛ وتأيد الحقيقة، ٧٥.

(١٠) انظر: حلية الأولياء، ١٠: ٢٤٠؛ وتأيد الحقيقة، ٧٥.

(١١) ع، س: تشكّل.

- «ولا أنا، إلا أن يتغمّدني الله برحمته»^(١). ومداواته^(٢) أن لا ينظر إلى من ماثله فيما وقع الإعجاب به فيه من الأمر، بل ينظر إلى من كان خسيئاً^(٣)، ونال | درجة^{٣٨} ربيعةً بغير فضيلة، بل بحظٍّ حاصلٍ ورزقٍ واصلٍ. ٣
- ومن نظر في نفسه وعيوبها شغله ذلك عن الإعجاب بها، ولا سيّما إذا نظر لمثة الله عليه فيما أولاه من المعروف إليه، فيشتغل بالشكر عن العجب، ويزداد بعد البعد من القرب. ٦
- روينا عن الشيخ أبي عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه أنه قال: سمعتُ جدّي - يعني أبا عمرو بن نجيد - يقول: آفة العبدِ رضاهُ عن نفسه بما هو فيه^(٤). ٩
- قلتُ: هذا هو كلامُ حقٍّ، وذلك أنه إذا رضي عنها اشتغل بها، وامتنع عن طلبه^(٥) الزيادة لها، فهذا حال الرضى عنها، فكيف حال المعجب بها؟! ١٢
- ومبدأ العجب من الرضى عن النفس والتناهي في محبتها، واعتقاد كمالها، وتخصيصها بما لم يؤت أحدٌ سواها، فأعمالها تقع معلومةً، وهي عن الله بها مشغولة، فهي من سكرة غواها غير صاحبة، ومن فتنة هواها لتضحها غير واعية، لرداء اليقظة | منها مسلوثة، وبعناء الغفلة فيها محجوبة، فإن تداركها نظر^(٦) من الله سلّمت، وإن وافقها خذلانٌ عطبت. ونسأل الله التوفيقَ للسعي في إصلاحها، والتصدّق على من ارتضاهُ لخدمته بصلاحها. ١٥
- قال إبراهيم الخواص: العجبُ يمنعُ معرفةَ قدرِ النفس، والعجلةُ تمنعُ من إصابة الحقِّ، والرفقُ والحزمُ يمنعانِ من المدامة^(٧)، ولا قوّة إلا بالله^(٨). ١٨

(١) انظر: مسند أحمد، ٧٤٧٣؛ وصحيح مسلم بلفظ آخر، ٢٨١٦.

(٢) س: ومداته.

(٣) ع: خسيئاً.

(٤) انظر: الزهد الكبير، للبيهقي، ٢: ١٥٤.

(٥) ع، س: طلب.

(٦) ع، س: نصر.

(٧) ع، س: الندامة.

(٨) انظر: شعب الإيمان، ٦٨٨٧.

- ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّ النَّاسَ قَبَلْنَا قَدْ صَنَّفُوا فِيمَا يَلِزُّ مَنْ يَسْلُكُ هَذَا الطَّرِيقَ مِنَ
 الآدابِ، وما يتعيَّن عليه مِنَ المُرَاعَاةِ لمخالفةِ العوائدِ في الوقوفِ مع الحظوظِ
 والأسبابِ، وما يُثْمِرُ له ذلك مِنَ الحُسْنَى في دارِ المآبِ، فلو اهتدى السَّالِكُونَ
 لشيءٍ من طريقِ الصَّوابِ نظروا في كُتُبِهِمْ، وسمعوا^(١) ما أَلْقَوْه لهم مِنَ الخُطابِ،
 لكَتَبَهُمْ قَالُوا: إِنَّ نَظَرَ الفَقِيرِ في الكُتُبِ وطلبِ العِلْمِ مِنَ أعْظَمِ الحِجَابِ. وما
 ذَكَرُوهُ فهو كَلِمَةٌ حَقٌّ أُريدَ بها باطلٌ، وَصِفَةٌ نَقَصٌ تَحَلَّى^(٢) بها | مَنْ هو عنِ
 الكَمالِ عاظِلٌ، وإِنما ذَكَرَ أَهْلُ الطَّرِيقِ ذلكَ مِنَ^(٣) قومٍ مِنْ صِفَتِهِمْ أَنَّهُمْ حَصَلُوا
 ما تَمَيَّزُوا به عندَ أَهْلِ هذا الشَّأْنِ مِنْ عِلْمِي الشَّرِيعَةِ والحَقِيقَةِ، فَاسْتَعَنُوا عنِ النَظَرِ
 في غيرِ ذاتِهِمْ، وَفَوَّتَحُوا مِنَ الغَيْبِ بما شَهِدَ^(٤) لهم بِنِجاتِهِمْ، فَهَمَّ بِاللَّهِ مَعَ اللَّهِ
 مُعْرِضُونَ عَنِ مَلاحِظَةِ صِفاتِهِمْ. طَهَّرُوا عنِ مَلاحِظَةِ أنْجاسِ الأَغْيَارِ، وَسَتَرُوا
 عنِ الشَّهْوَةِ لما صَفا لَهُمْ وَقَتُّهُمْ عنِ الأَكْدارِ، فَهَمَّ كما قالَ بَعْضُ أَحْبابِ رَبِّ
 الأَرِيابِ: طَينُ الذُّبابِ وَصَريرُ البابِ يُشَوِّشُ على ذَوي الأَلْبابِ، فَمَنْ كانَ
 كَذَلِكَ فَإِنَّهُ مَشْغولٌ بما هو فِيهِ عنِ النَظَرِ في الكِتابِ.
 وَأما مَنْ هو عنِ العِلْمِ بِالظاهِرِ والباطِنِ فَكِرُهُ نازِحٌ، فَحَقُّهُ أَنْ يَعْلَمَ ما هو
 لِلْعِلْمِ بِطَرِيقَتِهِ التي يَسْلُكُها شارِحٌ، وَلِئِنْ أبى وَاسْتَكْبَرَ فَإِنَّهُ عنِ الوَصولِ إلى مَنهَجِ
 السَّعادَةِ قامِحٌ. وبِذلكَ تَمَّ الطَّرْفُ الأوَّلُ^(٥).

(١) مطموسة في الأصل، والمثبت من: عد، س، التأيد، ٧٦.

(٢) مطموسة في الأصل، والمثبت من: عد، س، التأيد، ٧٦.

(٣) س، الإتحاف: في.

(٤) س، الإتحاف: يشهد.

(٥) انظر: إتحاف السادة المتقين، ١: ٢٥١.

الطرف الثاني

في بيان المسالك للسالك

٤٠ و

وما يتعيّن عليه أن يتوقّى في | طريقه من المهالك

٣

والكلامُ فيه يقع في نوعين:

الأول: فيما يلزم من توجّه إلى جناب الله من المرّدين.

والثاني: في شرح المقامات والأحوال للمتوجّهين.

٦

النوع الأوّل

فيما يتوجّب من الوظائف على من جدّ في الخدمة وتعرّض لمواهب اللطائف.

وينحصر الكلامُ فيه في ثلاثة مقاصد:

٩

المقصد الأوّل

في الفرق بين اسم الصوفيّ والفقير وما يتميّز به كلُّ واحدٍ منهما

من الشرف الخطير

١٢

فنقول^(١): العلوم المطلوبة تنقسم إلى علمٍ وعملٍ، كالطبِّ والفقهِ والنحو

وغير ذلك، وكذلك علمُ هذه الطائفة ينقسم إلى: علمٍ بمصطلح أهلها، وإلى

عملٍ بأخلاقها^(٢). وقبل أن نشرع في ذلك يتعيّن أن ننبّه على الفرق بين الفقير

والتصوّف في اصطلاح أهل الطريق: هل هما سواء، أم أحدهما أتمُّ من الآخر عند

١٥

(١) لا توجد في الأصل، والمثبت من: س.

(٢) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٦.

ذوي التحقيق؟ وبين الفقراء والصوفية تشاجر في ذلك، ونحن نوضح الحق في ذلك إن شاء الله تعالى، فنقول:

٤٠ظ

٣ قال شيخنا، شيخ | شيوخ الإسلام شهاب الدين الشهروردي: التصوف فوق الزهد وفوق الفقر^(١). وقيل: نهاية الفقر - مع شرفه - بداية التصوف. وأهل الشام لا يفرقون بين التصوف والفقر^(٢).

٦ قلت: قال قوم: هما سواء، كما قال شيخنا قدس الله روحه عن أهل الشام. وقال آخرون: مسمى الفقر أعلى، فإن الكتاب والسنة به نطقاً^(٣).

واسم التصوف مُحدثٌ، لم يكن يُعهد في السلف الصالح ذلك الاسم^(٤)،

٩ قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

ورؤينا من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو: خمس مئة عام». أخرجه الترمذي وقال:

١٢

هذا حديث صحيح^(٥).

وما عُهد تسميته سابقاً وسمع في الكتاب والسنة النطق به (*كان الإنشاء

إليه*^٦) والتعريف بسيماه أولى من الاسم المُحدث، والذي عليه^(٧) جُلُّ أئمة هذا

١٥

و٤١ الشان أن | اسم الصوفي أعلى رتبة وأولى نسبة وأخص بالمعنى المراد^(٨). ويدل على ذلك وجوه:

(١) انظر: عوارف المعارف، ٦٥.

(٢) انظر: عوارف المعارف، ١: ٢٠٣.

(٣) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٦.

(٤) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٦.

(٥) انظر: سنن الترمذي، ٢٣٥٤؛ والرسالة القشيرية، ٥٣٦؛ وعوارف المعارف، ١: ٢٠٤.

(٦-*) س: كان اسم الفقير.

(٧) لا توجد في: س.

(٨) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٧.

الأول: أن الفقرَ أُطلقَ عمومًا على مَنْ افتقرَ مِنَ المالِ، ونُحْصِصًا على مَنْ افتقرَ بِكُلِّيَّتِهِ إلى الله في جميع الأحوال^(١)، فيؤدّي إلى الإشتراكِ والإيهامِ في التسمية، وذلك يُورِثُ اللَّبسَ، وهو على خلافِ الأصلِ. ٣
وأما التَّصَوُّفُ فَإِنَّهُ^(٢) يُطْلَقُ على الفقرِ الخاصِّ بزيادةِ أوصافٍ أُخَرَ^(٣)، فيبدُرُ إلى الفَهمِ مُسْمَأَهُ مِنْ غيرِ تَرَدُّدٍ فِيهِ^(٤).

والثاني: أن التَّصَوُّفَ يندرجُ فِيهِ الفقرُ، فَإِنَّ الفقرَ تَوَجَّهُ وَتَحَلُّقٌ واعتصامٌ بِالآدابِ المَعْلُومَةِ مِنَ المُجَانِبَةِ لِلخِصَالِ المَذْمُومَةِ، والمتابعةِ لِلخِصَالِ المَحْمُودَةِ، فهو اسمٌ جامِعٌ لِمَعَانِي الفقرِ، ومُرَبِّ عَلَيْهِ بِأُمُورٍ أُخَرَ لا توجدُ فِي الفقرِ ولا فِي الزُّهْدِ. ٦
والوجه الثالثُ: أن الفقيرَ هو الشخصُ المُسْتَمْسِكُ بِعُرْوَةِ فقرِهِ، المُسْتَشْرِفُ لطلبِ أَعْوَاضِ المَثُوباتِ على شُكْرِهِ وصَبْرِهِ، المُتَشْرِفُ بما وقعَ بِهِ التَعَرُّفُ لَهُ مِنْ فَخْرِهِ، المُتَشَوِّفُ | بِمَلابستِهِ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ إلى تَعْظِيمِ قَدْرِهِ، الواقِفُ مَعَهُ على قَدَمِ نَفْعِهِ فِيهِ وَضْرَهُ^(٥). ٩
١٢

٤١ظ

ولذلك ورد في الخبر: «الفقراء الصُّبْرُ جُلُساءُ اللَّهِ»^(٦)؛ يعني - والله أعلم - أنهم تمسكوا بما هم فيه، وما آثروا غيره، فهذا يدلُّ على ما قلناه. ١٥
وأما الصُّوْفِيُّ: فهو الفقيرُ الَّذِي أسقطَ الوقوفَ مَعَ الأَعْوَاضِ، وَعَمَلَ^(*) على الصَّدِّ عَنِ الموجوداتِ المُنْقَسِمَةِ إلى الجواهر والأعراض، وقطع^(٧) العَلائقِ والعوائقِ، وواصلَ الفناءَ عَنِ التطلُّعِ لِغَيْرِ الخالقِ، وَبَإيْنِ الأَكْوانِ والأزْمانِ قَلْبًا وَقَالِبًا، وبقي بالله لله مُلاحِظًا طالِبًا، وترَكَ نَفْسَهُ عَنِ التطلُّعِ لها جانِبًا، وجَعَلَ ١٨

(١) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٧.

(٢) لا يوجد في: س.

(٣) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٧.

(٤) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٥) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٧.

(٦) انظر: الفردوس بمأثور الخطاب، ٤٩٩٣؛ والرسالة القشيرية، ٥٣٧.

(*)-٧ لا يوجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

مَعَ الخُلُقِ جَمِيلِ الخُلُقِ لَهُ صَاحِبًا، وَلَمْ يَتَقَيَّدَ بِمَقَامٍ أَوْ حَالٍ، فَيَكُونُ فِي صِنْعَةٍ^(١) بِيَعْتِهِ خَائِبًا. فَإِذَا عُلِمَ الفَرْقُ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ تَبَيَّنَ الحُكْمُ عَلَى الطَّرِيقَيْنِ^(٢).

ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ كَثُرَ التَّشْبُهُ فِي وَقْتِنَا بِالطَّائِفَتَيْنِ^(*) وَعَنْ أَرْبَابِ^(٣) البصائرِ فِي ٣ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الجِهَتَيْنِ:

فَقَوْمٌ حَكَمُوا^(٤) مِنْهُمُ الأَفْعَالَ فِي الصُّورِ، وَبَايَنُوهُمْ فِي المَعَانِي والأَثَرِ، فَتَجَرَّدُوا ظَاهِرًا إِيهَامًا^(٥)، وَتَعَلَّقُوا بِأَطْنًا إِحْكَامًا، فَسَعَوْا فِي تَحْصِيلِ لَدَاتِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، ٦ وَمَا تَقَيَّدُوا بِأَحْكَامِ الطَّرِيقِ فِي حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ، وَأَفْسَدُوا مَنْ تَعَلَّقَ بِهِمْ لِإِنَالَتِهِمْ لَطَلْبَاتِهِمْ^(٦).

٤٢ و

وَقَوْمٌ نَطَقُوا بِاللِّسَانِ الخَارِجِ عَنِ المِصْطَلَحِ، وَقَرَّرُوا فِي الأَذْهَانِ أَنَّ ذَلِكَ أَكْمَلُ ٩ المَعْنَى المُقْتَرَحِ، وَصَنَّفُوا عَلَى مَقَاصِدِهِمْ كُتُبًا كَثِيرَةً خَارِجَةً عَنِ طَرِيقِ القَوْمِ، دَاخِلَةٌ فِي طَرِيقِ^(٧) الذِّمِّ لِمَنْ تَعَاظَاهَا وَاللُّومِ، مُجَابِنَةً لِعَقَائِدِ الإِيمَانِ الصَّحِيحَةِ، مُقَدَّرَةً^(٨) لِقَوَاعِدِ البُّهْتَانِ الصَّرِيحَةِ، مُحَرَّرَةً^(٩) لِمَقَاصِدِ^(١٠) البرهانِ القِيحَةِ^(١١)، قَدْ ١٢ بُنِيَتْ عَلَى قَوَاعِدَ تُقَلِّبُ بِالتَّقْلِيدِ، فَوَقَعَتْ بِالنَّقْصِ^(١٢) عَنِ طَلْبِ المَزِيدِ، وَأَوْهَمُوا أَنَّ ذَلِكَ عَيْنُ المَرَادِ بَيْنَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ،^(*) وَإِنْ لَمْ^(١٣) يُفْهَمُ ذَلِكَ المِصْطَلَحُ، فَإِنَّ

(١) س، التأييد: صفقة.

(٢) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٧.

(*)- (٣) التأييد: وجرار باب. وبعض النسخ، ومطبوعة الشيخ الغاري: غر أرباب. وهو تحريف للكلمة.

(٤) س، التأييد: حكموا.

(٥) في الأصل، س: اتهامًا.

(٦) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٧.

(٧) في الأصل، س: فريق.

(٨) التأييد، س: مقررّة.

(٩) في الأصل: محرراً.

(١٠) التأييد: لقواعد.

(١١) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٧.

(١٢) س: في النقص.

(*)- (١٣) س، التأييد: وأن من لم.

أذهانهم واقفة، وعكفوا على علم الفلسفة تدوينًا، وسمّوه بالتحقيق والإحاطة
 وهمًا وتخمينًا، لا علمًا ويقينًا، وعدّلوا عن اسم التصوّف، وما حصل لهم
 شيءٌ من التعرّف^(١)، وزعموا أنه فوق علم التصوّف | رتبة، وأنّ رتب^(٢) العارف
 خمس: الفقيه، ثم المتكلّم، ثم الفيلسوف، ثم الصوّفي، ثم المحقّق الذي هو
 المقرب. وهذا تحكّم في القسمة ووهّم في الحكمة.

والذي يقتضيه النظر الصحيح أنّ الرتب أربع^(٣)، والحكمة في ذلك أنّ
 العبد أمر في هذه الدار بأن يسعى لطلب سعادته بعبادته ومخالفة عاداته كما قال
 تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آعِبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا
 خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥١]، يعني: إلّا لأمر^(٤)
 بعبادتي، والعبادة إمّا أن تكون مقصورة على نفسه، كالإيمان والصوم والصلاة
 من الأفعال البدنية والقلبية، وإمّا أن تكون متعدية إلى غيره، كالأقوال المعبرة
 عن العلوم المدعوّ بها إلى الهداية عن الضلال، والمرجوّ منها الزيادة في النيات
 والأفعال.

والنظر في العلوم، إمّا أن يقع في التكليف الظاهرة وهو المسمّى بـ «علم الفقه»
 أو في ذات الله وصفاته، وهو المسمّى بـ «علم الكلام»، أو في الموجودات من
 حيث التركيب والهيئة والعوارض اللاحقة | واللازمة لها، وما يصحّ به تقويم
 المعاني من الألفاظ، وهو المسمّى بـ «الفلسفة»، المشتملة على المنطق والإلهي
 والطبيعي والرياضي، أو في الاعتبار في الموجودات من حيث إتقان الصنعة
 وحسنها، وإضافتها إلى مخترعها ومبدعها، وقطع النظر عن التعلّق بمحبّتها،
 وتطهير النفس وتزكيتها، واعتبار أحكامها الباطنة، وما يؤوّل أمرها إليه في
 الدار الآخرة، وإقامتها على قدام الاستقامة، والخروج عن المطالبات البشرية،

(١) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٨.

(٢) في الأصل: رتبة.

(٣) في الأصل: أربعة.

(٤) للأمر.

وتركُ المرادات الجيدة والرديئة، والاكتفاء في نفسه وغيره بعلم الله في الموجودات والوقائع المتجددات. فهذا هو «علم التصوف»، وهو عندهم في المصطلح اسم للمُقَرَّب من جناب الرب، كما قال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾^٣ [المطففين: ٢٨].

غير أن الصوفيَّ يترقى في درجاتٍ وأطوارٍ ورُتَبٍ، فأعلى تلك الرُتَبِ اسمُ المُقَرَّب، فلا قِسْمٌ خامسٌ كما يزعمون^(١)، (*فقد يسير*^(٢)) على قَدَمِ الإنصافِ، ويُشير^(٣) إلى ما يتميَّز به صِنْفٌ مِنَ الأصنافِ، | فالفقيه في حُكْم الوهم^(٤) عامل، وعن العمل بتفقد نقائص نفسه غافلٌ، والمتكلم لثغوت الإله واصلٌ، والدلالة على علته^(٥) ناقلٌ، والفيلسوفُ (*محصورُ النظر*^(٦)) فيما هو عنه زائلٌ، مقصورٌ الفِكرِ على ما له فيه ضررٌ عاجلٌ.

ظ٤٣

والصوفيُّ بولاية^(٧) على عقله عازلٌ، وهو مع المحاربة لنفسه عن غيره في شغلٍ شاغلٍ، أحكم من علم الظاهر ما ينفعه في دارٍ هو عليها نازلٌ، ومن علم الباطن ما يصحبه في موطنٍ يُفلسُ فيه مَنْ له مِنَ الغنى حاصلٌ، فعلى هذا ليس لعلم التصوف في العلوم مُمَثَلٌ، ونهايته لمن هو بطريقه بصيرٌ كاملٌ، هو أطراح العادات ومخالفة الإرادات حتى يبقى بلا أئينٍ، مع أن الحكم في الأينِ، فهذا القربُ المكينُ، والممكنُ الأمينُ، والمخصوصُ بالإصطفاءِ والتمكينِ، والمضروبُ عليه سُرادقُ الاعتناء به والتعيين، وهو الفاني عن رؤية الأشياء

(١) س: زعم.

(*-٢) س: فحينئذٍ يسير.

(٣) س: ونشير.

(٤) لا توجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

(٥) س: عظمته.

(*-٦) س: محصورٌ للنظر.

(٧) س: بولاية الوهم.

النوع الأول: فيما يتوجب من الوظائف على من جدّ في الخدمة

٦١

بالمشي لها، والفاني في فنائه عن رؤية^(١) فنائه، فيبقى بالله باقيًا، وهو | المحبوب^{٤٤} و
الملحوظ، والمربوب المحفوظ.

٣ قال عليه السلام حكاية عن ربه: «ما تقرب إلي المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم، ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، فلتن سألني لأعطينه، ولئن دعاني لأجيبه»^(٢).

٦ فإذا علم المصطلح في «الصوفي»، و«الفقير»^(٣) فلنشرع فيما يتوجب^(٤) من الأدب على المريد الراغب في تحصيل المزيد، فنقول:

٩ اعلّموا - شرح الله صدوركم للفهم والبيان، وسلك بكم سبيل من ترقى عن البرهان إلى العيان - أن هذه الطائفة تخصّصت عن غيرها بما منحت^(٥) من المواهب السنية والآداب المرعية، وخلق عليها من خلع المطالعات^(٦) القلبية والمكاشفات الغيبية، والملاحظات المرضية والأخلاق الرضية. والأدب مع الله
١٢ بالآداب الشرعية هو الأصل في نيل المراتب العلية.

٤٤ ظ قال عليه السلام: | «أدبني ربي فأحسن تأديبي»^(٧)، وقال عليه السلام: «تخلّقوا بأخلاق الله»^(٨)، أي اتصفوا بصفاته، وقفوا عند فهم كلماته.

(١) لا توجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

(٢) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٨.

(٣) لا توجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

(٤) ع، س: يتوجه.

(٥) س: منحته.

(٦) ع: الطاعات.

(٧) انظر: مجموع الفتاوى، ١٨: ٣٧٥.

(٨) لم أقف عليه.

فالتصوّفُ كُلُّهُ خُلُقٌ مُنْتَسِبٌ لِأَصْلِ شَرِيفٍ، وطريقٌ مُوصِلٌ لِفَضْلِ مُنِيفٍ. وسُئِلَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرِيرِيُّ عَنِ التَّصَوُّفِ، فَقَالَ: الدُّخُولُ فِي كُلِّ خُلُقٍ سَنِيٌّ، وَالخُرُوجُ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ دَنِيٌّ^(١).

٣

وقال أبو حفص الحَدَّادُ: حُسْنُ أَدَبِ الظَّاهِرِ عُنْوَانُ حُسْنِ أَدَبِ البَاطِنِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ»^(٢).

٦

وقد صنّف أئمّة هذه الطائفة في علومهم وآدابهم كتبًا كثيرة، كالحارث بن أسد المحاسبي، وعمرو بن عثمان المكي، وأبي عبد الرحمن السلمي، وأبي القاسم القشيري. ولو تَبَعْنَا المصنّفين أَكْثَرْنَا.

٩

وصنّف الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي مُصنّفًا في آدابهم^(٤). وكذلك شيخنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب الشهروردي^(٥) وغيرهما. فمن تطلّع إلى علم ذلك طلبه من مظانّه.

١٢

ونحن ننبّه على طريق يُقَرَّبُ^(٦) بها حصرُ الأدبِ لطالِبِه، ونقول: جملة الأمرِ أن الأدبَ | على وَجْهَيْنِ: قاصرٌ خاصٌّ بالمكلف، ومتعدّدٌ إلى غيره.

و٤٥

١٥

أما القاصرُ، فتركُ المحرّماتِ وفِعْلُ المُستَحَبّاتِ مِنَ الأقوالِ والأفعالِ، كالذِّكْرِ والتَّلاوةِ والصلاةِ والصومِ، وكذلك النيّةُ الصالحةُ.

١٨

وأما المتعدّي، كالزكاةِ والصدقةِ ولينِ القولِ وبذلِ المعروفِ للعالمِ والخاصِّ، وهدايةِ الطريقِ وطلاقةِ الوجهِ عندَ اللقاءِ، وغير ذلك مِنَ الآثارِ الحسنةِ التي هي شَعْبُ الإسلامِ الواردةُ في حديثِ أبي هريرةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قال: «الإيمانُ

(١) انظر: عوارف المعارف، ١: ٢٠٣؛ وحلية الأولياء، ١: ٢٢؛ وتاريخ دمشق، ٥٦: ١١٩.

(٢) لا توجد في الأصل، والمثبت من: س، العوارف.

(٣) انظر: عوارف المعارف، ١: ٢٠٣.

(*) في الأصل: أبو

(٤) له كتابٌ يسمى: «آداب الصوفية». انظر: كشف الظنون، ١: ٤٢؛ وهدية العارفين، ٢: ٦١.

(٥) له كتابٌ يسمى: «آداب المريدين في التصوّف والإخلاق». انظر: هدية العارفين، ١: ٦٠٧.

(٦) ع: تُقَرَّب.

بِضَعُّ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق. والحياء شعبة من الإيمان^(١).

٣ ثم اعلم أنّ جملة الأدب يندرج في آية من الكتاب العزيز، وفي حديث. أمّا الكتاب، فقولُه تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٦ وأمّا الحديثُ ففي قوله ﷺ: «صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاغْفُ عَمَّنْ | ظَلَمَكَ، وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ»^(٢).

٤٥ظ

٩ فَمَنْ تَخَلَّقَ بِهذه الصفات فقد تحقّق في الارتقاء إلى أعلى الدرجات، ومَنْ لم يُوفِّقْ لشيءٍ من هذه الحالات فهو مغرورٌ من جميع الجهات. وبه^(٣) تمّ المقصدُ الأوّل.

المقصدُ الثاني

١٢ في الحذر من الغرور وما فيه من الشُّرور المظلمة

لما نار من الصدور

١٥ فنقول: اعلموا أنّ الغرورَ قيدٌ^(٤) ملكَ أزيمة قلوب الخلائق، وسلّك بهم إلى أودية الهلاك؛ لكثرة العلائق، وعدلّ بهم عن الصراطِ السَّويِّ إلى الجلوسِ على بساطِ شيطانِ الفكرةِ الغويِّ، والمُعترّون فيهم كُثُرٌ.

١٨ وأسبابُ الغرورِ كثيرةٌ، وأصلُ الغرورِ إهمالُ المحاسبةِ للنفسِ، وإرخاءُ رَسَنِ الغفلةِ لها حتّى لا تُتميَّزَ بين أفعالها، إلّا أنّا نذكر من المُعترِّين أربعةَ أصنافٍ: العلماء، والعُباد، والمتصوِّفة، والأغنياء.

(١) انظر: صحيح مسلم، ٣٥؛ وصحيح ابن حبان، ١٦٦؛ وسنن الترمذي، ٢٦١٤.

(٢) انظر: شعب الإيمان، ٧٩٥٧؛ والترغيب والترهيب، ٣٨١٦؛ والفردوس بمأثور الخطاب، ٨٥٢٩.

(٣) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٤) س: قد.

الصف الأول

العلماء

- ٣ وهم أعظمُ الناسِ غُرُورًا، إذ غُرُورُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ تَعَدَّى لَغُرُورِ غَيْرِهِمْ بِهِمْ، فَإِنَّهُمْ الْقَدْوَةُ فِي الدِّينِ، وَعَلَيْهِمْ | الْعُمْدَةُ لِلْمَقْلِدِينَ، فَمَنْ أَحْكَمَ مِنْهُمْ عِلْمَ الظاهرِ وترقى إلى درجةِ الدروس^(١) والفتوى، يظنُّ أَنَّهُ حَصَلَ فِي الْمَنْزِلِ الْأَعْلَى، فيحتقرُ الْعَوَامَّ، وَيُهْمِلُ تَفْقُدَ جَوَارِحِهِ: مِنْ الْعَيْنِ عَنِ الْإِمْتِدَادِ لِمَا لَا يَحِلُّ لَهُ، ٦ واللسانِ عَنِ الْكَفِّ عَنِ النُّطْقِ فِيمَا لَا يَعْنِي، وَالْقَلْبِ عَنِ الْفِكْرِ الرَّدِّيَّةِ مِنَ الْحَسَدِ وَالْكِبْرِ وَالْعُجْبِ^(٢) وَالرِّيَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَيَظُنُّ أَنَّ لَا عِلْمَ إِلَّا مَا هُوَ بِهِ مَشْغُولٌ مِنَ الْأَقْوَالِ، وَلَوْ وُفِّقَ لَعَلِمَ أَنَّ وَرَاءَ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ مَا يَتَعَيَّنُّ عَلَيْهِ طَلْبُهُ. ٩ فَلْيَحْذَرِ الْغَافِلُ مِنْ هَذَا الْوَصْفِ.

الصف الثاني

المتعبدون

- ١٢ وغرورهم يتنوع بين صلاةٍ وذكرٍ وتلاوةٍ وحجٍّ واعتمادٍ وجهادٍ وزهدٍ ووصالٍ، واقتصارٍ على نوعٍ واحدٍ مِنَ الْغِذَاءِ، أَوْ تَرْكِ الْخَبْزِ وَالْمَأْكَلِ ... ذَلِكَ يَدْخُلُهُ الْعِلَلُ، وَيُضْحِكُهُ الْغُرُورُ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الْغُرُورُ أَيْضًا ١٥ فِي إِهْمَالِ الْفَرَائِضِ وَإِعْمَالِ الْفَضَائِلِ وَالنَّوَافِلِ، فَيَسْقُطُوا^(٣) وَاجِبًا بِمُسْتَحَبٍّ، كالإسرافِ فِي | اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ فِي الطَّهَارَةِ، وَالْوَسْوَاسِ فِي الصَّلَاةِ، وَتَكَرُّرِ الْفَاتِحَةِ ٤٦ ظ فِيهَا، وَالتَّظَاهِرِ بِالْخُشُوعِ وَالْحَشْيَةِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ... وَغَيْرِ ١٨ ذَلِكَ مِمَّا يُكْرَهُ أَوْ يَحْرُمُ شَرْعًا مِمَّا تَتَّبِعُهُ يَطُولُ.

(١) ع، س: التدريس.

(٢) س: والفخر.

(٣) س: فيسقطه.

الصنف الثالث

المتصوفة

- ٣ وفي معنائهم الفقراء، ولا سيّما في هذا العصر الذي عُدِم في أهله التمييز بين (*الحقّ والباطل*^١)، والمُخلصِ والمرائي، والصادقِ والكاذبِ؛ لاستيلاء الغفلة على عقولهم وقلوبهم. تشبّهوا بالقوم في الرّيِّ والصُّورِ، وخالفوهم في المعاني والسّيرِ، وشاركوهم في (*أشياء، وهي*^٢): المنطقُ، والمصطلحُ، والرقصُ، والسماعُ، والأدبُ في الدخولِ والخروجِ، والجلوسُ على السّجادةِ بإطراقِ وغَضِّ بَصَرٍ، وإدخالِ رأسٍ في جيبٍ كأنّه مُتفكّرٌ، وتنفّسِ الصُّعداءِ وخفضِ الصوتِ ... وغير ذلك^(٣).
- ٦ وتميّزوا بمراعاةِ حُظوظِ أنفسهم، ومُتابعةِ أهويتهم، وتركِ المُجاهدةِ لها بالمُراقبةِ والمُحاسبةِ، وتطهيرها | مِنَ الأخلاقِ الذميمةِ، والنقائصِ المُقيمةِ، وظنّوا ٤٧
- ١٢ ملاحظة ظواهرهم على طريقِ الجادةِ، وما أقلّعوا عن ذميرِ العادةِ. وهيهات ما وصلوا بما فعلوا إلا لما أملوا من صيتٍ مرتفعٍ في محفلٍ مجتمعٍ، أو تخلّقٍ منطبعٍ في تخلّقٍ منقطعٍ.
- ١٥ وأما المُخلصُ الصادقُ، والمتخصّصُ الحاذقُ، فإنّه يعملُ على ما أخبر اللهُ تعالى عنه به، بقولِ الحقِّ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، فالإخلاصُ في أعمالِ العاداتِ والعباداتِ مطلوبٌ مِنَ العبادِ في
- ١٨ تغيّيرِ الحالاتِ، ومدارُ القَبُولِ على تصحيحِ الطَّويّاتِ، وتخليصِ المقاصدِ والنيّاتِ، فقد تصيرُ العادةُ بالنيّةِ عبادةً، كالخارجِ إلى الشُّوقِ لبيعِ أو شُرّيِّ يَنوي بِمُشيهِ الاستعانةَ على تمشيةِ وقتهِ، وكفّافٍ وجهه عن الإبتدالِ إلى الخلقِ،
- ٢١ وكذلك الداخلُ لِلخَلَاءِ، يَنوي بِدخوله إزالةَ الأذى، لِيُفرِّغَ خاطرَهُ لعبادةِ الله

(*)-١) ع: المحق والمبطل.

(*)-٢) لا يوجد في: ع، س.

(٣) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٩.

سبحانه وتعالى، وكذلك النكاح، ينوي غَضَّ البَصْرِ وَقَمَعَ | الشهوة، فتصيرُ الأفعالُ المباحاتُ^(١) بالنيَّاتِ مندوبةً، فيترتبُ بذلك الثوابُ على ما لا ثوابَ فيه مِنَ المباحِ. وَمِنْ طريقِ القومِ أَنَّ لهم في كلِّ عملٍ نيَّةٌ، لتكونَ قُلُوبُهُمْ - أبدأً - حاضرةً^٣ فيما يتعلَّقُ^(٢) مِنَ الأفعالِ والأقوالِ، حتى يبقى ذلك عادةً لهم، فتتمرَّنُ النفسُ على ذلك، فلا تطغى ولا تغفل ولا تسهُو. فإذا كان الإخلاصُ مطلوبًا تعيَّنَ على العاقلِ الاجتهادُ في تحصيلِ عمله مِنَ^(٣) المفسداتِ.

قال بعضُ المحقِّقين: إنَّ حقًّا على العبدِ أَنْ يتحفَّظَ في العملِ مِنْ عشرةِ أشياء: النِّفاق، والرياء، والتخليط، والمنُّ، والأذى، والندامة، والعُجب، والحسرة، والتهاون، وخوف ملامة الناس.

فَضدُّ النِّفاقِ والرياء: الإخلاص. إِلَّا أَنَّ النِّفاقَ فيما بين العبدِ وبين الله في صحَّةِ المُعتدِّ وفساده، والرياءُ لأجلِ الناس، كما قال تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وَضدُّ التخليط: التفريط^(٤)، وَضدُّ المنِّ: تسليمُ العملِ لله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]، *وَضدُّ الأذى: تحصيلُ العملِ، وَضدُّ الندامة: تثبيتُ النَّفسِ، وَضدُّ العُجب: ذِكْرُ المِئَةِ^(٥)، وَضدُّ الحسرة: اغتنامُ الخير، وَضدُّ التَّهَاونِ: تعظيمُ التَّوفيقِ، وَضدُّ خوفِ المَلامةِ: الحشِيَّةُ.

فإذا تحصَّنَ عَمَلُهُ عَن هذه المفاصد أَمَرَ أَصلُهُ، وَظَهَرَ فَضْلُهُ، وَإِنَّمَا يُنتِجُ العملُ إذا كان عاريًا عن لباسِ المفسداتِ، جاريًا على قوانينِ تصحيحِ المعاملاتِ. وَاللهُ المَوْفِقُ.

(١) س: المباحة.

(٢) ع، س: يعانون.

(٣) ع: عن.

(٤) س: التفريط.

(*-٥) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

الصف الرابع

الأغنياء

٣ حُجِبُوا بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْغِنَىٰ عَنِ إِدْرَاكِ الْمُنَىٰ، وَوَقَعُوا فِي الْغُرُورِ مِنَ وَجْهَيْنِ: بَدَلٍ وَإِمْسَاكِ.

الوجه الأول

الإنفاق

٦ فطائفةٌ أنفقوا^(١) أموالها في وجوه البرِّ: بناء المساجد والمدارس والرُّبُطِ والقناطرِ والسَّقَايَاتِ وما يظهر وجوده للعامة والخاصِّ، وكُتِبَتْ^(٢) أسماؤهم لتخليدِ ذِكْرِهِمْ وتجديدِ اسمِهِمْ وإبقاءِ رسمِهِمْ، ظَنَّ أَنَّ الْغِفْرَانَ يَتَرْتَّبُ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ مُعْتَرُونَ؛ لِوَجْهَيْنِ:

١٢ أحدهما: ظنُّ الإخلاصِ في الإنفاقِ، وهم مخْطئون؛ فَإِنَّهُ لَوْ قِيلَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ لَا تَكْتُبِ اسْمَكَ عَلَى هَذَا الْمَكَانِ، | لَمَا هَانَ عَلَيْهِ وَلَا قَبِلَ، فَلَوْ كَانَتْ إِرَادَتُهُ ٤٨ظ
اللَّهُ خَالِصًا لَمَا تَوَقَّفَ عَنْ ذَلِكَ.

١٥ الثاني: أنهم بنوها من أموالِ أصولها مِنَ الشُّبْهِ وَالْمُكُوسِ وَالرِّشَى وَالظُّلْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. فَهَمْ يَتَعَرَّضُونَ^(٣) لَسَخَطِ اللَّهِ بِمَا اكْتَسَبُوهُ وَقَصَدُوا إِسْقَاطَهُ بِمَا أَنْفَقُوهُ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَوَهَّمُوهُ، وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمُ التَّوْبَةَ وَرَدَّ الْمَظَالِمِ لِمَلَاكِيهَا إِنْ كَانَتْ بَاقِيَةً، أَوْ عَوَّضَهَا إِنْ كَانَتْ تَالِفَةً، وَإِنْ مَاتَ الْمَلَاكُ رَدُّوْهَا إِلَى الْوَرَثَةِ، وَإِنْ تَعَدَّرَ الْوَارِثُ تَوَجَّهَ صَرْفُهَا إِلَى أَهَمِّ الْمَصَالِحِ، وَأَهْمُّهَا سَدُّ خَلَّةِ الْمُحْتَاجِينَ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَلَوْ شَرَحَ لَهُمْ هَذَا الْوَجْهَ مَا قَبِلُوهُ، أَوْ بَيَّنَّ هَذَا الطَّرِيقَ مَا سَلَكَوْهُ.

(١) ع، س: أنفقت.

(٢) في الأصل: وكتابة، والمثبت من: ع.

(٣) في الأصل: معترضون، س: متعرضون، والمثبت من: ع.

الطرف الثاني: في بيان المسالك للسالك

هذا إن سلِمَتْ مقاصدُهم عن الرياءِ والشُّعْعةِ وقصدِ التشبُّه لمن سبقهم إلى هذا الأمر.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، أي: ٣
المجتنبين ما يُخْرِجُ العملَ عن كونه طاعةً، من شِرْكِ أو رِيَاءٍ، وغير ذلك من
الوجوه | المأمورِ باجتنابها. ٤٩ و

الوجه الثاني

الإسك

٦
إِعْلَمَنَّ أَنَّ الإِقْتِصَادَ فِي الإِنْفَاقِ مِنْ أَكْمَلِ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، وَلَيْسَ المَرَادُ فِي
٩ الإِقْتِصَادِ إِلَّا وَضْعَ الشَّيْءِ فِي مُسْتَحَقِّهِ.
فَالإِمْتِنَاعُ عَنِ الخُرُوجِ مِنَ الحَقُوقِ الوَاجِبَةِ فِي الأَمْوَالِ مُوجِبٌ لِلتَّعَرُّضِ فِي^(١)
العقَابِ وَالبَوَالِ، وَذَلِكَ يَقَعُ بِأَنْوَاعٍ:

النوع الأول

١٢
أَنَّ كَثِيرًا مِنَ المُتَرَبِّينَ^(٢) يَشْتَغَلُ بِكثرةِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّلَاوَةِ، وَهُوَ لَا
يَسْهَلُ عَلَيْهِ أَنْ يُنْفِقَ فَلَسًا فِي وَجْهِ البِرِّ، وَلَا يُؤَدِّي مَا وَجِبَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَعْمَلْ
١٥ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

رُوي أَنَّ بَشَرَ بْنَ الحَارِثِ الحَافِي قِيلَ لَهُ: إِنَّ فُلَانًا - الغني - كَثِيرُ الصَّوْمِ
١٨ وَالصَّلَاةِ. فَقَالَ: المُسْكِينُ! تَرَكَ حَالَهُ وَدَخَلَ فِي حَالِ غَيْرِهِ، إِنَّمَا حَالُ هَذَا إِطْعَامُ

(١) قوله: «للتعرض في» محمول على معنى: للوقوع في. وباب الحمل على المعنى باب فسيح في العربية.
انظر: الخصائص، لابن جني، ٤١١: ٢.

(٢) ع: المؤثرين، س: الخلق.

النوع الأول: فيما يتوجب من الوظائف على من جدّ في الخدمة

٦٩

الطعام للجائع، والإنفاق على المساكين، وهذا أفضل له من (*تجويعه لنفسه*)^(١)،
ومن صلاته لنفسه مع جمعه الدنيا ومنعه الفقراء.

النوع الثاني

٣

٤٩ظ | أن فرقة استولى عليها البخل، فلا تسمح أن تُخرج إلا بقدر الزكاة،
وهي كارهة لذلك، فلا تُخرجه إلا من رديء ما عندها، وتُعطيه لعلّة، من
٦ متردّد لخدمة وتعظيم، أو تألف لقلب نافر، أو تُعطي القدر الواجب إلى رجل
من مشايخ الفقراء، مشهور بين الناس تكتسب عنده جاهًا ومنزلةً، ويشهد لها
بأنها من أهل الخير تُخرج الزكاة، وهذا مَقْتٌ كبيرٌ، وفُجورٌ ظاهرٌ، إذ قَصَدَ
٩ بعمله عَوْصًا، ولم يتمحّض فِعْله لله وحده، فقد تعرّض لبطلان عمله.

النوع الثالث

١٢ أن يتبرّع بكثرة الإنفاق والإحسان إلى المحتاجين، وعليه زكوات في ذمّته
مترتبة قد أهمل أمرها، وأضاع قدرها، ويعتقد أن ما يفعله من ذلك مُسْقِطٌ
لِما توجّب^(٢) عليه منها، وليس كما زعم، بل هو مأمورٌ بالخروج عن عهدة ما
وجب عليه من ذلك، فإن تبرّع بعد ذلك بشيء وقع الإعتداد له به، وإلا فذمّته
١٥ مشغولةً أبدًا. والله الموفق. | فهذا ما يتعلّق بغير الخواصّ.
٥٠و وأما ما يعمُّ جميع^(٣) الخلق من الغرور فهو حضور المياعيد^(٤)، ومجالس الذّكر،
وسماع القرآن والوعظ، وغير ذلك.

(*)- (١) س: تجويع نفسه.

(٢) ع، س: وجب.

(٣) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٤) ع، س: المواعيد.

- فتوهموا أن ذلك يكفيهم وينفعهم ويغنيهم، ويجعلونه^(١) عادةً، ويرغمون أن في سماع ذلك أجراً ومثوبةً، وهم في ذلك مخطئون معترّون، فإن فضل تلك الأذكار بتلك الأمكنة إنما كان لما فيها من الترهيب والترهيب، والتأديب^٣ والتهذيب، فإذا لم يؤثّر ولم يزعج الهمة وتتحرك الرغبة في الإقلاع، فلا ثمرة تحصل منها، بل يزداد مستمعها إثمًا؛ لأنه يتجدد عنده علم فأهمله وأضاعه، وحق عليه أن يصغي لمقاله^(٢)، وأن يعمل بمقتضى ما رسم له على الوضع الذي وُصف له.
- وبهذا تم الكلام في المغترّين؛ فمن سلّم في أعماله من الغرور، فقد كُسي حُلل الأُنس والخبور، وأقعد على موائد الشُرور، وورد^(٣) على موارد القدس إلى يوم التُّشور.

المقصد الثالث

- ١٢ فيما يصد عن | الوصول، ويرد العمل عن القبول
- ١٥ إعلموا - وفقكم الله - أن السالكين في سيرهم لا بدّ لهم من مواع تصدّهم، ووقائع تهدّهم وتكدّهم، وما لم يأخذوا بالجدّ فيما يرؤمون من القصد، حُرّموا الوصول وضيّعوا المحصول، وكلُّ سالكٍ فلا بدّ أن تعترض له عقباتٌ يفتقر إلى قطعها، وطرقاتٌ تحوّل بينه وبين ما يريد لنفسه من صلاحها ونفعها، والعقبة كلُّ ما يعترض فيحوّل عن الاتّصال بالمقصود. قال الله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۚ فَكُ رَقَبَةً ۚ﴾
- ١٨ [البلد: ١١-١٣].

(١) في الأصل: يجعلوه، وفي س: وجعلوه.

(٢) ع، س: للمقال.

(٣) في الأصل، ع: وردد.

ورَوَيْنَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ عَقَبَةً كَوْوَدًا، لَا يَنْجُو فِيهَا إِلَّا كُلُّ مُخَفٍّ» أَخْرَجَهُ البِرَّازُ^(١).
والذي يفتقر السالك إلى قطعِهِ مِنْ ذَلِكَ سَبْعُ عَقَبَاتٍ: عَقَبَةُ العِلْمِ، وَالتَّوْبَةِ،
وَالعَوَاتِقِ، وَالعَوَارِضِ، وَالبَوَاعِثِ، وَالقَوَادِحِ، وَالحَمْدِ، وَالشُّكْرِ.

العقبة الأولى

العلم

وقد تقدّم الكلام فيه في الطّرفِ الأوّل^(٢) وتقسيمه إلى: ظاهرٍ وباطنٍ. ولا
غنى بالتوجه عنها. فإن لم يسع^(٣) وقته ذلك سأل عن أمر دينه، ولا يستبدّ بما
يخطر له في ذلك، فإنه يخرج به عن طريق الاستقامة.

العقبة الثانية

التوبة

وهي فرض على العبد في جميع الأوقات، لا تتقيد بزمن معين. قال الله تعالى:
﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]،
وقال تعالى: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحریم: ٨]. ورؤي عن ابن
مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «الندم توبة»^(٤).

وللتوبة أربعة شروط:

أحدها: ترك ما كان قد لابس من الذنب ندمًا واختيارًا. وثانيها: أن يسبق
منه مثل ما تاب عنه، عازمًا على ترك العود إليه، مخافةً واعتذارًا. وثالثها:

(١) انظر: مسند البرّاز، ٤١١٨.

(٢) انظر فيما تقدم ص ٦٤.

(٣) عد: يتسع.

(٤) انظر: المستدرک على الصحيحين، ٧٦١٢؛ وصحيح ابن حبان، ٦١٢.

اشترك السابق واللاحق في حكم الإثم لا في الصُورة والقُدرة على الفعل، إخفاءً وإظهاراً. ورابعها: الصدقُ في الاختيارِ للتوبة تعظيمًا لله، لا لغرضٍ عاجلٍ أو آجلٍ، جَهْرًا أو إسرارًا.

٣

العقبة الثالثة

عقبة العوائق

وهي أربعة:

أولها: الدنيا

٥١ظ

وقطعها بالتجرّد والزهد؛ لأنّ الرغبة | في الجمع والمنع تُوجبُ شغلَ الظاهر بالكدّ وشغلَ الباطنِ بالفكر، ولا يحصلُ مع ذلك توجّهٌ إلى الله تعالى، ويكفي العاقلَ منها ما وصفه الله به من قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

١٢ ورُوِيَ عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنّه قال: زاولتُ بين العبادَةِ والتجارةِ فلم يَجمعا، فأقبلتُ على العبادَةِ وتركتُ التجارة^(١). ولقد أحسنَ مَنْ بقوله (*) تليّنُ الجبالُ^(٢):

١٥ [الخفيف]

إنما هذه الحياةُ متاعٌ فالفسيهُ الجَهُولُ مَنْ يَصطفيها
ما مضى فاتٌ والمؤمّلُ غيبٌ ولك الساعَةُ التي أنت فيها^(٣)

(١) انظر: مصنف ابن أبي شيبة، ٣٤٦٠٩؛ والزهد، لهناد، ٦٦٠.

(*)-٢) ع، س: لحال الدنيا قد بين.

(٣) البیتان منسوبان إلى إبراهيم بن عثمان الغزي. وهما في تاريخ دمشق، ٥٣:٧ برواية: الغبي الغبي من يصطفيها. والمنتظم، ١٦:١٠ برواية: والفسيه الغوي من يصطفيها.

وثانيها: الخلق

اعلموا أنّ معاشرَةَ الخَلْقِ قاطِعٌ عظيمٌ عنِ الوصولِ إلى الله، والتزامَ العزلةِ
أعظمُ أسبابِ الوصلةِ، ولا سبباً في زمننا هذا، وقد حثَّ النبيُّ ﷺ عليها، ومن
أرادَ الحكمةَ فعليه بها.

روينا عن عبدِ الله بن عمرو بن العاصِ رضي الله عنه قال: بينا نحنُ حولَ رسولِ
الله ﷺ إذ ذَكَرَ الفتنَةَ، فقال: «إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ مَرَجَتْ عَهودُهُمْ، وَخَفَّتْ (١)
أماناتُهُمْ، وَكَانُوا هكَذَا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. قُلْتُ: مَا أَصْنَعُ عِنْدَ ذَلِكَ، جَعَلَنِي
اللهُ فِدَاكَ؟ قَالَ: «الزَّمْ بَيْتَكَ وَأَمْسِكْ (٢) عَلِيكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ مَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا
تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ الْخَاصَّةِ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ» (٣).

وثالثها: الشيطانُ

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]،
وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آوَوْا إِلَى الشَّيْطَانِ هُمْ أَوْلَىٰ بِالشَّيْطَانِ مُبِينِينَ﴾ [يس: ٦٠]، ومعنى عبادتهم له طاعتهم لما يُلقيه إليهم من
عبادة غير الله سبحانه، وإلقاء العداوة والشحناء بعد الألفة والمحبة، كلُّ ذلك
طاعةٌ له وموافقةٌ. وسُمِّيَ (٤) فعلهم عبادةً؛ لأنَّ الطاعة تستلزمُ العبادة من وجهٍ،
وإنما وجبَ عداوته (٥) ومحاربتُهُ لِوَجْهَيْنِ:
أحدهما: الإيأسُ عن مُصالحته والمعاداة منه في بُعدِ مراجعته. فيتعيَّنُ الحذرُ
منه والاحتياؤُ عنه.

(١) عد: وخانت.

(٢) س: واملِك.

(٣) انظر: سنن أبي داود، ٤٣٤٣؛ والترغيب والترهيب، ٤١٥٠.

(٤) س: وسبباً.

(٥) عد، س: عداوته.

وثانيهما: أنه مجبولٌ على العداوة؛ لأنه مُسلَّطٌ على ابن آدم، بما (١) أثبت الله له من الولاية عليه بقوله: ﴿وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ الآية [الإسراء: ٦٤]، فمن ٣ كانت سلطته بهذه الحالة من القوة فواجبٌ على العاقل الاحترازُ منه لكل وجه، والأخذُ في صدره عن أذاهُ بكل حيلة. ولدفعه طريقان:

أحدهما: كثرة الاستعاذة من شره، | كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. ٥٢ظ

وثانيهما: المجاهدةُ والمقاومةُ له بالمخالفة، والجمعُ بينهما آكدُ في الدفع له، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (٢) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ تَحْضُرُونِ ﴿ [المؤمنون: ٩٧]، وكما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وكما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. ١٢

فإذا استعاذَ وجاهدَ حسي (١) شيطانه، وقوي برهانه، وزال عنه ضرره (٣) وبهتانه، والله أعلم.

ورابعها: النَّفْسُ ١٥

إِعْلَمُ أَنَّ النَّفْسَ | أصلُ البلوى في الورى، ومعدنُ الهوى في اعتبارِ ذوي النهى، وهي أعظمُ الأعداءِ ضرراً، وأثمها في تفويتِ المقاصدِ أثراً، وعلاجُها أشقُّ علاج، ومزاجُها أسوأُ مزاج. وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]، وقد ورد فيما نُقِلَ مِنَ الْحَدِيثِ: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك».

(١) لا توجد في الأصل، والمثبت من: عد، س.

(٢) س: خشبي.

(٣) ع، س: ضرره.

ولله دَرُّ القائل: (* وهو العباس بن الأحنف*)^(١)

[السريع]

٣ نفسي إلى ما ضَرَّنِي داعِي تُكثِرُ^(٢) أسقامِي وأوجاعي
كيف احتيالي (*يا عَدُوِّي*)^(٣) إذا كان عَدُوِّي بين أضلاعي!؟

والإحتراز منها صعبٌ شديدٌ؛ لوجهين:

٦ أحدهما: اتَّصَّالُها وملازمتُها، فهي كاللصِّ داخل البيتِ لا غَلَقَ يُحَوِّلُ بينه
وبين مَقْصِدِهِ، فتعسَّر الحيلةُ في دَفْعِهِ.

٩ وثانيهما: أنَّها عدوٌّ محبوبٌ مألوفٌ المُعاشرةِ، وعينُ الإنسانِ أبداً تَعْمَى عن
غُيُوبِ المألوفِ له المحبوبِ عنده.

كما أنشدني والدي أبو العباس أحمد بن علي | القسطلانيُّ - بمكَّة المشرفة -
لبعضهم:

[الطويل]

١٢ ولست براءً عيبَ ذا^(٤) الوُدِّ كُلِّه ولا بعضَ ما فيه إذا كنتَ راضياً
فعينُ الرِّضَى عن كلِّ عيبٍ كليلَةٌ ولكنَّ عينَ السُّخْطِ تُبْدي المَساويَا^(٥)

١٥ وأعظمُ الاستعانةِ عليها بالمخالفةِ لها، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٦٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٦١﴾﴾ [النازعات: ٤٠]، وقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧٠﴾ فَأَهْمَهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٧١﴾ قَدْ أَفْلَحَ

(*-١) لا يوجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

(٢) س: بكثُر.

(*-٣) لا يوجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

(٤) كذا في الأصل. وفي المصادر: ذي.

(٥) البيت الأول من أشعار عبد الله بن معاوية، والبيت الثاني من أشعار إبراهيم الطباطبائي.

مَنْ زَكَّهَهَا ﴿ [الشمس: ٧-٩]، أَي طَهَّرَهَا مِنْ خَوَاطِرِهَا الذَّمِيمَةِ وَأَفْعَالِهَا
الذَّمِيمَةِ الخَسِيسَةِ^(١)، «وقد خاب» أَي: خَسِرَ وَحَرِمَ الخَيْرَ، «مَنْ دَسَّاهَا» أَي:
تَابَعَهَا عَلَى أَغْرَاضِهَا وَمَقَاصِدِهَا الرَّذَلَةَ القَبِيحَةَ. وَعِلَاجُهَا بِالمُجَاهِدَةِ لَهَا، وَتَرْكُ
الإِمْتِثَالِ^(٢) لِأَمْرِهَا، وَاسْتِعْمَالِ الاسْتِرْسَالِ فِي مَقَاصِدِهَا، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
| قَالَ: «رَجَعْنَا مِنَ الجِهَادِ الأصْغَرِ إِلَى الجِهَادِ الأكبرِ»^(٣). وَإِنَّمَا سَمَّاهُ «الأكْبَرُ»؛
لأنَّهُ يَتَكَرَّرُ فَيَتَكَثَّرُ فِيهَا تَعَدُّدُ الفِكْرِ، وَذَلِكَ مِنْ أعْظَمِ الخَطَرِ. وَمُدَاوَاةُ مَرَضِ
النَّفْسِ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:

أَحَدُهَا: مَنَعُهَا عَنِ المَرَادَاتِ مِنْ مَضَارِّ الشَّهَوَاتِ. وَالثَّانِي: دَفْعُهَا إِلَى ^(*)جَمِيلِ
أَفْعَالِ^(٤) العِبَادَاتِ. وَالثَّلَاثُ: التَّضَرُّعُ إِلَى اللَّهِ فِي أَمْرِهَا بِإِدَامَةِ الإِعَانَاتِ.
٩ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ: أَعْدَاؤُكَ أَرْبَعَةٌ: النَّفْسُ وَالهَوَى وَالدُّنْيَا وَالشَّيْطَانُ. فَأَمَّا
سِلَاحُ النَّفْسِ فَالشَّبَعُ وَسِجْنُهَا الجُوعُ، وَسِلَاحُ الهَوَى الكَلَامُ وَسِجْنُهَا الصَّمْتُ،
١٢ وَسِلَاحُ الدُّنْيَا مَجَالِسَةُ النَّاسِ وَسِجْنُهَا الخُلُوعُ، وَسِلَاحُ الشَّيْطَانِ الغَفْلَةُ وَسِجْنُهَا
الذُّكْرُ.

وَأَنْشَدْنَا^(٥) فِي ذَلِكَ:

١٥ [الكامل]

إِنِّي بُلَيْتُ بِأَرْبَعٍ مَا سَلَّطُوا
إِلَّا لِفَرَطِ شِقَائِي وَعِنَائِي^(٦):
إِبْلِيسَ وَالدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالهَوَى
كَيْفَ الخِلَاصِ وَكُلِّهِمْ أَعْدَائِي؟!

(١) لا توجد في: س.

(٢) ع، س: الإهمال.

(٣) انظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ١١٢٦٠؛ وجامع العلوم والحكم، ١٩٦. وإسناده ضعيف.

(*)-٤ (٤) ع، س: حمل أثقال.

(٥) س: وأنشدوا.

(٦) س: عنادي.

- ٥٤ هـ والكلامُ في شأنها يطولُ، وقد تقدّم الأول^(١) في نفى التّقائصِ | وإثباتِ
الكَمالِ بما فيه كفاية^(٢).
- ٣ وطُرُقُ رياضةِ النفسِ كثيرةٌ، وأشَقُّها عليها إلزامُها الأدبَ، بحيثُ لا تتحرّكُ
في حالٍ مِنْ أحوالِها إلّا بِنِيَّةٍ مُخْلِصَةٍ، وطَوِيَّةٍ مَخْلَطَةٍ عَنِ الحِظوظِ النفسانيَّةِ، وإنما
يتأتى لها ذلكُ بالمُوافقةِ والمُحاسبةِ لا بالمرافقةِ والمصاحبةِ، فذلك هو أقربُ الطُّرُقِ
٦ المُوصلةِ إلى السلامةِ.
- وقد تقدّم النَّاسُ قَبْلَنَا في التّصنيفِ في عُيوبِها ومُعاناتِها^(٣) فأكثَرُوا، فَمَنْ أَرَادَ
الإطْلَاعَ عليه عَرَّجَ النّظَرَ إليه.
- ٩ وأقلُّ ما يلزمُ المُكلِّفَ في مُعاناتِها: التّقوى
- وقد تکرّرَ ذِكرُها في الكتابِ العزیزِ في غیر آیةِ عُمومًا وخُصوصًا،
قال اللهُ تعالیٰ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال تعالیٰ:
١٢ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، آل عمران: ١٠٢،
المائدة: ٣٥، التوبة: ١١٩، الأحزاب: ٧٠، الحديد: ٢٨، الحشر: ١٨]، وقال:
﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١].
- ١٥ فأصلُ التّقوى: مجانبَةُ المَنهِيّ عنه، حَرَامًا كان أو مَكْرُوهًا. ومِنْ جَمَلَةِ المَنهِيّ
عنه الشُّرُورُ، وهي نوعانِ: أصلٌ وفرعٌ.
- ٥٥ هـ أمّا الأَصْلُ: فالمَحْرَمُ مِنَ الأَفْعَالِ |، الكَبائِرِ والصِّغائِرِ. وأمّا الفِرْعُ: فالمَنهِيّ
١٨ عنه تَأدِيًّا، كتركِ فُضولِ^(٤) الشّهواتِ مِنَ الحلالِ. فالأوّلُ: تقوى فَرَضٍ. والثاني:
تقوى فَضْلٍ. فَإِنْ جَمَعَ بينهما استكملَ التّقوى، وترقّى إلى الوَرَعِ الذي هو مِلاكُ
الدينِ، وإنِ اقْتَنَعَ بالفَرَضِ منها حصلَ على الدرّجةِ الأولى.

(١) ع، س: القول.

(٢) انظر فيما سبق ص ٧١، ص ٧٣.

(٣) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٤) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

الطرف الثاني: في بيان المسالك للسالك

قال ابن عطاء: للتقوى ظاهرٌ وباطنٌ. فظاهرهُ محافظةُ الحدودِ. وباطنهُ النيَّةُ والإخلاصُ.

٣

فللتقوى أصلاً: ظاهرٌ وباطنٌ.

الأصل الأول

الظاهر

٦ وهو الجوارحُ السبعُ التي هي: العينُ والأذنُ واللسانُ والبطنُ واليدُ والرجلُ والفرجُ.

الجارحة الأولى

العين

٩

مبدأ كلِّ آفةٍ إرسالُ النظرِ في مستحسنِ صورِ البشرِ، فمن غَضِبَ بصره فقد
أمنَ مِنَ الفتنَةِ، وسكَنَ عن حركةِ المحبَّةِ. قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ
يَغْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]، فاشتملتِ الآيةُ على:

٥٥ظ

تأديبٍ بقوله: ﴿يَغْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ﴾ عن الإمتدادِ إلى ما لا يحلُّ.

١٥ وتنبيةٍ بقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾، أي أطهرُ لقلوبهم، (*أو أسمى*) لها في
فعلِ الخيرِ. والزكاةُ في اللغةِ تُطلقُ على المعنيتين.

وتهديدٍ بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ مِنَ الإمتثالِ والمخالفةِ،

١٨

فاحذروا مخالفتَه.

ورُوي عن عيسى - صلواتُ الله على نبينا وعليه - أنه قال: «إياكم والنظرة؛ فإنها تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة»^(١). وأنشدني والدي أحمد بن علي، رحمه الله، بمكة المشرفة لبعضهم^(٢): ٣

[الطويل]

وأنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أعقبتك المناظرُ
رأيت الذي لا كله أنت قادرٌ عليه، ولا عن بعضه أنت صابرٌ ٦

فليجتهد عن^(٣) غصُّ بصره عما لا يحلّ له النظرُ إليه، فإنه يجني ثمرة ذلك من الله حسن الإقبال عليه، فمن أرسل طرفه فقد جنى حتفه.

الجراحة الثانية

الأذن |

فليصن سَمْعَهُ عن الإصغاء لما قُبِحَ مِنَ الْمَقَالِ، فإنه يحصل على غاية السعادة في المال. ١٢

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وفائدة الصيانة وجهان: أحدهما: أن الاستماع يشغل الخاطر، ويهيئ وساوس الفكر، ويثير العداوة والشُرور. وثانيهما: أنه يكسب الآثام؛ فقد روي أن المستمع شريك القائل. ١٥

وأنشد في ذلك: ١٨

(١) انظر: الزهد الكبير، للبيهقي، ٣٨٤؛ والزهد وصفة الزاهدين، ١٣٦.

(٢) ينسب إلى أعرابية في قصة مع أبي الغص الأعرابي، وهما في «المجالسة وجواهر العلم» لأبي بكر الدينوري، ٦٩٩؛ وعيون الأخبار، ٢: ٢٢.

(٣) س: في.

[المتقارب]

تَحَرَّرَ مِنَ الطُّرُقِ أَوْسَاطَهَا وَعُدَّ عَنِ الْجَانِبِ الْمُشْتَبِهِ
وَسَمِعَكَ صُنَّ عَنْ سَمَاعِ الْقَبِيحِ كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ بِهِ ٣
فإنَّكَ عند استماعِ القبيحِ شريكٌ لِقائلِهِ فانْتبهِ

الجراحة الثالثة

اللسان

٦

حِفْظُ اللِّسَانِ (*يُرِيحُ الْإِنْسَانَ*^(١))، فَلْيَقَيِّدْهُ عَنِ النُّطْقِ إِلَّا بِالصَّوَابِ، وَلْيَضْبِطْهُ
عَنِ الْكَلَامِ إِلَّا بِمَا يَعْنِيهِ فِي السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ، فَإِنَّهُ يَجْنِي بِذَلِكَ الزُّلْفَى فِي دَارِ
الْمَأْبِ. قَالَ التَّحِيَّيْ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ»^(٢)، وَقَالَ التَّحِيَّيْ: «هَلْ يَكُوبُ النَّاسَ ٩
عَلَى مَنَاجِرِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^(٣).
ظ ٥٦
وَفِي (*حِفْظِ اللِّسَانِ*^(٤)) فَوَائِدُ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ أَصْلُ ظَاهِرٌ فِي الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ، وَمَدَارُ الْأَحْكَامِ الظَّاهِرَةِ عَلَيْهِ. ١٢
رَوَيْنَا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ ابْنَ آدَمَ إِذَا أَصْبَحَ كَفَّرَتْ
الْأَعْضَاءُ كُلُّهَا اللِّسَانَ وَقَلْنَ: نُنْشِدُكَ اللَّهُ أَنْ تَسْتَقِيمَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا،
وإِنْ اغْوَجَجْتَ اغْوَجَجْنَا^(٥).

١٥

وَأُنْشِدُوا^(٦) لِبَعْضِهِمْ: *وَهُوَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ*^(٧)

(*-١) س: مريحٌ للإنسان.

(٢) انظر: سنن الترمذي، ٢٤٠٦؛ وشعب الإيمان، ٨٠٥؛ والترغيب والترهيب، ٤١٤٦.

(٣) انظر: سنن الترمذي، ٢٦١٦؛ والسنن الكبرى، ١١٣٩٤؛ وسنن ابن ماجه، ٣٩٧٣؛ ومصنّف ابن أبي شيبة، ٢٦٤٩٨؛ ومسنّد أحمد، ٢٢٠٦٩.

(*-٤) ع، س: حفظه للإنسان.

(٥) انظر: سنن الترمذي، ٢٤٠٧؛ ومسنّد أحمد، ١١٩٢٧؛ ومسنّد أبي يعلى، ١١٨٥؛ وشعب الإيمان، ٤٩٤٦.

(٦) س: وأنشدنا.

(*-٧) لا يوجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

[الطّويل]

٣ يموتُ الفتى مِن عَثْرَةٍ بلسانِهِ وليس يموتُ المرءُ مِن عَثْرَةِ الرَّجُلِ
فَعَثْرَتُهُ مِن فِيهِ ترمي برأسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجُلِ تَبْرًا على مَهْلٍ

وثانيها: حفظُ الوقتِ عن اللغوِ وما يُوجِبُ الإثمَ ويُوَقِّعُ في المكروهِ، ومَن
حَسَبَ كلامَهُ مِن عملِهِ قلَّ كلامُهُ إلا فيما يعنيه.

٦ وقد قيل:

٩ اغتَنِمْ ركعتينِ في ظُلمةِ الليلِ إذا كنتَ خاليًا مُستريحًا
فإذا ما هممتَ باللغوِ في الباطلِ فاجعلْ مكانَهُ تسبيحًا
)فالتزامُ السكوتِ أولى مِنَ التُّطْقِ وإن كنتَ في الكلامِ فصيحًا)

٥٧ وثلثها: صيانةُ الأعمالِ عن الفسادِ والإخلالِ، فإنَّ | من^(٢) لم يحسِ نُطقَهُ عن
إرسالِهِ كَثُرَ هذرُهُ ووقَعَ في الغيبةِ، كما قيل: مَن كَثُرَ لَعَطُهُ^(٣) كَثُرَ سَقَطُهُ^(٤).

١٢ والغيبةُ أعظمُ المفاسدِ المهلكةِ للإنسانِ، ومثَلُ المغتابِ كَمَن نَصَبَ مِنْجَنِيقًا
يرمي فيه بحسناته شرقًا وغربًا ويمينًا وشمالًا.

١٥ ورابعها: التحصُّنُ مِنَ الآفاتِ، والسلامةُ مِنَ المكروهاتِ، فإنَّ تسليطَ
اللسانِ مُفسِدٌ لِلشَّانِ، وقد قيل:

(*)-١) لا يوجد في: ع، س.

(٢) لا توجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

(٣) س: لفظه.

(٤) لم أفق عليه في مظانّه. وفي «جمهرة الأمثال» للعسكري، ١: ١٩: «أفرط فأسقط»، وأخرج الطبراني في «الأوسط» ٦: ٣٢٨، ٣٣٤ من حديثي أبي هريرة وابن عمر عن النبي ﷺ: «مَن كَثُرَ كلامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، ومَن كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ». وأخرجه الطبراني في «الأوسط» ٢: ٣٧٠؛ والبيهقي في «الشعب»، ٤: ٢٦٣؛ وابن رجب في «جامع العلوم والحكم»، ١٣٥؛ وابن أبي الدنيا في «الحلم»، ٧٧؛ وفي «الصمت»، ٦٨، من كلام عُمر رضي الله عنه، وانظر: أمثال الحديث، لأبي الشيخ الأصبهاني، ٢٩٣، ٤١٣.

[الكامل]

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى إن البلاء مُوَكَّلٌ بالمنطق

- ٣ وخامسها: سلامة العاقبة في الآخرة، فإن من تكلم يدور أمر كلامه بين المباح والمحذور. فأما المحذور فإنه يؤدي إلى العقاب. وأما المباح ففيه اشتغال عما هو أولى منه من المندوب، والموفق السعيد هو الذي يحترز من انصراف همته إلى استعمال^(١) غير الأولى من الأقوال والأفعال والنيات. فهذا ما يتعلق باللسان.
- ٦

الجراحة الرابعة

البطن

- ٩ فيتعين أن يُصان عن | الحرام والشُّبُهَاتِ، فإنه مَثَارُ الدواعي المُتَّبِعَةِ^(٢)، ومنه تَتَوَرَّعُ الحركاتُ^(*) المَهْلِكَاتُ، وهو أحوَجُ الخارجِ إلى الصلاح؛ لأنَّ فيه مودَعٌ^(٣) من القلبِ وغيره يمدُّ الحركاتِ^(٤)، الظاهرة بالهوى^(٥)، فليكن ما يدخله من المَطْعَمِ والمَشْرَبِ حلالاً، فإنه يزدادُ بذلك عند الله رِفْعَةً وجِلالاً، ولْيُقَلِّلْ من فضولِ الحلالِ، فإنَّ ذلك ينفعه في المَالِ.
- ١٢ وقد نُقِلَ عنه التَّلَاوُلُ أنه قال: «كلُّ لحمٍ نَبَتَ من سُحْتٍ فالنارُ أولى به»^(٦).
- ١٥^(*) فليَحْذَرْ من مُدَانَاةِ هذه الحالة^(٧).

(١) س: اشتغال.

(٢) س: المتبعة.

(٣) كذا في الأصل. ويخرج على أن اسم «إن» ضمير الشأن أو القصة و«مودع» خبرها.

(*)-٤ لا يوجد في: س. [انتقال نظر].

(٥) س: القوى.

(٦) انظر: المعجم الكبير، ٢٨٩؛ وسنن الترمذي، ٦١٤؛ وسنن الدارمي، ٢٧٧٦؛ وكنز العمال،

٩٢٧٧.

(*)-٧ ع: من مداناته.

الجارحة الخامسة

اليَد

- ٣ فَبَسَطُ اليَدِ بِمَدِّهَا^(١) إِلَى تَنَاوُلِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ وَقَبْضُهَا عَنِ الْمَأْمُورِ بِهِ^(٢) مُوجِبٌ لاسْتِحْقَاقِ الْعُقُوبَةِ، مُفَوِّتٌ لِتَحْصِيلِ الْمُتُوبَةِ، وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، أَي عَنِ الْمُبَايَعَةِ لِلرَّسُولِ وَالْمُنَاصِحَةِ لَهُ،
- ٦ أَوْ عَنِ الصَّدَقَةِ الَّتِي هِيَ دَلَالَةٌ عَلَى الْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ، فَحَقُّ عَلَى الْعَبْدِ إِرسَالُ يَدِهِ بِالْمَعْرُوفِ وَجَهَادًا لِأَعْدَائِهَا، وَتَصْرِيفُهَا | فِي وَجْهِ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالزَّكَّاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَإِمْسَاكُهَا عَنِ الْعُدْوَانِ وَالْإِفْسَادِ وَالْإِضْرَارِ وَتَنَاوُلِ الْحَرَامِ^(٣)، فَإِنَّهُ يُحْرِزُ بِذَلِكَ ثَوَابًا جَزِيلًا، وَثَنَاءً جَمِيلًا، وَاللَّهُ الْمُوقِّعُ.
- ٥٨

الجارحة السادسة

الرَّجْل

- ١٢ فَتَوَقُّفُهَا عَنِ الْمَشْيِ فِي غَيْرِ قُرْبَةٍ أَوْلَى، وَتَنْزُحُهَا عَنِ الرَّيْبَةِ^(٤) فِي الْأُمُورِ الْمُشْكَلَةِ أَشْرَفُ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا وَأَعْلَى.
- ١٥ وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ بِالثَّوَابِ الْمُرْتَبِّ^(٥) عَلَى الْمَشْيِ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَالْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَزِيَارَةِ الْإِخْوَانِ، وَالْمَشْيِ فِي قِضَاءِ الْحَوَائِجِ، وَعِيَادَةِ الْمَرْضَى، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَتَّبِعُهُ يَطُولُ.
- ١٨ فَلْيُوَفِّرِ الْعَبْدُ حِظَّهُ مِنْ هَذِهِ الْمُتُوبَاتِ، وَلْيَشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَوْلَاهُ مِنْ نِعَمِهِ، فَإِنَّ الشُّكْرَ مَجْلَبَةٌ لِلزِّيَادَاتِ.

(١) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٢) ع، س: بأخذه.

(٣) لا توجد في: س.

(٤) ع: الرتبة.

(٥) س: المترتب.

الجارحة السابعة

الفرج

- ٣ قد أثنى الله ﷻ على حافظي فروجهم بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، فحقُّ على العاقل أن يحفظ فرجه عن كشفه على غير مُباح، وأن يعتصم بالعفاف عن إقدامه على ارتكاب ما فيه قيام جناح. ٦
- وبه تم الكلام في الأصل الأول من تقوى الظاهر.

الأصل الثاني

الباطن من التقوى

- ٩ وهو تقوى^(١) القلب، وعليه مدارُّ القرب من الرب. قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، فالقلب هو سلطان الجسد ومالكه والمتحكّم فيه، وأعضاؤه أعوانه وخدامه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]، (*وقال ﷺ: «إِنَّ فِي الجسد مضعفةً إذا صلحت صلح الجسد، وإذا فسدت فسد الجسد ألا وهي القلب»^(٢))، وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَنِيَّاتِكُمْ»^(٤). فأصلاح القلب وحمائه^(٥) عن الفكر الذميمة، والخواطر الراحلة والمقيمة، أصل في الوصول إلى الحصول في منازل المقربين، وفضل من الله يهبه لمن اختصه بعنايته به من الموقنين. فحقيق بالمتوجه مراعاته ومُعاناته، ١٨

(١) لا توجد في: ع.

(*-٢) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٣) انظر: صحيح البخاري، ٥٢؛ وصحيح مسلم، ١٥٩٨؛ وشعب الإيمان، ٥٣٥٦.

(٤) انظر: صحيح مسلم، ٢٥٤٦؛ وسنن ابن ماجه، ٤١٤٣؛ وصحيح ابن حبان، ٣٩٤؛ وشعب الإيمان، ١٠٤٧٧.

(٥) ع: رحانيته.

- وخليقٌ به عند هجوم الأمراض عليه مُداواته، وهو أعظمُ الجوارح ضرراً، وأتمُّ القبائح عنه ينشأ ورداً وصدراً، فمعاناته من الأمور المهمة، ومُراعاته من المقاصد المتعيّنة، وإهماله من المفاسد المتبيّنة^(١)، وهو معدنُ الأخلاقِ الحسنة ٣ و٥٩
- والقيحية، والأفعال الحميدة والذميمة، والمُعوجة والمستقيمة، فالتنبُّه فيه للمراقبة له والمُحاسبة من الأمور اللازمة الواجبة، وتطهيره من نجاسة الهواجس المُصاحبة من الكرامة النافعة له في الدار الأخرى عند المُحاسبة. ٦
- قال بعضُ المحقّقين: ليس شيءٌ أفضلَ من طهارة القلب، وليس فوق طهارة القلب إلا الصدق، وليس فوق الصدق إلا التور، وليس فوق التور إلا ٩ الله وعجل.
- فالقلبُ هو معدنُ المقامات والأحوال، وموطنُ المعاصي والطاعات، ومقرُّ التجلياتِ بالأنوار^(٢)، والترقياتِ في الأطوار، فمن لم تكن له سياسته عنايةً، فإنه قد وقع من الخطأ والخطر فيما ليس له نهاية. وقد تقدّم القولُ فيما يُثبت ويُنفى من الصفات الحميدة والذميمة، فليعتمد ذلك السالك، فإنه له من أعظم الغنيمه، فمن راعى ما يردُّ على قلبه من الخطرات، فقد وافى من المُرادات أتمّ الطلبات. ١٢
- وقد تخصّص عن غيره من الجوارح الظاهرة | بثلاثة أمور: ١٥ و٥٩
- أحدها: أنه محلُّ نظرِ الله وإشراقه وإطلاعه، وخزانة بيتِ مالِ أسراره ومعارفه، فقد ورد: «ما وسعني سوائي ولا أرضي، ووسعني قلبُ عبدي المؤمن»^(٣)، ومن كان بهذه المثابة فحراسته عند الغفلة^(٤) متعيّنة، وصيانته عن الأخطار مستحسنة. ١٨
- وثانيها: أنه حصنُ العبدِ وملجؤه عن^(٥) العذاب، بما استقرّ فيه من الإيمان، والعدوُّ اللعينُ مُحاصِرٌ لذلك الحصنِ يقصده غرّةً وغفلةً، حتى ينتهزَ فرصةً منه،

(١) ع: المبيّنة.

(٢) س: للأنوار.

(٣) انظر: الفردوس بمأثور الخطاب، ٤٤٦٦.

(٤) ع، س: العقلاء.

(٥) س: من.

فيدخلُ فيها إلى ذلك الحصن، فيخر به ويتمكّن منه، فيشمتُ بمالكه، ويتنصرُ عليه. فيتعيّن على العاقلِ تحصينُ ذلك الحصنِ، وإعمالُ الحيلة^(١) في الإحترازِ مِنَ العدوِّ المُحاصِرِ له، باليقظةِ والتحفُّظِ منه.

٣

وثالثُها: أنه اشتملَ على حُكْمَيْنِ مُتضادَّيْنِ ومُقصدَيْنِ مُتجاددَيْنِ، ودَعْوَتَيْنِ مُتقابلَتَيْنِ، وهما: الإلهامُ والوسوسةُ، المُعَبَّرُ عنها بلمّةِ الشيطانِ ولمّةِ الملكِ، فالمحاربةُ أبدأً بينهما واقعةٌ، كلُّ منهما يُريدُ عَزَلَ مُقاومِهِ وإثباتَ ولايَتِهِ | وسلطانِهِ عليه، فالخطرُ فيه أكثرُ، والمشقةُ في معاناتِهِ أشدُّ، فكانَ أشرفَ الجوارِحِ وأعظمَها قَدْرًا، فمُرَاعَاتُهُ ومعاناتُهُ تكونُ عندَ الله أكثرَ أَجْرًا.

٦٠ و

والتقوى على ثلاثةِ أوجِهٍ: تقوى الشُّرْكِ، وتقوى المعاصي، وتقوى الخواطرِ، فإنَّها تأتي كالسَّيلِ في الليلِ^(٢)، وترادُفُها مانعٌ مِنَ اتِّصالِ النَّيْلِ. وبه تمَّ الكلامُ في التقوى الظاهرةِ والباطنةِ، وبذلك انتهى بنا القولُ في العقبةِ الثالثةِ.

١٢

العقبة الرابعة

العوارض

وهي شاغلةٌ عن المرادِ، قاطعةٌ حَبَلَ الودادِ، وهي أربعةٌ: الإهتمامُ بالرِّزْقِ والسعيُّ في طلبِهِ، والخطرُ المتوجِّهُ والفِكرُ في دَفْعِ سببِهِ، والقضاءُ السماويُّ والضجرُ مِنَ ترادُفِ كُرْبِهِ، والمصائبُ النازلةُ، والشدائدُ الواصلةُ، التي لا يَمْنَعُ العبدَ منها الإشتدادُ في هربِهِ.

١٥

(١) س: الحيوّة.

(٢) س: النيل.

العارض الأول

تعلّق النفس بهمّ الرزق

- ٣ | والطلبُ^(١) له أعظمُ قاطع، وهو في أكثرِ الخلقِ نقصٌ فاقعٌ^(٢)، والمشتبِتُ فيه منهم قليلٌ، فإنْ وُجدَ فهو لشأنِهِ رافعٌ. وقطعُ هذا التعلُّقِ بالتوكُّلِ^(٣)، فإنّه مَبْلُغُ المُنْقَطِعِ إلى التوصلِ، فمَنْ عَمِلَ عليه أراحَ سِرَّهُ مِنَ الفِكرِ، وصَدْرَهُ مِنَ الضيقِ، وتفرَّغَ لعبادةِ ربِّه بقلبه وقَلْبِهِ، وكان في أمرِهِ على بَيِّنَةٍ^(٤) من ربِّه.
- ٦ | والفراغُ هو جُلُّ العبادةِ، بل كُلُّهَا، والمتوكِّلُ أكثرُ الخلقِ فراغًا، وأقلُّهم تعلُّقًا بما يشغلُ خاطره من الأسبابِ الأخرويةِ والدينيويةِ. وقد خاطبَ اللهُ به الأنبياءَ، فقال لرسوله ﷺ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال أيضًا: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]، وأمرَ به المؤمنينَ، فقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وضمّنَ الرزقَ لِخَلْقِهِ، وأقسَمَ لهم بما وثقُوا بِقَسَمِهِ، فقال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْكُم تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢١-٢٢].

- ١٥ | وللتوكُّلِ مواطنٌ ثلاثةٌ:
الأوّل: في القِسْمَةِ المُقدَّرةِ^(٥) - قِلَّةٌ أو كَثْرَةٌ - وهو (*سكونُ النفسِ*^{٦١}) | إلى ما قُسمَ في الأزلِ، وأنّه لا زيادةَ فيه ولا نقصَ منه، وهذا ممّا عُلِمَ مِنَ الشرعِ وُجوبُهُ.
- ١٨

(١) ع: والتطلبُ.

(٢) ع، س: واقع.

(٣) في الأصل: فالتوكُّلِ.

(٤) في الأصل: سنة [تصحيف].

(٥) س: لقدره.

(٦) (*-٦) ع: سكونٌ.

الثاني: في النصر على العدو عند اللقاء، وهو الوثوق وثبات الإحساس^(١) بالانتصار من الله. قال الله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وقال: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]،^٣ وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠]. وهذا مما عُلِمَ أَنَّهُ واجب بالوَعْدِ، فمهما عَلِقَتِ الهِمَّةُ بالله وصدقَتْ في توَكُّلِهَا كَفَاها ما تخشى^(٢)،^٦ ووَفاها مِنَ الجِزَاءِ في العُقْبَى ما ترضى^(٣).

والثالث: في سدِّ الخَلَّةِ وإِزاحةِ الحاجةِ، فيعتقد أن ما يَقُومُ بِنِيَّةِ جَسَدِهِ، وكُلْفَةِ أَهْلِهِ وولَدِهِ، وَمَنْ له عَوَالِدٌ عَلَيْهِ، فلا بدَّ وأن توصل إليه. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، أي كافيه.

وقال في الحديث الذي رواه عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «لَوْ أَنكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقْنَاكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَعْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا». أخرجه الترمذي وقال: حسنٌ صحيح، وأخرجه ابن ماجه^(٤).

٦١ ظ

١٥

العارض الثاني

الانتظار لعوارض الأخطار

وهو وَهْمٌ مُسْتَحْكِمٌ في الجِبِلَّةِ، مُكْسِبٌ للمهانةِ في النفسِ والذَلَّةِ. ومداواةُ هذه العلةِ بالتفويضِ لأمرِ اللَّهِ، وله فائدتان:

١٨

(١) ع، س: الجأش.

(٢) ع، س: تخشاه.

(٣) ع، س: ترضاه.

(٤) انظر: سنن الترمذي، ٢٣٤٤؛ وسنن ابن ماجه، ٤١٦٤.

الأولى: سكون الخواطر المترددة بما وقع من الطمأنينة للقلب، فمن^(١) ذلك تعجيل راحة النفس، وذلك غنيمته حاصله خالية عن اللبس.

الثانية: رجاء سلامة العاقبة، ووجود الأمن من الخوف في المستقبل، فإن

الأمر بخواتيمها وعواقبها، وذلك أمرٌ مبهّم على العباد، فالتفويض فيها جهلت عاقبته محصلٌ للمراد، قال الله تعالى: ﴿وَأُفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

فوقه الله سيئات ما مكروا ﴿ [غافر: ٤٣-٤٤]،

فمن فوّض قديم على قدم السلامة، وعدم ما عليه ندم غيره من الملامة، | فلقد استراح من أعرض عن التدبير^(٢)، وفوّض فيما وقع من الأمر العسير.

العارض الثالث

ما ورد من الأفضية الغيبية فيما لا شعور به للنفس^(٣) البشرية ويكبع^(٤) من

الصبر عليه أكثر البرية، فمتعين على العبد الرضى به؛ لوجهين:

أحدهما: ليتفرغ القلب من الاشتغال بغير مولاه، فيقبل على عبادة الله خالي

البال عن الإهتمام بما يتوقع في ثاني الحال. وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ

فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [الحديد: ٢٢] الآية، ثم قال:

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

وقال شقيق البلخي رضي الله عنه: إن حسرة الأمور الماضية وتدبير الآتية، قد ذهبت

ببركة ساعاتك هذه.

وثانيها: التعرض لحلول الغضب والسخط، وذلك من أعظم الغلط، فغضب

الله لا يقوم له شيء، وأفضيته لا ترد، بل هي باقية^(٥)، على ما سبق به علمه

(١) س: ففي.

(٢) ع: التدابير.

(٣) ع، س: إلى القوى.

(٤) كاع يكبع عن الأمر: جبن عنه وهابه. انظر: تاج العروس (ك. ي. ع).

(٥) لا توجد في: ع، س.

جارية، فَمَنْ رَضِيَ بِالْمَقْدُورِ، ظَفِرَ مِنْ مَوْلَاهُ بِالشُّرُورِ، وَقَدْ بَشَّرَ^(١) اللَّهُ تَعَالَى
| بقوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

٦٢ ظ

٣

العارض الرابع

مُنَازَلَةُ الْمَصَائِبِ الصَّوَابِ وَمُكَابَدَةُ الشَّدَائِدِ النَّوَابِ

فَإِنَّ الْجَزَعَ مَفُوتٌ لِلْأَجْرِ، مُثَبَّتٌ لِلْوِزْرِ، وَعِلَاجُ ذَلِكَ بِالصَّبْرِ، فَإِنَّهُ يُحْمَدُ
مِنَ الْعَبْدِ؛ لِحَالَتَيْنِ:
أحدهما: التَّمَكُّنُ مِنَ الْعِبَادَةِ بِتَسْكِينِ الْخَاطِرِ، فَمَبْنَى الْعِبَادَاتِ عَلَى الصَّبْرِ
وَمُكَابَدَةِ الْمَشَاقِّ.

٦

٩

وثانيهما: ما يترتبُ عليه مِنَ الثَّوَابِ فِي الْعُقُوبِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا
يُوقَى الصَّادِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، فَمَنْ وُقِّقَ لِقَطْعِ هَذِهِ
العقبة فقد رُزِقَ مِنَ الصَّبْرِ ما يُؤْمَلُ^(٢) مِنْ عَتَقِ الرِّقْبَةِ. وبذلك تَمَّتْ عَقْبَةُ الْعَوَارِضِ.

١٢

العقبة الخامسة

البواعث

مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَاعِثٌ طَلَبَ لَمْ يَظْفَرْ فِي سَيْرِهِ بِأَرْبٍ، فَإِذَا زَالَتِ الْعَوَائِقُ
تَحَرَّكَتِ الْبَوَاعِثُ، وَالْمُحَرِّكُ لَهَا أَمْرَانِ: خَوْفٌ وَرَجَاءٌ.
الأمرُ الأوَّلُ: الخوفُ. والتزامه^(٣) واجبٌ؛ لوجوهٍ، أحدها: لإِقَامَةِ هَيْبَةِ^(٤)
المعبود | وتعظيمه. وثانيها: لزجرِ النفسِ عَنِ الْمَعَاصِي، فَإِنَّهَا كَثِيرَةٌ التَّلَوُّثُ بِهَا،
وَالخَوْفُ يَمْنَعُ مِنْهَا وَيَصُدُّ عَنْهَا.

٦٣ و

١٨

(١) ع، س: بَشَّرَهُمْ.

(٢) ع، س: يَأْمَلُ.

(٣) س: وَإِلْزَامُهُ.

(٤) غير واضحة في الأصل والمثبت من: ع، س.

- ٣ وثالثها: السلامة من العُجبِ بالعملِ الصالح؛ فإنه مُفسِدٌ لصحّةِ العباداتِ، مُبْطِلٌ لِقَبُولِ الطاعاتِ، فحقُّ على العاقلِ الإلتزامُ له^(١) في أحواله، فإنه نافعٌ له عند مآله، ولأجل ذلك قال ﷺ: «والله إنِّي لأَعْرِفُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ خَوْفًا مِنْهُ»^(٢)، فالخائفُ أبداً ساعٍ في طلبِ المزيدِ مِنَ العملِ، داعٍ لنفسِه إلى ما تبقى^(٣) من كثرةِ الأملِ.
- ٦ الأمرُ الثاني: الرجاءُ. فالقنوطُ منهيٌّ عنه، مأمورٌ بالهربِ منه؛ لما يتضمَّنُ من إساءةِ الظنِّ بالكريمِ، ويتعيَّنُ من تعلقِ الأملِ بالرحيمِ، واستشعارِ الرجاءِ لازماً لِقَصْدَيْنِ:
- ٩ أحدهما: لتحكُّمِ الغفلةِ مِنَ النفوسِ، وثقلِ الطاعاتِ عليها، وميلها إلى الراحةِ والدَّعةِ واللَّهوِ والبطالةِ، وما تميلُ إليه مُشاهدٌ حاضرٌ معها | ، فتثقُّ به وتعوَّلُ عليه، وما توعدُّ به مِنَ الثوابِ غائبٌ عنها، فتعرضُ عنه، والأنفُسُ مُولَعَةٌ بِحُبِّ العاجلِ، وهذه كُلُّها موانعٌ، فلا بُدَّ من مُقابلتها بضدِّ يرفعُها ويدفعُها، وهو الرجاءُ المُتمكِّنُ، والترغيبُ المُتبيِّنُ، بحَسَبِ الثوابِ في دارِ المآبِ.
- ١٢ وثانيهما: لتسهيلِ ما يجري مِنَ المشاقِّ، وتهوينِ ما تحذرُ مِنَ الإشفاقِ، فإنَّ مَنْ عَرَفَ ما طلبَ^(٤)، هَانَ عليه^(*) بما بذلَ بما أَحَبَّ^(٥)، كما أَنَّ التُّجَّارَ لمحبةِ الفوائدِ يُكثِرُونَ الأسفارَ، وَيَرَكِبُونَ الأخطارَ، فإذا أتوا سَالِمِينَ غانِمِينَ أَنسَاهُمْ الرِّبْحُ ما قاسَوْهُ مِنَ الخطرِ المُبينِ، فمَنْ لم يبذلِ المجهودَ فقد فَوَّتَ المقصودَ، وقد أَنشدنا بعضُ مشايخِنا:
- ١٨

(١) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٢) انظر: الفردوس بمأثور الخطاب، ١٦٦.

(٣) ع: يُتَّقَى.

(٤) ع: يطلب.

(٥*)-*) ع: بذل ما أَحَبَّ.

[البسيط]

إنَّ التجار إذا أتوا وقد ربحوا أنساهم الرِّيحُ ما ^(*)عَنِّي مِن ^(١)السفرِ

٦٤ و

٣ واعلم أنَّ الخوفَ والرجاءَ لا قُدرةَ للعبدِ عليهما، فإنَّهما | مِن قبيلِ الخواطرِ. والمقدورُ للعبدِ المقدماتُ، فمقدماتُ الخوفِ أربعٌ: ذِكْرُ الذُّنوبِ، وشدَّةُ العذابِ، وضعفِ النفسِ عن العقابِ، وذِكْرُ قُدرةِ اللهِ على العبدِ.

٦ ومقدماتُ ^(٢)الرجاءِ أربعٌ:

ذِكْرُ ما سبقَ مِن فضلِ الإلهِ إليه.

وذِكْرُ ما وعدَ مِن الثوابِ للمُطيعِ.

٩ وذِكْرُ كثرةِ النِّعمِ والألطفِ حالاً ومآلاً. كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعَدُّوا

نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وذِكْرُ سَعَةِ الرَّحْمَةِ، كما قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:

١٢ ١٥٦]، وقال عليه السلام حكايةً عن ربِّه: «رحمتي سَبَقَتْ غَضَبِي» ^(٣).

فَمَن كان بهذه المثابة كيف لا يتعلَّق به حَبْلُ الرَّجاءِ، ويتوثَّق به مَن هو

مُنقطعٌ بكثرةِ اللأواءِ ^(٤). وبه تَمَّتْ عقبَةُ البواعثِ.

(*)-١) في رواية: عناهم.

(٢) ع: ومفصلات.

(٣) انظر: صحيح البخاري، ٦٩٨٦؛ وسنن ابن ماجه، ١٨٩؛ والسنن الكبرى، ٧٧٥١؛ ومسند أحمد، ٧٤٩١.

(٤) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة، ومنه الحديث: قال له: «أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللأواءُ؟». انظر: لسان العرب (ل. أ. ي).

العقبة السادسة

القوادح

٣ اعلم أنّ قبول الأعمال متوقّف على تحلّف المفسدات الظاهرة والباطنة، واشتغال أكثر الخلق إنّما هو بما يفسد العمل ظاهراً، وإنّما يشتغل بما يفسدُه باطنًا المتوجّهون. فمفسداته متنوّعة، ونقتصرُ منها على | ثلاثة أنواع:

٦٤ظ

النوع الأول

الشُّرك في المقاصد والنيّات

٩ وهو من أعظم الزلّات وأطم الآفات. قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، فمفهومُه: أنّ ما كان مشوباً من العمل فهو لغير الله، فالإخلاص في الأعمال^(١) مطلوب. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ^(*) وإِنَّمَا أَمْرٌ وَنَهْيٌ عَنْ ذَلِكَ^(٢)؛ لوجهين:

١٢ أحدهما: لما يترتب بفعله من القبول وبلوغ المأمول من توفير الثواب في دار المال^(٣)، فإن فات رُد أو نقص ثوابه. رَوَيْنَا مِنْ حَدِيثِ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ الْفَهْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: أَنَا خَيْرُ شَرِيكَ، فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِي شَرِيكًا فَهُوَ لَشَرِيكِي، يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَخْلِصُوا أَعْمَالَكُمْ لِلَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا خُلِّصَ، وَلَا تَقُولُوا: هَذَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ، فَإِنَّهَا لِلرَّحِمِ، وَلَيْسَ لِلَّهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَلَا | تَقُولُوا: هَذَا لِلَّهِ وَلِوَجْهِكُمْ، فَإِنَّهَا لِوَجْهِكُمْ، وَلَيْسَ لِلَّهِ مِنْهَا شَيْءٌ»، أخرج البزار^(٤).

٦٥و

(١) س: العمل.

(٢*)-٢) ع، س: وإِنَّمَا أَمْرٌ بِهِ وَنَهْيٌ عَنْ ضِدِّهِ.

(٣) ع، س: المآب.

(٤) الحديث ورد في مسند البزار، ٨٣٠٩ بنص: «أنا خير الشركاء، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا فَأَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ». و ٩٠١٢ بنص: «أنا خير شريك، فَمَنْ أَشْرَكَ بِي أَحَدًا فَهُوَ لَهُ كُلُّهُ». والحديث بنصّه في سنن الدارقطني، ١٣٣.

وثانيهما: إيتابُ بَدَنِهِ بِالْعَمَلِ مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ عَلَيْهِ عَائِدَةٌ، فَدَعَتْهُ عَنِ الْعَمَلِ أَرْوَحُ لِيَدِنِهِ، بَلْ يَتَرْتَبُ مِنَ الْإِثْمِ بِذَلِكَ الْعَمَلِ كَثِيرًا، فَسَأَلَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ.

٣

النوع الثاني

الرياء^(١)

إِنَّ الرِّيَاءَ مِنْ أَعْظَمِ الْآفَاتِ الدَّاخِلَةِ عَلَى الْأَعْمَالِ الْمُوقِعَةِ فِي الْأَوْحَالِ. رَوَيْنَا

٦

مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ رَأَى رَأَى رَأَى اللَّهُ بِهِ»، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ^(٢).

قَلْتُ: الْمَعْنَى: أَنَّهُ^(٣) يُعَامِلُهُ مُعَامَلَةَ الْمُرَائِي، مِنْ إِحْبَابِ ثَوَابِهِ، وَفُضِيحَتِهِ عَلَى

٩

رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ بِإِظْهَارِ مَا كَانَ أَخْفَاهُ^(٤) فِي هَذِهِ الدَّارِ، مِنْ حُبِّ^(٥) النِّيَّةِ وَفَسَادِ الطَّوْبَةِ.

رَوَيْنَا مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُجَاءُ يَوْمَ

١٢

الْقِيَامَةِ بِصُحُفٍ مُحْتَمَّةٍ، تُصَبُّ^(٦) بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَقُولُ وَعَجَلٌ لِلْمَلَائِكَةِ: أَلْقُوا هَذَا وَأَقْبَلُوا هَذَا. | فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ، مَا رَأَيْنَا إِلَّا خَيْرًا،

ظ ٦٥

فَيَقُولُ تَعَالَى وَهُوَ أَعْلَمُ: إِنَّ هَذَا كَانَ لِغَيْرِي، وَلَا أَقْبَلُ الْيَوْمَ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا ابْتِغَى بِهِ وَجْهِي». رَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ فِي السُّنَنِ^(٧).

١٥

(١) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٢) انظر: صحيح مسلم، ٢٩٨٦

(٣) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٤) ع: عَوْضُهُ.

(٥) في الأصل، ع: حيث، والمثبت من: س.

(٦) ع، س: فَتُصَبُّ.

(٧) انظر: سنن الدارقطني، ١٣٢.

وقال معاذٌ لرسولِ الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن: أَوْصِنِي، فقال عَجَلٌ: «أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِيكَ»^(١) القليلُ مِنَ العملِ»^(٢).

٣ فعلى الساعي في طلبِ نجاتِهِ الاجتهادُ في إخلاصِ أعمالِهِ، والابتعادُ عن الرياءِ في جميعِ أحوالِهِ.

٦ وأما الإخلاصُ فعلى ضَرَبَيْنِ: إخلاصُ عملٍ، وإخلاصُ طلبِ ثوابٍ. فالأولُ: هو إرادةُ القربةِ وتعظيمِ المعبودِ بالعملِ. والثاني: هو إرادةُ تنفعِ الآخرةِ بالعملِ الصالحِ. فهذا لِلْعَوَامِّ، وذلك لِلْحَوَاصِّ مِنَ الْأَنْامِ.

٩ رَوَيْنَا أَنَّ الْحَوَارِيْنَ قَالُوا لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ: مَا الْخَالِصُ^(٣) مِنَ الْأَعْمَالِ؟ فَقَالَ: «الَّذِي يَعْمَلُ لِلَّهِ لَا يُحِبُّ أَنْ يَحْمَدَهُ عَلَيْهِ أَحَدٌ»^(٤).

وقال الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: الإخلاصُ: دوامُ المراقبةِ ونسيانُ الحظوظِ كُلِّهَا^(٥).
وقال | الجُنَيْدُ: تصفيةُ الأعمالِ مِنَ الكُدُورَاتِ^(٦).

١٢ وأما الرياءُ، فهو إرادةُ نفعِ الدنيا بعملِ الآخرةِ، وهو ضدُّ الإخلاصِ، وهو نوعان: خالصٌ، ومَشُوبٌ^(٧).

١٥ فأما الخالصُ فهو تَمَحُّصُ العملِ لنفعِ الدنيا. وأما المشوبُ فهو إضافةُ نفعِ الآخرةِ إلى الدنيا، فليَحْذَرَ العاقلُ مِنْ هذا الفعلِ النازلِ، فإنه يَجْمَعُ له بينَ الضررِ العاجلِ والآجلِ. قال الْفُضَيْلُ: تركُ العملِ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ رِيَاءً، والعملُ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ، والإخلاصُ أَنْ يُعَافِيكَ اللَّهُ مِنْهَا^(٨).

(١) في الأصل: يكفيك، والمثبت من: س. مجزوم في جواب الطلب.

(٢) انظر: شعب الإيمان، ٦٤٤٤، و٦٨٥٩؛ وكتر العمال في سنن الأفعال والأفعال، ٥٢٥٧.

(٣) في الأصل: الخالص. والمثبت من: ع، س.

(٤) انظر: إحياء علوم الدين، ٧٦:٩.

(٥) انظر: إحياء علوم الدين، ٧٦:٩.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء، ٤٢٧:٨.

النوع الثالث العُجْب

- ٣ اعْلَمَ أَنَّ الْعُجْبَ أَرَدَى حَالَةَ تَرَدُّدٍ فِي الْأَعْمَالِ: الْعَادَةِ وَالْعِبَادَةِ. وَحَقِيقَةُ الْعُجْبِ هُوَ الْإِسْتِعْظَامُ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ. فَلْيَتَّقِمْ لَهُ^(١) الْغَافِلُ عَنْهُ، وَلْيَحْذَرْ مِنَ الْمُدَانَاةِ لَهُ^(٢). وَاجْتِنَابُهُ مُتَعَيِّنٌ لِرُجُوعِهِنَّ:
- ٦ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ اشْتِغَالَ بِتَعْظِيمِ نَفْسِهِ عَنْ رُؤْيَةِ مِنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَهُوَ مَحْجُوبٌ عَنْ تَأْيِيدِهِ وَتَوْفِيقِهِ الَّذِي يَفْتَقِرُ الْعِبَادُ إِلَيْهِ، فَمَنْ عَانَاهُ فَإِنَّهُ مَحْذُولٌ، لَيْسَ لَهُ إِلَى بَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَصُولٌ.
- ٩ وَثَانِيهَا: أَنَّهُ يُبْطِلُ صَالِحَ^(٣) | الْعَمَلِ، وَيُحْصِلُ فَاضِحَ الْوَجَلِ، فَتَبْطُلُ بِهِ فَائِدَةُ الْعِبَادَةِ وَثَمَرُهَا، وَيَلْتَحِقُ مِنْ عَانَاهُ بِمَا حَكَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].
- ١٢ وَقَالَ الْمَسِيحُ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْخَوَارِجِيِّينَ، كَمْ مِنْ سِرَاجٍ أَطْفَأَتْهُ الرِّيحُ، وَكَمْ مِنْ عَابِدٍ أَفْسَدَهُ الْعُجْبُ!»^(٤). وَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ الْخَيْرِيُّ: الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ يُوَصِّلُكَ إِلَى اللَّهِ وَعَجَلُكَ، وَالْكِبْرُ وَالْعُجْبُ فِي نَفْسِكَ يَقْطَعُكَ عَنِ اللَّهِ، وَاحْتِقَارُ النَّاسِ فِي نَفْسِكَ مَرَضٌ عَظِيمٌ لَا يُدَاوَى^(٥).
- ١٥ وَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِي الْعُجْبِ بِمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا. وَبِهِ تَمَّتِ الْعُقْبَةُ السَّادِسَةُ.

٦٦ظ

(١) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٢) ع، س: منه.

(٣) لا توجد في: س.

(٤) انظر: بدائع السلك في طبائع الملك، ١: ٥٢٤.

(٥) انظر: صفة الصفوة، ٤: ١٠٥.

العقبة السابعة

الحمد والشكر

- ٣ فمجدُّ الله وعلاهُ قائمٌ في الوجودِ، وحمدهُ وثناءهُ ناطمٌ لما تبدّد من شُكرِ نِعَمِهِ في القيامِ والقُعودِ، فمَن لم يشتغلْ بحمدهِ، لم يتصلْ إلى شيءٍ من سنيِّ رِفْدِهِ، فواجبُ حمدُ الله وشُكرُهُ في جميع الأحوالِ، وهو مُتعيّنٌ لوجوه^(١):
- ٦ أحدها: الإمثالُ | للأمرِ في قوله تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا دَيْكَ﴾^{٦٧} [لقمان: ١٤]، فإذا شكّرَ فقد بادرَ إلى الإمثالِ، ومَشَى في طريقِ الاعتدالِ. وثانيها: إدامةُ النعمةِ. قال الله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧]، وفي الحديثِ: «إِنَّ لِلنَّعْمِ أَوَابِدَ^(٢) كَأَوَابِدِ الْوَحْشِ، فَتَيِّدُوهَا بِالشُّكْرِ»^(٣).
- ١٢ وثالثها: الزيادةُ. قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، ومثاله في الشاهدِ أَنَّ الْمَلِكَ الْعَظِيمَ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى أَحَدٍ (* مِنْ خَدَمِهِ*)^(٤) بَنَزَرَ يَسِيرًا، وَقَصَرَ عَنِ الْإِعْتِرَافِ بِشُكْرِ مَا أَوْلَاهُ، اسْتَحَقَّ الْمُواخَذَةَ؛ لِوَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمَلِكَ مُسْتَغْنٍ عَنْه بِأَمثَالِهِ مِنْ رَعِيَّتِهِ، وَهُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ. وَثَانِيهَا: أَنَّهُ خَصَّهُ^(٥) بِالْعَطَاءِ لِذَلِكَ الْقَدْرِ، (* وَشَرَّفَهُ بِذِكْرِهِ لَهُ*)^(٦)، فَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ أَنْ يَشْكُرَهُ، فَكَمَا قَبِحَ فِي الشَّاهِدِ تَرْكُ شُكْرِ الْمُنْعَمِ عَلَى مَا أَوْلَاهُ مِنْ مَعْرُوفِهِ وَإِحْسَانِهِ، فَكَذَلِكَ يَقْبِحُ فِي الْغَائِبِ.

(١) ع: س: لجهات.

(٢) الأوابد: النفور والتوحش، وهو جمع أبدة. انظر: شرح النووي على مسلم، ١٣: ١٢٥.

(٣) انظر: السنن الكبرى، ١٩٤٠٠؛ والمعجم الكبير، ٤٣٨٠؛ وسنن أبي داود، ٢٨٢٣؛ وسنن الترمذي، ١٤٩٢؛ وسنن الدارمي، ١٩٧٧.

(*—٤) لا يوجد في: س.

(٥) ع: اختصه.

(*—٦) ع: وشرفه به وتذكره له.

الطرف الثاني: في بيان المسالك للسالك

والفرقُ بين الحمدِ والشُّكرِ أنَّ الحمدَ هو الثناءُ على المنعمِ بما يستحقُّه منَ الشرفِ لذاته، والشُّكرُ: الثناءُ (*على المنعم^١) عليه بما أولاهُ إلى سِواه. وُضدَّ الحمدِ الذمُّ | ، وُضدَّ الشُّكرِ الكُفْرُ، فالحمدُ كالتسبيحِ والتهلِيلِ مِنَ الأذكارِ ٣ ظ
تُعَدُّ مِنَ المَساعي الظاهرة، والشُّكرُ كالتفويضِ، والصبرُ يكونُ مِنَ المَساعي الباطنة، فالحمدُ أعظمُ وأعمُّ وأظهرُ وأكثرُ، والشُّكرُ أخصُّ وأقلُّ. قال اللهُ تعالى:
﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣]. ٦
وللعلماءِ في الشُّكرِ والحمدِ تفاصيلٌ كثيرةٌ وأقوالٌ أُضْرِبْنَا عن ذِكْرِها مخافةَ التَّطويلِ. وبه تَمَّتِ العَقْبَةُ السابعة، واللهُ أعلمُ.
٩ تمَّ النوعُ الأوَّلُ مِنَ الطرفِ الثاني.

(١*-) لا يوجد في الأصل، س، والمثبت من: ع.

النوع الثاني

في بيان شرح المقامات لأهل الإرادات

وفتح باب الزيادات على من يرغب في الإفادات

٣

والنظر فيه يقع في حكم السالك، وما يُخشى عليه في طريقه من المهالك، وفي بيان شيء من المصطلح، ليفهم ما هم عليه من المعنى المقترح، وفي ذكر أحكام المقامات والأحوال، وأحكام الرياضات لمن يقصد الأمن من الأحوال. فنَعَقِدُ في ذلك فصولاً^(١) ثلاثة.

٦

الفصل الأول

في حكم السالك وما يُخشى عليه

٩

في | طريقه من المهالك

٦٨ و

اعلموا أن الطريق المطلوبة للسالكين مطلب، وعليه مهالك للمتوجهين، وهي بمثابة شخص سمع بقصر مفرد في مهمّة من^(٢) الأرض لا يعرف له طريق توصل إليه إلا واحدة، وسمع أنه اشتمل على نفائس الأمتعة وذخائر الجواهر، فتطلعت نفسه للوصول إليه، ورغبت^(٣) في مشاهدة ما كان فيه، فسار عامداً لذلك القصر، فاعترضت له طرق متشعبة، فتحفظ منها، فلم يزال يأخذ على الجادة حتى وصل إلى باب القصر بعد أن لعب وتعب، فأراد أن يدخل بغير مفتاح، فما تمكّن، فإن كان صادقاً في طريقه جدّ في البحث عن^(٤) تحصيله، فإن وجدته فتحه ودخله،

١٢

١٥

(١) في الأصل: فصول.

(٢) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٣) ع: ورغبة.

(٤) ع، س: على.

وتنزه فيما كان فيه مُودَعًا مِنَ النَّفَائِسِ ، وما كان عنده سَمَاعًا صارَ عَيَانًا ، وإن كان كاذبًا في سيره أهملَ أمرَ المِفْتَاحِ ، فلمَ يَظْفَرْ بشيءٍ مِنْ خَيْرِهِ .

٣ فظاهرُ القَصْرِ هو عالمُ الشَّهادَةِ ، وباطنُه هو عالمُ الغيبِ ، ومِفْتَاحُه هو التجرُّدُ عن العلائقِ والعوائقِ .

٦٨ ظ | والطَّرَائِقُ^(١) الموصلة إليه هي: الجِدُّ في المُجاهدَةِ والبُعْدُ عن المُعانَدَةِ ،

٦ وهو السُّلوكُ الذي هو انتقالٌ مِنْ فِعَلِ طاعةٍ إلى أخرى مِثْلِها أو أشرفَ منها . فهو أبدأً عاملاً في مُعاناةِ المُداواةِ لأمراضِ قلبه بِمُجاهداتٍ بدنيَّةٍ ، ورياضاتٍ نفسيَّةٍ ، لمواصلاتٍ نُوريَّةٍ ومُفاتيحٍ غيبيَّةٍ ، ومُعاملاتٍ بأخلاقٍ مَرَضِيَّةٍ ، واقتصارٍ على أغذيةٍ هَيَّيَّةٍ مَرِيَّةٍ ، آخذةٍ^(٢) مِنَ الوَسَطِ عن كَثْرَةِ وَقَلَّةِ عَرِيَّةٍ .

٩ فَمَنْ أرادَ مُجالسَةَ الحَقِّ والحُضُورَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِطَلَبِ ما مِنَ الفَضْلِ لديه ، فَلْيَلِزِمِ الأَدبَ ، وَلْيَطْلُبْ مِنْ نَفْسِهِ إلى اللهِ المَهْرَبَ ، وَلْيَحَافِظْ على عَشْرِ^(٣) خِصالٍ ، وهي : الطهارةُ ، والخُلُوةُ ، والصمتُ ، والصومُ ، والدُّكْرُ لُلهِ دَوامًا ، والتسليمُ ، ونفيُ الخواطرِ ، وتوسُّطُ الغداءِ ، ونومُ الغلبَةِ ، والإرتباطُ على الشيخِ الذي^(٤) يقتدي به ؛ فَإِنَّه الأَصْلُ في إمدادِهِ ، والوصلُ لِمَا يَحْشَى أَنْ يَنْقَطِعَ عنه مِنْ إعدادِهِ .

١٥ | فبدوامِ الطهارةِ يكتسبُ تخفيفَ أثقالِ الكِثافةِ الطَّيْنِيَّةِ ، وتستفيدُ الرُّوحُ الأنوارَ القُدسيَّةِ ، فعِنْدَ وُروُدِ الوُضوءِ على الوُضوءِ نورٌ على نورٍ .

١٨ وبدوامِ الخُلُوةِ يستفيدُ جَمْعُ الفِكرةِ ، فلا تَتَبَدَّدُ مِنْه خَواطِرُه . وبالسُّكُوتِ تَقَلُّ مِنْه التَّيَبُّعاتُ ، كما وردَ في حديثِ معاذٍ : «وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ على مَنَاحِرِهِمْ في نارِ جَهَنَّمَ إِلَّا حَصاصِدُ الأَسِنَّةِ»^(٥) .

(١) ع ، س : الطريق .

(٢) في الأصل ، س : أخذه ، والمثبت من : ع .

(٣) في الأصل : عشرة ، والمثبت من : س .

(٤) لا توجد في : س .

(٥) انظر : سنن الترمذي ، ٢٦١٦ ؛ ومسند الطيالسي ، ٥٦١ ؛ ومصنَّف عبد الرزَّاق ، ٢٠٣٠٣ ؛ والمعجم الكبير ، ١١٦ ؛ والمعجم الأوسط ، ٧٥٠٣ ؛ وشعب الإيمان ، ٢٥٤٩ .

وبالصوم تقلُّ منه الشهواتُ، فيحصلُ الصفاءُ للباطنِ. وقال عليه السلام: «الصومُ جُنَّةٌ»، والجنَّةُ: السُّترةُ. فهو إِمَّا سَتَّرَ عن الشهواتِ والزَّلَّاتِ، وإِمَّا سَتَّرَ^(١) عن عذابِ الله يومَ القيامةِ.

- ٣ وأما الذِّكْرُ فَإِنَّ القلبَ محلُّ الفِكرِ، والشيطانُ يُوسوسُ وَيُسَوِّلُ، فإذا أدامَ الذِّكْرَ قَطَعَ سلطانهُ ولم يبقَ في القلبِ إلا المذكورُ. وأفضلُ الذِّكْرِ: لا إله إلا اللهُ، وقدِ اشتملتِ الكلمةُ على نفي وإثباتٍ. فينفي عن القلبِ ما يدعي الربوبيةَ والإلهيةَ، من الهوى والنفسِ أ والشيطانِ والشهوةِ. قال اللهُ تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ آخَذَ إِلَهَهُهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، وثبَّت^(٢) فيه سلطانَ الحقِّ وجنودهَ وعساكرهَ، من العِلْمِ والإلهامِ والقرآنِ والسُّنةِ.
- ٦ وأما التسليمُ فَإِنَّهُ يُنْفَى به الاعتراضُ وَيُحْصَلُ به الرِّضَى والتفويضُ ومقدماتُ التوكُّلِ، فَمَنْ سَلَّمَ سَلِمَ، وَمَنْ اعْتَرَضَ نَدِمَ. قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمِ﴾ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [البقرة: ١٣١].
- ٩ ويلزمُ من ذلك الرِّضَى بما يلزمُ^(٣) من أحكامِ القَدْرِ في أحوالِ العبدِ، من الرجاءِ والخوفِ، والقَبْضِ والبَسْطِ، والغنى والفقرِ، وغيرِ ذلك من الوارداتِ الغيبيةِ، والملاحظاتِ القلبيةِ والمشاهداتِ الحسيةِ.
- ١٢ قال سهلٌ: مَنْ صَحِبَ نَفْسَهُ هَلَكَ، وَمَنْ صَحِبَتْهُ نَفْسُهُ لَمْ يَسَلَمْ، وَمَنْ سَلَّمَ نَفْسَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، حَكَّمَ اللَّهُ لَهُ عَلَى النَّفْسِ أَنْ تَقومَ بِأَمْرِهِ^(٤).
- ١٥ وأما نفي الخواطرِ | فَإِنَّهُ أَصْعَبُ ما يُعَانِيهِ السَّالِكُ، وثمرتهُ خُلُوقُ المحلِّ لما يتجلى عليه من الوارداتِ.
- ٢١ وتوسُّطُ الغدَاءِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ كَثْرَةِ تَحْلِيلِ الفَضَلاتِ المَوْجِبَةِ لكثافةِ الطبعِ.

(١) زيادة اقتضاها السياق.

(٢) س: ويثبت.

(٣) ع، س: يظهر.

(٤) انظر: ذمُّ الهوى، ٤٨.

وأما نوم الغلبة، فلأنّ اليقظة حياة، والنوم موت، والحياة أشرف من الموت. وأما التسبيح، فلأنّه الدليل الموصول والخير الموقف، فحقّ مراعاته وموالاته فإنّه الأصل في إمداده؛ لفيض العلوم عليه. فإذا حافظ في سيره^(١) على هذه ٣ الخصال ففتح من خزائن الغيب بعجائب النوال، ووصول من الأعداء، فلا تسليط لهم عليه في الحال والمآل.

واعلم أنّ الشيخ أصل في تحصيل المقاصد وتوصيل الفوائد، وقد تكلم أهل الطريق في صفته وشرطه، وبيّنوا ما يتعيّن من معرفته لهذا الشأن وضبطه، وقد عرّ^(٢) (أو ندر^(٣)) في وقتنا هذا من يعرف ما كان عليه سلف هذه الطائفة، وما كانوا^(٤) يتحلّون به من الرسوم الواصفة للمعاني التالدة والطارفة^(٥)، فليس يليق ٩ بالعاقل | فيه إلا الصبر على ما يسمع ويرى، والعزلة عن المشاركة لما فيه أقام من التحف برد^(٥) الجهل من الورى.

ظ٧٠

واعلم أنّ السالك له آفات في نفسه لازمة، ولظهره قاصمة، منها تحسين أعماله وتزوين آماله، فما ينبغي أن يتحسن له في عينه عمل، ولا أن يتزوين له أبداً أمل. قال أبو سليمان الداراني: ما استحسنّت من نفسي عملاً فاحتسبت به^(١).

ومنها: إهمال تمييزه بين المقاصد، والفرق بين الصحيح منها والفساد، فإنّ النظر في ذلك أصل من الأصول في تحصيل الوصول، وتركه تضييع لما يريد أن يتصرّف فيه من المحصول.

ومنها: إقبال الخلق عليه، فإنّه فتنة قد تعجلت إليه، وقاطع يحول عن استقرار المعارف لديه، إلا أن تلحظه عناية وهداية تحتلّسه عن الشكون، وتحيّسه عن

(١) ع: سره.

(*)-(٢) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٣) س: كان.

(٤) التالذ: كلّ قديم من المال، وكلّ ما ورثه من الآباء. والطارف: كل ما استحدث من المال. انظر: تاج العروس (ت. ل. د) و(ط. ر. ف).

(٥) ع، س: برداء.

(٦) انظر: الرسالة القشيرية، ٢٧٠.

- تعلقاتِ الظنون، وتؤنسُه بما يستوحشُ عن الركونِ، فإنه إن^(١) عزَّ ذلك فإنه لا محالة المطرودُ المفتونُ، المُبعدُ المغبونُ.
- ٣ ومنها ما يتمكّن منه^(٢) مِنَ التخيّلاتِ النهاريةِ، | تتجلّى له^(٣) صورُها من المناماتِ الليليةِ، فيعترُّ ويعتقدُ أنّ تلكَ مكانةٌ عاليةٌ، وأنها مرآةٌ صادقةٌ، صادرةٌ عن أحوالِ باديةِ، والوقوفُ معها عند أهلِ الطريقِ لا محالةٌ غرورٌ، والعُكوفُ على الإشتغالِ بذكرها حُزنٌ^(٤) ليس يعقبُه سرورٌ، فليستيقظُ عن هذه الغفلةِ؛ فإنّها مُسقطَةٌ عن رتبةِ السادةِ الأجلّةِ.
- ٩ ومنها احتقارُ مَنْ لا يستندُ إلى رُكنِ جاهٍ أو مالٍ، وتعظيمُ مَنْ له وجاهةٌ وصورةٌ في حالٍ أو مالٍ. وهذه محنةٌ لا يسلمُ منها إلا مَنْ أقامَ على نفسه قسطاسَ المحاسبةِ في كُلِّ نيّةٍ أو فعلٍ^(٥).
- ١٢ وأنواعُ الآفاتِ والعللِ المُفسدةِ للأعمالِ كثيرةٌ، وقد تقدّمَ التنبيهُ عليها بما يُغني عن الزيادةِ لِمَنْ له بصيرةٌ^(٦). ومَنْ لم يستقيمَ منه الابتداءُ، لم يتمَّ له الإنتهاءُ. قال الجنيدُ: أكثرُ العوائقِ والحوائلِ والموانعِ في الأحوالِ من فسادِ الإبتداءِ. وقال أبو يزيد: آخرُ نهاياتِ الصّديقينَ أوّلُ أحوالِ الأنبياءِ، وليس لنهاياتِ الأنبياءِ عِلْمٌ يُدرِكُ^(٧). وبهذا تمّ الفصلُ الأوّلُ.
- ١٥

(١) لا توجد في: ع، س.

(٢) ع، س: في نفسه.

(٣) في الأصل: لها، والمثبت من: ع، س.

(٤) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٥) ع: فعل.

(٦) انظر فيما سبق ص ٩٩

(٧) انظر: التعرّف لمذهب التصوّف، ١: ٦٩.

الفصل الثاني

في بيان طَرْفٍ | من مصطلح القوم، لِيَتَمَيَّزَ (* مِنْ تَعْلَمِهِ*^(١))

ظ٧١

٣

مَنْ يَتَحَصَّنُ فِي سِرِّهِ عَنِ الذَّمِّ وَاللَّوْمِ

إِعْلَمَ أَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ انْتَمَتْ لِلِاشْتِغَالِ بِعِلْمٍ، فَلَا بَدَّ لَهَا مِنْ مِصْطَلَحٍ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ، حَتَّى يَتَمَيَّزَ بِهِ أَهْلُهُ، وَيُعْرَفَ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ فَضْلُهُ وَفَضْلُهُ، وَيَقَعَ الْمُخَاطَبُ^(٢) بِهِ بَيْنَهُمْ كَمَا وَقَعَ لِلْفُقَهَاءِ وَالنُّحَاةِ وَالتَّكَلِّمِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَكَمَا وَقَعَ لِأَرْبَابِ الصَّنَائِعِ، كَالتَّجَارَةِ وَالْحَيَاكَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

٦

فَافْتَقَرَتْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ إِلَى مِصْطَلَحٍ تُعْبَرُ بِهِ عَنْ مَعْلُومِهَا فِي مَقَاصِدِهَا، وَتُخْبِرُ بِهِ عَنْ مَصَادِرِهَا فِي مَعَارِفِهَا وَمَوَارِدِهَا، حَتَّى يَقَعَ الْفَرْقُ بَيْنَ مَنْ انْتَمَى إِلَيْهَا، وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهَا، وَتَأَدَّبَ بِطَرِيقِهَا وَمَارَسَ عُلُومِهَا، وَبَيْنَ مَنْ كَانَ خَلِيًّا مِنْهَا، مُعْرِضًا عَنْهَا، آخِذًا فِي غَيْرِ مَنْهَجِهَا، أَوْ مُعَاشِرًا لَهَا قَدْ تَزَيَّا بِزَيِّهَا، وَلَمْ تَسْمُ هِمَّتُهُ إِلَى طَلَبِ عِلْمِهَا وَفَهْمِ مِصْطَلَحِهَا، فَظَنَّ مَنْ رَأَاهُ أَنَّهُ مِنْ عُلَمَائِهَا.

١٢

وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْعِبَارَةَ وَالْإِشَارَةَ لَا تُفِيدُ لِمَا يُرَادُ لِلنَّفْسِ الْأَمَّارَةِ مِنَ الطَّهَارَةِ، وَإِنَّمَا يَفِيدُهَا ذَلِكَ مَا تَعَامَلُ بِهِ مِنَ الْإِهَانَةِ وَالْحَقَارَةِ. فَلْيَعْمَلْ عَلَى ذَلِكَ | أَرْبَابُ الْفَطَانَةِ وَالْبَصَارَةِ.

١٥

و٧٢

قَالَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ لِأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَطَاءٍ: مَا بِالْكُمْ أَيُّهَا الصُّوفِيَّةُ اسْتَقْفْتُمْ أَلْفَاظًا أَغْرَبْتُمْ بِهَا عَلَى السَّامِعِينَ، وَخَرَجْتُمْ عَنِ اللِّسَانِ الْمُعْتَادِ؟! هَلْ هَذَا إِلَّا طَلَبًا لِلتَّمْوِيهِ أَوْ سِتْرًا لِعَوَارِ الْمَذْهَبِ؟!، فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: مَا فَعَلْنَا ذَلِكَ إِلَّا لِغَيْرَتِنَا عَلَيْهِ؛ لِعِزَّتِهِ عَلَيْنَا، كَيْلَا يُشِيرَ بِهَا غَيْرُ طَائِفَتِنَا^(٣).

١٨

(*-*) (١) ع، س: بعمله.

(٢) س: التخاطب.

(٣) انظر: تأييد الحقيقة، ٧٨، و٢٤٠، و٢٦٣.

وَلَنَشْرَحَ فِيهَا وَعَدْنَا بِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُتَدَاوِلَةِ وَالْكَلِمَاتِ الْمُتَرَدِّدَةِ الْحَائِلَةِ، وَنَقُولُ:

القول في الوقت

- ٣ الوقتُ في اللغة: اسمٌ لزمانٍ متعَيَّن، كقولنا: وقتُ الزوالِ أو طلوعِ الشمسِ أو غروبِها.
- ٦ وفي المصطلحِ: اسمٌ لحُكْمٍ قائمٍ بالمحلِّ، فثَقُلَ عَنِ الزمانِ إلى ما لَزَمَهُ، وهو الواقعُ فيه.
- ٩ وقال الشيخ أبو عليِّ الدَّقَاقُ: الوقتُ: ما أنتَ فيه^(١): إنْ كُنْتَ بالدنيا فوقتَكَ الدنيا، وإنْ كُنْتَ بالعُقْبَى فوقتَكَ العقْبَى، وإنْ كُنْتَ بالسُّرورِ فوقتَكَ السُّرورَ، وإنْ كُنْتَ (*بالخوفِ فوقتَكَ الخوفَ*^(٢))،^(٣).
- ١٢ قلتُ: يعني أنَّ الحُكْمَ لِمَا غَلَبَ على حالِ العبدِ مِنَ الصِّفَةِ القَائِمَةِ | به. وقال قومٌ: الوقتُ ما بين الزمانَيْنِ، الماضي والمستقبل^(٤)، وهو الحالُ، فأجروه على أصله.
- وقالوا: الصُّوفِيُّ ابنُ وقته. أي مقطوعُ النظرِ عنِ الزمانَيْنِ، مشغولٌ بالأهمِّ مِنَ الأمرَيْنِ^(٥).
- ١٥ وقد قيل: الإشتغالُ بفواتِ وقتٍ ماضٍ تَضْيِيعُ^(٦) وقتٍ ثانٍ^(٧). وقد يُطلقون الوقتَ على ما لا مدخلَ للاختيارِ فيه من تصرفاتِ الحقِّ في الخلقِ، كقولهم: فلانٌ بِحُكْمِ الوقتِ، أي هو مُستسلِمٌ مُنقادٌ لِمَا يَجري عليه مِنَ الأحكامِ^(٨).

(١) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س، والرسالة القشيرية، ١٨٨.

(*-٢*) الرسالة: بالحزن فوقتك الحزن.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية، ١٨٨.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ١٨٨.

(٥) انظر: الرسالة القشيرية، ١٨٨.

(٦) في الأصل: يضيّع. والمثبت من: س، الرسالة.

(٧) انظر: الرسالة القشيرية، ١٩٠.

(٨) انظر: الرسالة القشيرية، ١٩٠.

ومنه قولهم: الوقتُ سيفٌ^(١). أي التصرفُ الواقعُ عن المقدورِ قاطعٌ للأعذار، فإنه كحدِّ السيفِ القاطعِ لِمَا اتَّصلَ به. فالحاذقُ الفطنُ مَنْ هو لِحُكْمِ وقتهِ مُتَقِنٌ، إنْ كانَ صَحْوًا فبالشريعةِ، وإنْ كانَ مَحْوًا فبالحقيقةِ.

٣

القول في المقام

المَقَامُ بالفتح: موضعُ الإقامةِ، لُغَةً. قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصفات: ١٦٤]، وبالضَّمِّ: الإقامةُ. قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦]، كالمدخلِ والمخرجِ | بمعنى الإدخال والإخراج^(٢).

٧٣

وفي الإصطلاح: ما نالَه العبدُ بأدبٍ مُوصِّلٍ وطلبٍ مُحصِّلٍ، وتَحَقَّقَ به مِنْ خُلُقٍ للنقصِ مُكْمَلٍ، فلا يَقَعُ^(٣) الإرتقاءُ مِنْ مقامٍ إلى آخَرَ حَتَّى يُحْكِمَ أَحْكَامَ ما قَبْلَهُ، فلا توبَةَ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ إِنْابَةٌ، ولا وَرَعَ مَنْ لا زُهْدَ لَهُ، ولا قِنَاعَةَ مَنْ لا تَوَكَّلَ لَهُ، ولا تَوَكَّلَ مَنْ لا تَسْلِيمَ لَهُ، وكذلك ما شَابَهَهُ.

١٢

القول في الحال

الأحوالُ موارِيثُ الأعمالِ، ولا إرثَ يَصِحُّ إِلَّا بعدَ تصحيحِ العملِ، فَمَنْ لا عَمَلَ لَهُ صحيحًا، لا إرثَ لَهُ صريحًا. قال اللهُ تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٢]، فَجَنَّةُ العبدِ فِي الدنْيا حالُهُ^(٤) الحسنةُ معَ اللهِ فِي ذاتِهِ حالُهُ حَيَاتِهِ، وَسُمِّيَ حالًا لِسرْعَةِ ارتحالِهِ وَذهابِهِ.

(١) انظر: الرسالة القشيرية، ١٩٠.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية، ١٩١.

(٣) لا توجد في الأصل، والمثبت من: عد، س.

(٤) ع، س: حال.

- فالمقامات مَكاسبُ العَمَّالِ، والأحوالُ مَوَاهِبُ الأفضالِ، فالمقامُ بالقيامِ على
 قَدَمِ الإجتِهَادِ حاصلٌ، والحالُ بالإِنعامِ بالإمدادِ واصلٌ، فحُكْمُ المقامِ الثباتُ
 والتمكُّنُ، وحُكْمُ الحالِ الترقِّي والتلوُّنُ، قد عَلِمَ كلُّ أناسٍ مَشْرِيبَهُمْ | ، وفهيمَ
 كلُّ فريقٍ مَطْلَبَهُمْ. ٣
- حُكْمِي عن الجُنَيْدِ أَنَّهُ قَالَ: الحالُ: نازلةٌ تَنزِلُ بالقلوبِ فلا تُدْفَعُ^(١). وقال قومٌ
 بالبقاء والدوام للأحوال. ٦
- فإذا لم تَدُمْ * ولم تتوال^(٢) فهي بَوادِهُ ولوائِحُ، وإن دامت فهي أحوالٌ عندهم^(٣).
 قال الشيخ أبو عثمان الحيريُّ: منذ أربعين سنةً ما أقامني اللهُ في حالٍ فكِرِهتُهُ.
 * فهو إشارةٌ^(٤) إلى دوام الرضى، * وإِنَّهُ يُعَدُّ مِنْ^(٥) الأحوالِ^(٦). ٩
- * والحقُّ التفضيلُ، فَمَنْ قال ببقائِها يُشيرُ إلى استصحابِ الواقعِ من شربِها^(٧)،
 حتى يتحكَّم في ربيِّها، ثم نفحاتُ طوارقِ^(٨) لا تدومُ، فإن دامت كدوامِ الأحوالِ
 ارتقى إلى أحوالٍ أُخرى، فلا يزالُ مُترقِّياً، واللهُ أعلمُ^(٩). ١٢

(١) في اللمع وآداب المريدين: تدوم. وفي بعض نسخه كالمثبت.

(*-٢) لا يوجد في الأصل، ع، والمثبت من: س، الرسالة.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية، ١٩٤.

(*-٤) الرسالة: أشار.

(*-٥) الرسالة: والرضا من جملة.

(٦) انظر: الرسالة القشيرية، ١٩٤.

(٧) من حظَّها ومقامها. انظر: الرسالة القشيرية، هامش ٢، ١٩٤.

(٨) أحوال. انظر الرسالة القشيرية، هامش ٣، ١٩٤.

(*-٩) الرسالة: «فالواجب في هذا أن يقال: إنَّ مَنْ أشار إلى بقاء الأحوال فصحيح ما قال، فقد يصير
 المعنى شرباً لأحد فيرَبى فيه. ولكن لصاحب هذه الحال أحوال: هي طوارق لا تدوم فوق
 أحواله التي صارت شرباً له، فإذا دامت هذه الطوارق له كما دامت الأحوال المتقدمة ارتقى
 إلى أحوالٍ أُخرى فوق هذه وألطف من هذه، فأبداً يكون في الترقِّي».

القول في الخاطر

(*الخواطرُ أربعةٌ: مِنَ اللَّهِ، وَمِنَ الْمَلِكِ، وَمِنَ النَّفْسِ، وَمِنَ الشَّيْطَانِ*^(١)).

٣ (*فالخاطرُ مِنَ اللَّهِ تَنْبِيهُ وَإِنْعَامٌ، وَمِنَ الْمَلِكِ تَحْرِيسٌ عَلَى خَيْرٍ وَإِلْهَامٌ، وَمِنَ النَّفْسِ

هَاجِسٌ بِشَهْوَةٍ وَإِيْهَامٌ، وَمِنَ الشَّيْطَانِ وَسْوَاسٌ شَرٌّ وَالْمَأْمُومُ*^(٢)). فَيَسْتَمِعُ بِنُورِ

٥ | التَّوْحِيدِ مِنَ اللَّهِ، وَبِنُورِ الْمَعْرِفَةِ مِنَ الْمَلِكِ، وَيَزِدَادُ^(٣) بِنُورِ الْإِيمَانِ عَلَى النَّفْسِ،

٧٤ و

٦ وَبِنُورِ الْإِسْلَامِ عَلَى عَدُوِّهِ الشَّيْطَانِ، وَإِذَا اجْتَمَعَ خَاطِرَانِ أَوَّلٌ وَثَانِي^(٤) مِنَ الْحَقِّ،

فَأَيُّهُمَا تَقَدَّمَ؟

قال قومٌ: هو^(٥) الأوَّلُ؛ لِأَنَّهُ سَابِقٌ، وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّهُ الثَّانِي؛ لِأَنَّهُ لَاحِقٌ. وَقَالَ

٩ قومٌ^(٦): هُمَا سَوَاءٌ؛ لِئِنَّهُمَا إِلَى الْحَقِّ^(٧).

القول في الوارد

(*هُوَ اسْمٌ لِمَا وَرَدَ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ خَاطِرٍ مَحْمُودٍ، أَوْ عِلْمٍ مَقْصُودٍ، بِغَيْرِ

١٢ كَسْبٍ أَوْ تَسَبُّبٍ. وَهُوَ أَعْمٌ مِنَ الْخَوَاطِرِ، (*فَإِنَّ الْخَوَاطِرَ*^(٨) تَتَعَلَّقُ بِنَوْعِ الْكَلَامِ

(*١-*) الرسالة: «والخواطر خطاب يراد على الضمائر، وهو قد يكون بإلقاء ملك، وقد يكون بإلقاء

شيطان، ويكون أحاديث النفس، ويكون من قبل الحق سبحانه».

(*٢-*) الرسالة: «فإن كان من الملك فهو الإلهام، وإذا كان من قبل النفس قيل له: الهواجس، وإذا

كان من قبل الشيطان فهو: الوسواس، وإذا كان من قبل الله سبحانه وإلقائه في القلب فهو

خاطر حق».

(٣) ع، س: ويزد.

(٤) كذا في الأصل بإثبات الباء، والوقوف على الاسم المنقوص النكرة المنون في حالتها الجر والنصب

أجازته يونس بن حبيب البصري. انظر: الكتاب، لسيبويه، ٤: ١٨٣ - ١٨٤.

(٥) لا توجد في: ع، س.

(٦) س: آخرون.

(٧) انظر: الرسالة القشيرية، ٢٤٣.

(*٨-*) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

أو ما تَضَمَّنَتْهٗ^{(١)*}. (*والواردُ قد يكون سُروراً أو حُزناً، وَقَبْضاً أو بَسْطاً، وما أَشْبَهَهُ^{(٢)*}.)

القول في الشاهد

٣

وَرَدَ الشَّاهِدُ فِي لِسَانِهِمْ عَلَى مَا يَغْلِبُ عَلَى اللِّسَانِ ذِكْرُهُ، وَيَسْتَوْلِي عَلَى الْقَلْبِ فَكْرُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ شَاهِدٌ^(٣) وَإِنْ غَابَ عَنْهُ، يَقُولُونَ: فَلَا يَشَاهِدُ الْعِلْمَ، أَوْ يَشَاهِدُ الْوَجْدَ، أَوْ يَشَاهِدُ الْحَالَ^(٤). فَمَعْنَاهُ: الْخَاطِرُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصِّمَهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أَي حَضَرَهُ.

٦

القول في النَّفْسِ

فَرَّقَ قَوْمٌ بَيْنَ | الرُّوحِ وَالنَّفْسِ. وَأَخْرَوْنَ قَالُوا: هُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ. وَالصُّوفِيَّةُ^{٧٤}ظ أَطْلَقُوا النَّفْسَ عَلَى الْمَعْلُولِ الْمَذْمُومِ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْمَقَاصِدِ. ثُمَّ مِنْهُ مَا هُوَ فِعْلٌ مَعْصِيَةٌ، كَالزُّنَا وَالسَّرْقَةُ، وَمِنْهُ مَا هُوَ خُلُقٌ ذَنْبِيٌّ فِي النَّفْسِ، كَالْحَسَدِ وَالْحِقْدِ وَالغَضَبِ.. وَغَيْرَ ذَلِكَ^(٥).

وَأَنْفَعُ شَيْءٌ فِي (*علاج النفس*)^(٦) احْتِقَارُهَا وَإِهَانَتُهَا وَحَمْلُهَا عَلَى مَا تَكْرَهُ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُجَاهَدَاتِ فِي حَقِّهَا، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَمَنْ قَالَ لَهُ:

١٢

(*-١) الرسالة: «ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة، مما لا يكون بتعمد العبد، وكذلك ما لا يكون من قبيل الخواطر، فهو أيضاً وارد».

(*-٢) الرسالة: «والواردات تكون: وارد سرور، ووارد حزن، ووارد قبض، ووارد بسط... إلى غير ذلك من المعاني».

(٣) ع: يشاهده.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ٢٤٦.

(٥) انظر: الرسالة القشيرية، ٢٤٨.

(*-٦) ع: علاجها.

الطرف الثاني: في بيان المسالك للسالك

أَوْصِنِي، وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ فَأَنْسَاهُ^(١)، قَالَ لَهُ: «لَا تَغْضَبْ»، وَذَلِكَ أَنْفَعُ لَهَا مِنْ
الْمُجَاهِدَةِ بِالسَّفْرِ^(٢) وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ^(٣).

٣ وَقَالَ طَائِفَةٌ: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ لَطِيفَةً أُوْدِعَتْ فِي الْقَالِبِ، جُعِلَتْ
مَحَلًّا لِمَعْلُولِ الْأَخْلَاقِ كَمَا كَانَتْ الرُّوحُ لِمَحْمُودِ الْأَخْلَاقِ. فَاَلْمَحْمُودُ مَحَلُّ الْقَلْبِ
وَالرُّوحُ، وَالْمَذْمُومُ مَحَلُّ النَّفْسِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٤).

٦ القول في الروح

أَكْثَرُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ قَالُوا بِحَدَثِ الْأَرْوَاحِ، وَأَنَّ الرُّوحَ جِسْمٌ لَطِيفٌ
مُؤَدَّعٌ فِي الْجَسَدِ، يَبْقَى بِهِ حَيًّا فِي الْعَادَةِ، مَهْمَا صَاحَبَهُ.

٩ فَاَلْإِنْسَانُ هُوَ^(٥) الرُّوحُ | وَالْجَسَدُ. * وَالْحَشْرُ وَقَعَّ عَلَى الْجُمْلَةِ*^(٦)، ثُمَّ لِلرُّوحِ
عِنْدَ النَّوْمِ لِلْبَدَنِ فِرَاقٌ فِيهِ إِدْرَاكٌ، ثُمَّ رَجُوعٌ عِنْدَ الْيَقَظَةِ.

وَقِيلَ: الرُّوحُ الْحَيَاةُ فَقَط. وَالْقَائِلُ بِقَدَمِ الرُّوحِ مَخْطِئٌ ضَالٌّ^(٧)، فَلَا يَخْرُجُ عَلَى
قَوْلِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٨).

١٢

(١) ع، س: فَأَنْسَى.

(٢) فِي الْأَصْلِ: بِالنَّفْرَةِ، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ: ع، س.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية، ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ٢٤٩.

(٥) لَا تَوْجِدُ فِي الْأَصْلِ، س، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ: ع، وَالرَّسَالَةُ.

(٦)*- (٦) الرِّسَالَةُ: وَالْحَشْرُ يَكُونُ لِلْجُمْلَةِ.

(٧) الرِّسَالَةُ: خَطَأً عَظِيمًا.

(٨) انظر: الرسالة القشيرية، ٢٥٠.

القول في السرّ

- ٣ أصلُ السرِّ ما استترَ، أي خَفِيَ، ومنه قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ [الرعد: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، أي ما حدّث به العبدُ سرّاً لغيره، وما أضمره في نفسه.
- ٦ وفي الإصطلاح: (*هو لطيفةٌ خفيةٌ^(١) مُودعةٌ في ذاتِ العبدِ، كالرُّوح^(٢)، والسرُّ^(٣) محلُّ المشاهدة، كما أنّ (*الروح محلُّ المحبّة^(٤)، (*والقلب محلُّ المعارف^(٥)، والرُّوحُ أشرفُ مِنَ القلبِ، والسرُّ أطفُ مِنَ الروح^(٦).)
- ٩ (*وقد يُطلقُ^(٧) السرُّ على ما هو (*مكتومٌ مَصُونٌ^(٨) بين العبدِ والربِّ^(٩)، ومنه قولهم: لو عَرَفَ زَرِّي سِرِّي لَطَرَحْتُهُ^(١٠). وقولهم: الولدُ سرُّ أبيه. أي يُخفيه حالةً إيداعه^(١١) في مُستقرِّه. ومنه سُمِّي النكاحُ سرّاً؛ لأنّه يَخْفَى عندِ فعلِهِ.

القول في النَّفسِ - بفتح الفاء

- ١٢ النَّفسُ لغةٌ: جذبُ الحَيَاثِيمِ لِلهَوَاءِ | وإخراجُه منها. وفي المصطلح: عبارةٌ عن فهمِ راحَةٍ تُزِيلُ تعبَ القلبِ بِشمِّ روائِحِ نفحاتٍ تَرِدُ مِنَ الغيوبِ.

(١) س: خفيفة.

(*٢-٢) الرسالة: يحتمل أنها لطيفة مودعة في القلب كالأرواح.

(٣) الرسالة: وأصولهم تقتضي أنها.

(*٤-٤) الرسالة: الأرواح محلّ للمحبّة.

(*٥-٥) الرسالة: والقلوب محلّ للمعارف.

(٦) انظر: الرسالة القشيرية، ٢٥١.

(*٧-٧) الرسالة: ويطلق.

(*٨-٨) الرسالة: مصوناً مكتوماً.

(٩) الرسالة: والحقّ سبحانه.

(١٠) انظر: الرسالة القشيرية، ٢٥١.

(١١) في الأصل: أودعه.

(*) فالوقتُ لِلابتداءِ، والنفسُ لِلانتهاءِ، والحالُ متوسِّطٌ بينهما^(١). (*) فلا أصحابِ القلوبِ الأوقاتُ، ولأصحابِ الأحوالِ الأرواحُ، ولأهلِ الأنفاسِ السرائرُ^(٢). (*) ومن ههنا قال أربابُ التحقيق^(٣): أفضلُ العباداتِ عَدُّ الأنفاسِ مع الله تعالى. ٣ (*) فالمحبُّ لا بدَّ له من نفسٍ لطيفةٍ وحضرةٍ. والعارفُ ليس كذلك؛ لِسَعَتِهِ وتمكُّنِهِ وتركِ مُسامحتِهِ^(٤).

٦

القول في الغلبة

قد تَطَفَّحَ المَواجِدُ على القلوبِ، فيحدُّثُ عنها غَلَبَةً لا يُستطاعُ رَدُّها، فالغلبةُ حالةٌ تَظَهَّرُ على العبدِ (*يصطلمُ على^٥) التمييزِ إلى النظرِ في السببِ والأدبِ، فربَّما بدا منه ما يُوجِبُ الإنكارَ عليه، وهي تحدُّثُ عن خوفٍ أو هَيْبَةٍ أو جَلالٍ أو جِبالٍ أو حَياءٍ، وغيرِ ذلك. فإذا سَكَنَ هَيْجَانُ الغَلِيانِ، عادَ إلى ما عليه قد كان، ولا شعورَ له بما عنه قد بانَ، فهذا مَعذُورٌ في حاله، مَحْصُورٌ في تَقْيِيدِ مَنالِهِ.

١٢

فهذا شيءٌ من بيانِ المصطلحِ يفتقرُ إليه | من له هِمَّةٌ تحتاجُ إلى فهمٍ ما لهم من المعنى المُقترَحِ، ولهم أيضًا وراءَ هذا ألفاظٌ أُخِرُتْفتقرُ إلى شرحٍ وبيانٍ، كالتقبُّضِ والبَسْطِ، والجمْعِ والفرْقِ، والفناءِ والبقاءِ، والهَيْبَةِ والأُنْسِ، والصَّحوِ والشُّكْرِ، والغَيْبَةِ والحُضُورِ، والمَحْوِ والإثباتِ، والسَّتْرِ والتجَلِّيِ... وغيرِ ذلك من المصطلحِ الذي دُوِّنَ في الدفاترِ، ومُكِّنَ في السرائرِ، فَمَن أرادَ يطلُبُهُ من مصنِّفاتِ هذا الشَّانِ.

٧٦ و

١٨

(*)-١) الرسالة: فكان صاحب الوقت مبتدئاً، وصاحب الأنفاس منتهياً، وصاحب الأحوال بينهما، فالأحوال وسائط، والأنفاس نهاية الترقى.

(*)-٢) الرسالة: فالأوقات لأصحاب القلوب، والأحوال لأرباب الأرواح، و الأنفاس لأهل السرائر.

(*)-٣) الرسالة: وقالوا.

(*)-٤) الرسالة: العارف لا يسلم له النفس؛ لأنه لا مسامحة تجري معه، والمحب لا بد له من نفس؛ إذ لولا أن يكون له نفس لتلاشى؛ لعدم طاقته.

(*)-٥) ع، س: تصطلحه عن.

وطلبُ الإختصارِ أوجبَ لنا الإقتصارَ عن إطلاقِ عنانِ البيانِ، إنما ذكّرنا
أُمُودَجًا منه، ليقفَ عليه مَنْ هو مغرورٌ جهلُهُ باللسانِ. وبهذا تمَّ الكلامُ في
الفصلِ الثاني. ٣

الفصل الثالث

في علمِ الأحوالِ والمقاماتِ، وما نجني بشمرته
الرياضاتِ من السعاداتِ ٦

رياضةُ البدنِ والنفسِ أعظمُ أصلٍ في الطريقِ لإزالةِ اللَّبَسِ. فأولُ ذلك
مُفارقةُ العوائدِ الذميمةِ، ومرافقةُ المقاصدِ الحميدةِ.

ومبدأ ذلك: الإنابةُ، ثمَّ التوبةُ، ثمَّ مجاهدةُ النفسِ، ثمَّ العزلةُ والخلوَّةُ، ثمَّ
الذِّكْرُ لله باللفظِ والقلبِ، وعند | الأمرِ والنهيِ. ٩

٧٦ظ

ولا بدَّ له من معرفةِ أربعةِ أمورٍ: معرفةِ الربِّ، والنفسِ، والموتِ، وما بعدَ
الموتِ من الوعدِ والوعيدِ. ١٢

فالعارفُ باللهِ يقومُ بحقِّه، والعارفُ بنفسِه يقومُ على تأديبِها بمُخالفَتِها،
والعارفُ بالموتِ يُكثرُ الاستعدادَ لِقُدومِه. والعارفُ بالوعدِ يُبادرُ لِلإمتثالِ،
والعارفُ بالوعدِ يحذِرُ المُخالفةَ لِيَأْمَنَ^(١) عن الخزيِ والنكالِ، وقاعدةُ ذلك

المراعاةُ لحقِّ اللهِ. ١٥

والمراعاةُ تقعُ في ثلاثةِ وُجُوهِ: الوفاءِ والأدبِ والمُرُوعةِ. فأما الوفاءُ: فإقبالُ
القلبِ على الربِّ بعبارةِ الفِكرِ بالقُربِ والحُبِّ. ١٨

وأما الأدبُ: فمُلاحظةُ الخطراتِ، ومحافظةُ الأوقاتِ، ومُجانبةُ الفتراتِ،
ومعالجةُ الحسراتِ ومُعالجةُ الثمراتِ.

(١) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

وأما المروءة: فارتكابُ المكارم، واجتنابُ المحارم، واعتبارُ الذكرِ المُلازم، واقتيادُ الفكرِ لإفادة المكارم^(١).

- ٣ وللسلوكِ مبدأً ومُنتهى:
- فعلَى المبتدئِ أَنْ يَلْزِمَ عَشْرَ خِصَالٍ: خَمْسٌ يَتْرُكُهَا وَخَمْسٌ يَفْعَلُهَا. أُولَئِهَا: تَرْكُ الحَلْفِ بِاللَّهِ بَرًّا وَحَانِثًا. وَثَانِيهَا: تَرْكُ الكَذْبِ جَادًّا وَهَازِلًا. | وَثَالِثُهَا: تَرْكُ اللَعْنِ لِأَحَدٍ مِنَ الخَلْقِ. وَرَابِعُهَا: تَرْكُ الدَّعَاءِ وَإِنْ ظَلِمَ. وَخَامِسُهَا: تَرْكُ السُّؤَالِ لِلخَلْقِ. وَسَادِسُهَا: غَضُّ البَصْرِ عَنِ النِّظَرِ. وَ[سَابِعُهَا]^(٢): حِفْظُ القَلْبِ عَنِ الفِكْرِ، وَ[ثَامِنُهَا]^(٣): الإِيَّاسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ. وَ[تَاسِعُهَا]^(٤): اعْتِقَادُ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ خَيْرٌ مِنْهُ. وَ[عَاشِرُهَا]^(٥): التَّوَقُّفُ عَنِ الحُكْمِ بِالكُفْرِ وَالنِّفَاقِ وَالشُّرْكِ عَلى أَحَدٍ مِنَ الخَلْقِ. فَإِذَا رَاضَ نَفْسَهُ عَلى هَذِهِ الأَخْلَاقِ تَرَقَّى عَنهَا إِلَى مَا يَرِيدُ عَلَيْهِ مِنَ مَوَاهِبِ الأَخْلَاقِ.
- ٦ وَلِلْمُنْتَهَى طُرُقٌ إِلَيْهِ مُوَصَّلَةٌ، وَوَجُوهٌ لِلْمَقْصُودِ مِنْهُ مُحْصَلَةٌ، وَمَقَاصِدُ القَوْلِ فِي ذَلِكَ مُخْتَلِفَةٌ عَلى قَدْرِ مَا يَقُومُ بِهِ عِنْدَ النُّطْقِ مِنَ الصِّفَةِ.
- ٩ رُويَ عَنِ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قالَ: التَّصَوُّفُ لَهُ ظاهِرٌ وَباطِنٌ [وَسِرٌّ]^(٦). فَظاهِرُهُ: قَطْعُ العَلائِقِ. وَباطِنُهُ: هَجْرُ الخَلائِقِ. وَسِرُّهُ: تَجَرُّدٌ مُتَعَلِّقٌ بِالخَالِقِ، فَعَلامَةُ قَطْعِ العَلائِقِ: أَنَّ يَجْذِبَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى اللَّهِ، وَلا يَجْذِبُهُ شَيْءٌ عَنِ اللَّهِ.

(١) ع، س: المراحم.

(٢) زيادة اقتضاها السياق.

(٣) زيادة اقتضاها السياق.

(٤) زيادة اقتضاها السياق.

(٥) زيادة اقتضاها السياق.

(٦) زيادة اقتضاها السياق.

وعلامته هَجْر الخلائق: تجريدُ الجسدِ عن أن يكون عليه (*أثرُ مخلوقٍ*)^(١) بالسكون إليه والاشتغال به.

- ٣ ورؤي أنه سُئل الجنيّد عن التصوّف، فقال: اسمُ جامعٍ^(٢) لعشرةٍ معانٍ: الأوّل: التقليل^(٣) من كلِّ شيءٍ مِنَ الدنيا عنِ (*التكثُرِ منها*)^(٤). الثاني: | اعتيادُ القلبِ على اللهِ مِنَ السُّكونِ إلى الأسبابِ. الثالثُ: الرغبةُ في الطاعةِ^(٥) مِنَ التطوُّعِ والفضائلِ عند وجودِ العافيةِ^(٦). الرابع: الصبرُ عند فَقْدِ الدنيا عَنِ الخروجِ إلى المسألةِ والشكوى. الخامسُ: التمييزُ في الأخذِ عند وجودِ الشيءِ. السادسُ: الشُّغْلُ باللهِ عن سائرِ الأشغالِ. السابعُ: الذِّكْرُ الخفيُّ (*من سائرِ*)^(٧) الأذكارِ. الثامنُ: تحقيقُ الإخلاصِ مِنَ^(٨) دخولِ الوسوسةِ. التاسعُ: اليقينُ مِنَ دخولِ الشكِّ. العاشرُ: السُّكُونُ إلى اللهِ تعالى مِنَ الإضطرابِ والوَحْشَةِ^(٩).
- ١٢ وقال أبو الحسين محمد بن أحمد الفارسي: أركانُ التصوّفِ عشرةٌ: أوّلُها: تجريدُ التوحيدِ، ثمّ فهمُ السماعِ، ثمّ حُسنُ العِشرةِ، وإيثارُ الإيثارِ، وتركُ الاختيارِ، وسُرعةُ الوَجْدِ، والكشفُ عن الخواطرِ، وكثرةُ الأسفارِ، وتركُ الإكتسابِ، وتحريمُ الإدخارِ^(١٠).
- ١٥ قلتُ: فتجريدُ التوحيدِ: هو قطعُ النظرِ عن التشكيكِ والترديدِ فيما يجبُ ويجوزُ ويستحيلُ مِنَ التعطيلِ والتشبيهِ، بما أُعطيَ مِنَ نورِ التأييدِ | والتسديدِ.

٧٨و

(*-١) س: أثرُ المخلوقِ.

(٢) زيادة من الحلية.

(٣) في الأصل: القليل، والمثبت من الحلية.

(*-٤) الحلية: التكاثر فيها

(٥) الحلية: الطاعات.

(٦) الحلية: العوافي.

(*-٧) الحلية: عن جميع.

(٨) الحلية: في.

(٩) انظر: حلية الأولياء، ١: ٢١.

(١٠) انظر: التعرّف لمذهب أهل التصوّف، ٨٩.

وفهم السماع: أن يستمع بالحال، ولا يتوقف على القيل والقال، وأن يُفَرِّقَ بين سماع النفس والروح والقلب، فيعمل في كلِّ شيء بحسبه. وحسن العشرة: مع نفسه بتأديبها، ومع الخلق بتعظيمهم، ومع الله بلزوم الأدب بين يديه.

وإيثارُ الإيثار: أن يُؤثِّرَ غَيْرَهُ على نفسه بما فيه إيثارٌ، لِيَحْصُلَ ثَوَابُ الإيثار لغيره.

وترك الاختيار: أن يسترسل في مُرَادَاتِ اللَّهِ مِنْ غيرِ اعتراض^(١) على شيءٍ منها. وسرعة الوجد: أن يتوسَّطَ الأمرُ عنده بين الامتلاء والفراغ ممَّا يُثِيرُ الوجدَ ويمنعه^(٢)، فلا يمتلئ سرُّه بحيث لا يَنْتَفِعُ بزاجرٍ، ولا يَفْرُغُ بحيث لا يتأثَّرُ لفاهرٍ. وكشف الخواطر: هو أن يجتهد في البحث عن^(٣) خاطره، فيتبع ما نشأ عن الحقِّ، ويجتنب ما سواه.

وكثرة الأسفار: ليشهدَ فيها وجودَ الاعتبارِ في الآثارِ، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، أي سيروا فيها | بنور اليقظة والمعرفة لا بظلمة

ظ٧٨

الغفلة والفكرة لقطع وصول الأسباب، ووصل قطع الأرباب. وترك الإكتساب: لحمل النفس على التوكل، وترك الإضطراب.

وتحريم الإدخار؛ لأنَّه من أظهر الشعار على وجود الافتخار بالافتقار. وهذا على حكم الحال والاختيار، لا على حكم العلم والاختبار، كما أخبر النبي ﷺ عن الذي مات من أهل الصفة وترك ديناراً أو دينارين، فقال: «كَيْتَا أَوْ كَيْتَانِ مِنْ نَارٍ»^(٤).

(١) س: إعراض.

(٢) س: أو يمنعه.

(٣) ع، س: على.

(٤) انظر: مصنف ابن أبي شيبة، ١٢٠٢٢، و١٢١٤٧؛ والمعجم الكبير، ٨٠٠٨.

- ٣ فهو مخصوص لمن^(١) تظاهر بصفة القوم، وتعاطى ما كانوا عليه من ترك الإقتناء والإدخار لشيء من المعلوم^(٢)، فإن خالف فقد أتى بمعصية يستحق عليها العقوبة، وينزل هذا منزلة التفاق في تحريمه، وهو إظهار خلاف^(٣) ما يُبطن.
- ٦ فأما من تظاهر بالأسباب وتعاطاها، ولم يتظاهر بالزهادة، فلا يحرم عليه الإدخار لمصلحة يتوقعها في غيره، وكما كان النبي ﷺ يدخر لعائلته | قوت سننتهم، وكان في خاصة نفسه لا يدخر شيئاً لغد؛ لتمكن مقامه في توكله، وعامل عياله المعاملة الشرعية المسقطه لتحمل المنة منهم في إهمال أمرهم.
- ٩ قلت: وقد وقع لي في وقت فكرة عرّضت: أن التصوف ينبني على أربعة أركان: تعلق، وتوثق، وتخلق، وتحقق.
- ١٢ فالتعلق: يكون بصحبة هذه الطائفة والإقتداء بهم وبشيخ معين يسلك الطريق^(٤) على يده حتى يتصل به إلى مقصده.
- ١٥ والتوثق: بإقامة فرض الأمر والنهي على الظاهر والباطن. والتخلق: رياضة النفس، تحملها على المشاق حتى تُدعن وتُجيب، وذلك بنفي الصفات الذميمة عنها، وإثبات الصفات الحميدة لها، وقد تقدم بيان ذلك.
- ١٨ والتحقق: هو الإتيان بصفات الكمال من التجلي بمقامات الموقنين، من التوكل واليقين والزهد والورع والمعرفة والمحبة والشوق والفناء والبقاء والوحدة والتوحيد... وغير ذلك، | فهذا يجمع منه ما قد تفرق، وينفع من كان الله بقبوله قد وفق.

(١) ع، س: بمن.

(٢) ع: العلوم.

(٣) في الأصل: أخلاق.

(٤) لا توجد في: ع، س.

فائدة وافدة بالإفادة عائدة

مقاصد العلوم متعددة، وموارد الفهم مختلفة متبددة، ولكل علم غاية، إذ
 كان المنظور فيه له بداية ونهاية، كالنظر في الأحكام الشرعية، فإن مدارها على
 ٣ الأحكام الظاهرة في المتكلمين^(١).

فأما علم التصوف فإنه يلتفت على أصلين لا نهاية لهما: النظر في التوحيد،
 ٦ والإعتبار في الموجودات.

ومن ذلك النفس والحكم عليها وعلى جسدها ظاهراً وباطناً، وعلى ما
 يقوم به وبها، والعلم بالتمييز بين صفاتها وما هي في ذاتها. فمن أجل ذلك
 ٩ عظم قدره، وعلم فخره، وهو مستمد من نور البصيرة التي هي مبدأ السعادة
 عند أهل الإرادة التي أخبر الله عنها بقوله الحق: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا
 فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠]، فمن قذف الله في قلبه شيئاً من نور العناية
 ١٢ نشر له علم الهداية | وجعله حجة على أهل الغواية، ودليلاً مرشداً لضالاً في سبيل
 العماية.

وعلوم هذه الطائفة مواجيد ترد عليهم عن^(٢) سوابق أعمال حصلت لديهم،
 ١٥ وأحوال ورثوها^(٣) عن^(٤) أعمال صححوها، فلا يرث الأحوال إلا من صحح
 الأعمال^(٥)، وأول ذلك: معرفة علوم الشريعة المتعين علمها^(٦) من أصلي الدين
 والفقه وفروعه المشتملة على علم العبادات من الطهارة والصلاة والصوم،

(١) ع، س: المتكلمين.

(٢) التأيد: من.

(٣) لا توجد في: س.

(٤) التأيد: من.

(٥) التأيد: الأحوال.

(٦) التأيد: عليها.

والعادات من البيع والنكاح، والجنايات من الحدود والقصاص، وغير ذلك مما لا غنى له عنه.

٣ وأحكام علم التوحيد والمعرفة على طريق الكتاب والسنة والسلف الصالح دون التعمق في البحث عن دقيق الشبه وغوامضها، فإن وفق في مبتدأ الأمر إلى ذلك لرد شبهة تعترض له، فلا بأس، فإذا حصل من علم الشريعة على ما فيه ٦ له كفاية من العلم بأحكام الظاهر، وهو علم الكسب، استعمل ما علم، وجد في الخدمة ما استطاع.

٨٠ فأول ما يلزمه: البحث عن آفات النفس وعلاها، ومعرفة دخلها وخللها، ٩ وتهذيب شرس أخلاقها، وتهذيب جماحها برياضتها، والتوصل إلى سد طرق أبواب فتنة الدنيا ومكائد العدو الذي هو الشيطان عنها، والاجتهاد في الإحتراز منها، وهذا هو أجل علم الحكمة، الذي قال الله فيه: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ ١٢ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

فإذا تربت^(١) النفس على ما أقامها فيه من هذه الحالات، ورتب عليها من الوظائف، ولانت طباغها عن القساوة^(*) وأخلاقها عن الفظاظة والغباوة، ١٥ وتطهر ظاهرها^(٢)، وصفا باطنها؛ تمكن السالك حينئذ من مراقبة خواطرها^(٣)، وتصفية سرائرها^(٤)، وهو المعبر عنها بعلم المعرفة، ولسان العبارة يفسح عنه، ثم بعده علم الخواطر والمكاشفات والمشاهدات، وهو الموصوف بعلم الإشارة. وهذا ١٨ العلم من خصائص الصوفية بعد مشاركتها في العلوم المشهورة المذكورة، وإنما قيل له علم الإشارة؛ لأنه يقصر عنه^(٥) | لسان العبارة؛ لأنه علم ذوق ومنازلة ٨١

(١) التأيد: تمرنت.

(*)-*(٢) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٣) التأيد: خواطره.

(٤) التأيد: أسراره.

(٥) التأيد: عن.

ومَواجيدَ متواصلَةٍ، فلا ينحصرُ ذلك في عبارةٍ لقائلٍ، ^(*) وإنما يجري على اللسانِ ما هو نفعٌ وتعليمٌ لقابلٍ ^{(١)*}.

٣ فقد رُويَ مُرسلاً من حديثِ سعيدِ بنِ المسيَّبِ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لَا يَعْرِفُهُ (٢) إِلَّا (أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ ^{(٣)*}) بِاللَّهِ، فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَمْ يُنْكِرْهُ إِلَّا أَهْلُ الْغُرَّةِ بِاللَّهِ» ^(٤). ورُويَ مُسَنِّدًا مِنْ حَدِيثِ عَطَاءٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ» ^(٥).

٦ وَأَنْشُدُوا لِلشُّبْلِيِّ:

[البسيط]

٩ عِلْمُ التَّصَوُّفِ عِلْمٌ لَا نَفَادَ لَهُ عِلْمٌ سَنِيٌّ سَمَاوِيٌّ رُبُوبِيٌّ
فيه الفوائدُ للألبابِ ^(٦) تعرفُها أهلُ الجزالةِ والصُّنْعِ ^(٧) الخصوصيِّ
فلكلِّ مقامٍ ابتداءٌ وانتهاءٌ، وبينهما في الأحوالِ تفاوتٌ، ولكلِّ مقامٍ عِلْمٌ،
١٢ ولكلِّ حالٍ إشارةٌ.

ومن ذلكَ اختلفتِ العباراتُ وتفاوتتِ الإشاراتُ، ثمَّ إنَّا نقولُ ^(*) لمن صَرَفَ ^{(٨)*} هِمَّتَهُ إِلَى النَّظَرِ فِي هَذَا الْعِلْمِ إِنَّ لَهُ مُبْتَدَأً وَمُنْتَهَى، وهو يشتملُ على
١٥ مقاماتٍ مبنيةٍ | وأحوالٍ سرِّيَّة.

ظ ٨١

(١*-*) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٢) ع: يعلمه.

(٣*-*) في الأربعون: العلماء.

(٤) انظر: الأربعون في التصوف، ٣٢.

(٥) تأييد الحقيقة، ١٢٢-١٢٣.

(٦) س: للأبواب.

(٧) ع، س: الصقع.

(٨*-*) ع، س: ليعلم من صرف شيئاً من.

فأوله سَبَقُ العناية بإلقاء إلهام اليقظة مِنَ الغفلة في القلب، وذلك هو التوفيقُ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨].

٣ فيحدثُ عنه الإنابة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾

[الزمر: ٥٤]، فإذا قويتِ الإنابةُ وأسلمَ نفسَه - لمن قصدَ تسليمَ نفسه - لمن

يَسُوسُهَا وَيُرَبِّبُهَا وَيُصَلِّحُ فسادَهَا مِمَّنْ ظَهَرَ نُصْحُهُ وَاشْتَهَرَ عِلْمُهُ بهذا الشأنِ،

٦ فألقى بها بين يديه لِيُدَاوِيَ أَمْرَاضَهَا وَيُبْرِئَ أَسْقَامَهَا، وذلك هو الشيخ المشارُ

إليه على لسانِ هذه الطائفة. وليَدْخُلْ إليه بلا شيءٍ، لكي يُعَوِّدَ منه بكلِّ شيءٍ.

قال أبو يزيد رحمه الله: كُنْ بلا شيءٍ حتى يَكُونَ لك كلُّ شيءٍ.

٩ (*ومدارُ هذا*)^(١) العِلْم - في المبتدأ - على المراقبة بتمييز الأوقات والنظر فيها،

واعتمادِ الأهمِّ فالأهمِّ، من عمارةِ الوقتِ بالأولى فالأولى. كما حَكِيَ عن الجُنيدِ

- رحمه الله - أنه قال: لن يصلَ إلى قلبك رُوحُ التوحيد، وله عليك حقٌّ لم تُؤدِّه.

١٢ وكما سُئِلَ عَمَّنْ لم يَبْقَ عليه مِنَ الدنيا إِلَّا مقدارُ مَصِّ نَوَاةٍ، فقال: | المِكَاتِبُ

عَبْدُ ما بَقِيَ عليه دِرْهَمٌ^(٢).

ومدارُهُ في المنتهى على ثلاثِ مراتب: عِلْمُ العبودية، وعِلْمُ المعرفة، وعِلْمُ

١٥ الرُّبُوبية. فالعبودية: التَعَبُّدُ بالافتقارِ وأخذِ قَدْرِ الحاجةِ عندِ الإضطرار. والمعرفة:

قبضُ لسانِ الاعتذارِ، وبسطُ لسانِ الفضلِ والِإقتدار. والرُّبُوبية: نظرٌ في تصريفِ

الأقْدارِ بتعريفِ المقدارِ، وثمرٌ يُجَنَى مِنَ أشجارِ الإصطِبارِ على الوفاءِ بتركِ

١٨ عهدِ^(٣) الإختيار. وشرحُ ذلكِ يطولُ عندَ مَنْ له فَهْمٌ لِفَهْمِ الأَصُولِ^(٤) ووصولِ.

فإذا عِلِمَ ذلكَ، فنقول: إِعْلَمَ أَنَّ التَّصَوُّفَ ثلاثةٌ^(٥) مقاماتٍ: آدابٌ، وأخلاقٌ، وأحوالٌ.

(١*-) س: ومدارها.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٦٢.

(٣) لا توجد في: ع.

(٤) على الهامش الأيسر إشارة إلى أنه في نسخة أخرى: الوصول.

(٥) في الأصل، س: ثلاث.

فالأدبُ: واقعةٌ عن الإكتسابِ، والأخلاقُ: عن الإقتداءِ والانتسابِ، والأحوالُ: عن المواهبِ والإقترابِ.

٣ فأعظمُ الأدبِ إقامةُ النفسِ في موقفِ الذلِّ والتعبِ، وإدامةُ أطراحِ المرادِ لها في الأمنِ والعطبِ والإعتدالِ (*في الرضا*)^(١) والغضبِ.

وأتمُّ الأخلاقِ لها سلامةُ الفكرِ عن الطلبِ للغلبِ، وملازمةُ^(٢) السرِّ عند

٦ الطربِ | بشيءٍ مِنَ الأربِ. وأسلمُ الأحوالِ لها ما أحالها عن ذنبي الرتبِ، وسنِّي لها سنِّي القربِ. وهذا المقدارُ^(٣) إنما يفهمه من له إشرافٌ على الرتبِ. وسيأتي الكلام إن شاء الله بعد ذلك مُفصَّلاً^(٤).

٩ وقد تكلم أهلُ الطريقِ في هذا الشأنِ، وصنّفوا مصنّفاتٍ واضحةً البيانِ، واختلّفتْ مقاصدُهم في التصنيفِ بحسبِ ما وقع لهم من الإلهامِ والتعريفِ على قدر ما وقف فيه أحدهم من المقامِ، وصُرف إليه من انتظامِ المرامِ.

١٢ وهذا على ما يمنح الله الأفهامَ (*من فضل الإفهامِ*)^(٥)، ولكلِّ وجهةٍ هو مؤلِّها، وشرعةٌ يصطفيها ويقتفيها، ولم يتفقوا^(٦) على مقصدٍ واحدٍ فيما بين ذلك القوابلِ، افرقوا فيما فيه صنّفوا. فمنهم من اختصرَ فيما ذكّر، ومنهم من طولَ فيما أملَى فأملَى، ومنهم من أجملَ، ومنهم من فصّلَ، ومنهم من جمَعَ الحكاياتِ ولم يُلخّصْ ما فيها من الثُّكْتِ والإشاراتِ، ولم يُميّزْ بين المقاماتِ، ولم يُجيزَ^(٧) القولَ إلى تحريرِ العباراتِ.

١٨ وقد تقدّم الشيخ أبو عبد الرحمن الشلميّ، وقبله | الحكيمُ الترمذيّ، وبعده الأستاذ أبو القاسم القشيري، وقبله أبو نصر السراج وغيرهم. وأبو محمد إسماعيلُ

(*-١) لا يوجد في الأصل، س، والمثبت من: ع.

(٢) س: وملازمة.

(٣) ع، س: القدر.

(٤) انظر فيما سيأتي ص ١٥٨-١٩٨.

(*-٥) س: يقتفوا.

(٦) ع: العنايةات.

(٧) الصحيح: يُجز.

٣ بنُ (*أحمد بن الفرات السرخسي الشافعي*)^(١) له كتاب: «درجات التائبين ومقامات الصديقين»^(٢)، وأبو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي، له: «مقامات الراغبين إلى منازل السائرين»، وحداً كلُّ واحدٍ منهما حدواً حسناً. إلا أن «مقامات الراغبين» أحسنُ ترتيباً وأكثرُ تهدياً.

٦ ونحن نختصر ما يتتبع به من يرغب إلى الاقتداء بالاهتداء، ويرهب من الاعتداء في الابتداء والانتهاؤ.

ونقول: المتوجهون ضربان: مُريدٌ، ومُرادٌ. وهما السالكُ، والمجذوبُ.

٩ فالمريدُ: هو الشخصُ السالكُ بترتيبٍ وتدرجٍ على قَدَمِ المراقبة والمحاسبة، فهو عاملٌ بين الرجاء والخوفِ، طالبٌ للترقي في المقامات والأحوالِ، إلى أن يتصل بمنازل الرجالِ.

١٢ والمرادُ: هو المأخوذُ عن بساطِ الغفلةِ إلى صراطِ يقظته المعنى به عن استلابه من عناءِ فُرقتِهِ إلى راحةِ جمعه عن تبدُّده وتشتُّته | .

٨٣ظ

ومن عداهما، فمن أصحاب الخدع والدعاوي الداعية إلى الإلقاء في المهاموي. ويجمع المقامات ثلاث حالات: ابتداءً، وتوسُّطاً، وانتهاءً.

١٥ الحالة الأولى: الابتداء: وهو الشروع في مسلك^(٣) الطريق، وبه يحصل الخروجُ إلى السعة من المضيقِ.

١٨ الثانية: التوسُّطُ: وهو الانتقالُ عن مألوفِ العوائد إلى معروف^(٤) الفوائد، وبه يحصل التبدُّل، ويتصل عن عالم الشهادة التحويل. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، تبدُّلُ أرضِ الأنفسِ

(*-١) في الأصل، ع، س: إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الهروي الفقيه المقرئ. وهذا خطأ؛ لأن هذا العنوان منسوب إلى من أثبتناه في المتن. ومن المحتمل وقوع النسخ في انتقال نظر بينه وبين الاسم التالي عليه.

(٢) في الأصل، ع، س: القاصدين. والمثبت من كشف الظنون.

(٣) ع، س: سلوك.

(٤) في الأصل: معرفة، والمثبت من: ع، س.

الجَدْبَةُ عن عبثِ الفكرةِ الصالحةِ المُنبَتَةِ لثمرَةِ الحكمةِ بأرضِ القلوبِ الطيبةِ والأرواحِ الزكيةِ التي أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماءِ، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا.

٣

وتبدلُ السَّمَوَاتِ بالتطلُّعاتِ^(١) إلى طلبِ الزياداتِ بكثرةِ المعاناةِ للرياضاتِ، بسَمَوَاتِ الموافقاتِ باطِّراحِ الإراداتِ، وذلكِ أشرفُ الغاياتِ^(٢).

٦

الثالثة: الإنتهاء: وهي دَوامُ المعاملةِ في قيامِ المشاهدةِ، ونظامُ المواصلةِ في تمامِ المساعدةِ، وهي الحالاتُ | الثلاثُ. هي متنزِّلةٌ على الحالاتِ^(٣) الواردةِ في حديثِ جبريلَ عليه السلام، وهي الإنقيادُ بالسلوكِ بالأعمالِ، والإيمانُ وهو التصديقُ، وهو انتقالُ عن التكذيبِ، وهو العادةُ المألوفةُ، لكنَّهُ تصديقٌ يختصُّ بعالمِ الغيبِ. والإسلامُ يختصُّ بعالمِ الشهادةِ، فإنَّه عملٌ، والإيمانُ اعتقادٌ.

٨٤و

وقد قال تعالى واصفًا لهم، مادحًا لِفعلِهِمْ بقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

١٢

بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

والإحسان: وهو أنْ تعبُدَ اللهَ كأنك تراه، فالإحسانُ له^(٤) مراتبٌ، فغايبتهِ الحضورُ مع اللهِ بالفناءِ عن رؤيةِ الفناءِ فيه، وعند ذلك تُعدُّمُ الإراداتِ العاديةِ، وتبقى المراداتُ الإلهيةُ، وتُمحى الصفاتُ البشريةُ بإثباتِ المعاني الرُّوحانيةِ.

١٥

فالحالةُ الأولى^(٥) (تُنَالُ بثلاثةِ*^٥) أسبابٍ: أحدها: الشيخُ الموفق. وثانيها:

الذِّكْرُ بشروطِهِ المعلومةِ عندِ أهلهِ. وثالثها: تحكيمُ الأدبِ على النفسِ بمراعاةِ

١٨

الحركاتِ والسكناتِ ظاهرًا وباطنًا. صحَّ في الذِّكْرِ مِنْ حديثِ أَبِي هريرةَ | عنِ النبيِّ ﷺ [أنه كان يسيرُ في طريقِ مَكَّةَ، فمرَّ على جبلٍ يقالُ له:

ظ ٨٤

(١*-١) س: وتدرك سموات التطلعات.

(٢) ع: المعاناة.

(٣) س: الحالة.

(٤) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٥*-٥) في الأصل: إلى ثلاثة، والمثبت من: ع، س.

«جُمَدَانُ»، فقال: [١] سِيرُوا [هذا جُمَدَانُ] (٢) «سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ». قالوا: وما الْمُفْرَدُونَ يا رسولَ الله؟، قال: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا والذَّاكِرَاتُ»، أخرجه مسلم (٣).

قلتُ: فالذِّكْرُ أعظمُ الأسبابِ الموصِّلةِ للسعادةِ، المُحصِّلةِ لإفادةِ الزيادةِ، لكنْ بسلامةٍ (٤) مِنَ العِللِ والتَّواقصِ (٥)، *وطهارتهِ من الدَّخْلِ والتَّواقصِ* (٦).

والحالةُ الثانيةُ: تُنالُ بإثباتِ المحمودِ مِنَ الصفاتِ، ونفيِ المذمومِ منها على جميعِ الحالاتِ. وقد تقدَّم بيانُ المحمودِ والمذمومِ، وما به يقعُ التخلُّقُ، وما يُقَطَّعُ مِنَ العقباتِ حتى يوجدَ التمكنُ في التعلُّقِ بما فيه كفايةً.

وقد رَوَيْنا من حديثِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ - كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ - عن رسولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قال: «طلبُ الحقِّ غُربةٌ» (٧).

قلتُ: يحتملُ أنْ يُريدَ بقوله: «طلبُ الحقِّ»: اللهُ سبحانه وتعالى، فإنَّه هو الحقُّ المطلقُ، ويُطلقُ على غيرِهِ بلواحقَ وقِيودٍ، وبالغُربةِ: البُعدَ عن حظوظِ النفوسِ وشهواتِها. ويحتملُ أنْ يريدَ بالحقِّ (٨) ما هو ثابتٌ، وطلبُهُ مشروعٌ مِنَ الأعمالِ المقرَّبةِ.

وبالغُربةِ: القِلَّةَ وعزَّةَ | الوجودِ؛ لعدمِ المُساعدِ على حصولِ المقصودِ، كما قال فيما رَوَيْنا مِنَ الحديثِ: «إنَّ هذا الدِّينَ بدأ غريبًا وسيعودُ كما بدأ، فطوبى للغُرباءِ» (٩).

(١) زيادة من صحيح مسلم.

(٢) زيادة من صحيح مسلم.

(٣) انظر: صحيح مسلم، ٢٦٧٦.

(٤) ع، س: شرط سلامته.

(٥) ع، س: العوارض.

(٦)*- (٦) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٧) انظر: الفردوس بمأثور الخطاب، ٣٩٢٠.

(٨) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع.

(٩) انظر: صحيح مسلم، ١٤٥؛ وسنن الترمذي، ٢٦٢٩؛ وسنن الدارمي، ٢٧٥٥.

والحالة الثالثة: تُنالُ بتصفية القلب وحفظه عن الخطراتِ ودَوْبِ العملِ في
 الفكرِ والمراقبة، حتَّى يَخْرُجَ من ضيقِ ازدحامِ الفكرِ إلى سَعَةِ انتظامِ الأثرِ، ويلجُ
 ٣ في فضاءِ رُوحِ المشاهدةِ بما وَجَدَ^(١) في نفسه لحظوظه مِنَ المَبَاعِدَةِ، وينقطعَ
 عنِ الإِتِّصَالِ بمراتِهِ، ويبقى ثابتًا مع الله بما يُجْرِيه في موجوداته مِنْ إراداته
 وإيراداته، وهذا هو العارفُ المَلْحُوظُ، والمرادُ المحفوظُ، المَبْرَأُ مِنَ اللُّحُوظِ لشيءٍ
 ٦ مِنَ الحُظُوظِ.

وقد حصرَ الشيخَ أبو إسماعيلَ الهرويَّ المقاماتِ في مِئَةِ مقامٍ، قَسَمَهَا على
 عَشْرَةِ أقسامٍ: بداياتٌ، ثمَّ أبوابٌ، ثمَّ معاملاتٌ، ثمَّ أخلاقٌ، ثمَّ أصولٌ، ثمَّ
 ٩ أوديةٌ، ثمَّ أحوالٌ، ثمَّ ولاياتٌ، ثمَّ حقائقٌ، ثمَّ نهاياتٌ. وجعل في كلِّ قسمٍ منها
 عَشْرَةَ مقاماتٍ، وَصَمَّ كلَّ مقامٍ منها إلى ما يليقُ به، وأحسنَ فيما بَيْنَ، وأتقَنَ
 ٨٥ ظ | ما له قد^(٢) عَيَّنَ.

١٢ وقَسَمَ غيرُهُ المقاماتِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ: مَبَادٍ، وهي المعاملاتُ، ووسائطُ،
 وهي الحالاتُ، ونهاياتٌ، وهي الكمالاتُ. وإلى هذا الترتيبِ مِلْنَا، وعن غيره
 حُلْنَا؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الإِخْتِصَارِ بِالتَّقْرِيبِ وَالتَّرْتِيبِ وَالإِشْتِهَالِ عَلَى التَّهْذِيبِ.

(١) لا توجد في: س.

(٢) لا توجد في الأصل، والمثبت من: س.

القسم الأول

المبادئ

٣ وهي عشرة: الإنباه، والتوبة، والإنباه، والمجاهدة، والورع، والزهد، والإرادة، والمراقبة، والفتوة^(١)، والصدق.

الأول

الإنباه

٦ ويندرج فيه الزجر واليقظة والفكرة والتذكرة والمحاسبة. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ [سبأ: ٤٦]، فالقيام لله يقع بالزجر واليقظة والإنباه، وبما ذكرناه، ولأجل ذلك قال: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾، فعقب القيام بالفكرة، فمن انتبه من نوم غفلته ظفر بالمسرة عند يقظته، وصدَرَ بالمبرة عند مُحاسِبته في فكرته، وإنما يجد ذلك عند انقشاع ظلمته وارتفاع فترته باجتماع حسرته. قال أبو يزيد: | علامة الإنباه خمس: إذا ذَكَرَ نَفْسَهُ افتقر، وإذا ذَكَرَ ذَنْبَهُ استغفر، وإذا ذَكَرَ الدُّنْيَا اعتبر، وإذا ذَكَرَ الآخِرَةَ استبشر، وإذا ذَكَرَ المولى افتخر.

٨٦ و

الثاني

التوبة

١٥ قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١]. عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ بَيْتِي آدَمَ خَطَاءٌ، وخَيْرُ الخَطَائِينَ

(١) في الأصل: القوة.

التَّوَابُونَ»^(١). وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

- ٣ فأصلُ التَّوْبَةِ الرَّجُوعُ، يُقَالُ: تَابَ إِذَا رَجَعَ. وفي الحقيقة: الندامةُ على ما سَلَفَ مِنَ الذَّنْبِ، والإدَامَةُ لِلخَشْيَةِ مِنَ الرَّبِّ فِي الْقَلْبِ^(٢).
- وقال سهلُ بنُ عبدِ اللهِ: أُسُّ الْعِلْمَاءِ وَالْحِكَمَاءِ فِي زَمَانِنَا هَذَا عَلَى ثَلَاثَةٍ: مَلَازِمَةُ التَّوْبَةِ، وَمَتَابَعَةُ السُّنَّةِ، وَتَرْكُ أَذَى الْخَلْقِ. وشروطُهَا ثَلَاثَةٌ: النَّدَمُ عَلَى الذَّنْبِ السَّالِفِ، وَالْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ فِي الزَّمَنِ الْآنَفِ، وَالْإِقْلَاعُ عَنِ الْحَالَةِ الَّتِي تَجْعَلُ عَمَلَهُ فِي حُكْمِ التَّالِفِ^(٣).
- ٩ وقال ابنُ عطاءٍ: التَّوْبَةُ تَوْبَتَانِ: تَوْبَةُ الْإِنَابَةِ: أَنْ يَتُوبَ الْعَبْدُ خَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ، | وَتَوْبَةُ الْإِسْتِجَابَةِ: أَنْ (*يَتَبَدَّلَ الْعَبْدُ*^(٤)) حَيَاءً مِنْ كَرَمِهِ^(٥).
- وقال شاهُ الْكَرْمَانِيُّ: أَتْرَكَ الدُّنْيَا^(٦) وَقَدْ تُبَّتْ، وَخَالَفَ هَوَاكَ وَقَدْ وَصَلْتَ^(٧).
- ١٢ وقد مضى الكلام فيها، ويندرج فيها الحياءُ.

ظ ٨٦

(١) انظر: مسند ابن أبي شيبة، ٣٤٢١٦؛ والترغيب والترهيب، ٤٧٥٠.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية، ٢٥٣.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية، ٢٥٤.

(*-٤) ع، س، الرسالة: يتوب العبد.

(٥) انظر: الرسالة القشيرية، ٢٦١.

(٦) لا توجد في: س.

(٧) انظر: الكشف والبيان، ٨: ٣١٦.

الثالث

الإِنَابَةُ

- ٣ قال الله: ﴿وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]، أي رَجَعَ، فحَلَّ بتوبته ما كان (*قد عقده*)^(١) مِنْ حَوْبَتِهِ. وقال الله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].
- ٦ وأصلُ الإِنَابَةِ: الرُّجُوعُ. يقالُ: أَنَابَ إِذَا رَجَعَ، فَهِيَ فِرَارٌ مِنَ الخَلْقِ إِلَى الحَقِّ، كما قال تعالى: ﴿فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]، أو هَرَبٌ مِنَ الرَّهْبِ عَنِ الرَّغْبِ، وَطَلَبَ الأَرَبِ مِنَ القُرْبِ، فَهِيَ اسْتِكَانَةٌ وَرُجُوعٌ. وَاسْتِبَانَةٌ لِمَكَانٍ خَطِئَ سَابِقُ، وَنُزُوعٌ وَإِقْلَاعٌ عَنِ العُودِ إِلَى الذَّنْبِ فِي وَقُوعِ.
- ٩ قال سهلٌ: الإِنَابَةُ: الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالمَسْأَلَةِ. وَقَالَ الجُنَيْدُ: هِيَ الرُّجُوعُ عَنِ الكُلِّ إِلَى مَنْ لَهُ الكُلُّ.
- ١٢ وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣]، أَي مُقْبِلٍ عَلَى اللَّهِ. وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ: إِذَا صَدَقَ العَبْدُ فِي تَوْبَتِهِ صَارَ مُنِيبًا^(٢).

الرابع

المجاهدة

- ١٥ قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وَقَالَ فَضَالَةُ بْنُ عُيَيْدٍ^(٣): سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي اللَّهِ وَرَجُلًا»^(٤).

(*)- (١) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٢) انظر: تفسير روح البيان، ٢٣: ٧، و٢٠٧.

(٣) في الأصل: قال.

(٤) انظر: سنن الترمذي، ١٦٢١؛ ومسنَد أحمد، ٢٣٩٩٧؛ وصحيح ابن حبان، ٤٦٢٤؛ والمعجم الكبير، ٧٩٧.

والعملُ على مجاهدةِ النَّفسِ مِنْ (١) أتمَّ المقاربةَ للقدسِ، وأعظمَ المباعِدةِ عنِ الرَّجسِ. وحقَّقْتُهَا: مقاومةُ النفسِ بالتزامِ الصدقِ، والإفتقارُ والإنقطاعُ عَمَّا سِوَى الحَقِّ مِنَ الأَغْيَارِ. مَنْ اجْتَهَدَ بَاطِنًا رُزِقَ حُسْنَ مَعَامِلَةٍ ظَاهِرًا، وَمَنْ أُعْطِيَ ٣ ذَلِكَ مُنِحَ الهِدَايَةَ لِأَحْسَنِ المَسَالِكِ، فَذَلِكَ مَعْنَى الآيَةِ السَّابِقَةِ.

رَوَيْنَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ العَاصِ أَنَّهُ سُئِلَ: كَيْفَ تَقُولُ فِي الجِهَادِ وَالغَزْوِ؟ قَالَ: «إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَجَاهِدْهَا - أَوْ اِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَاغْزُهَا - فَإِنَّكَ إِنْ قُتِلْتَ فَارًا (٢) بَعَثَكَ اللَّهُ فَارًا (٣)، وَإِنْ قُتِلْتَ مُرَائِيًا بَعَثَكَ اللَّهُ مُرَائِيًا، وَإِنْ قُتِلْتَ صَابِرًا بَعَثَكَ اللَّهُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا» (٤).

وَرَوَيْنَا عَنْ عَلِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الجِهَادُ أَرْبَعُ: أَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ | وَنَهْيٌ ٩ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّدَقُ فِي مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَشَتَانُ الْفَاسِقِ. فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ عَضُدَ الْمُؤْمِنِ، وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أَنْفَ الْفَاسِقِ، وَمَنْ صَدَّقَ لِلصَّبْرِ قَضَى مَا عَلَيْهِ» (٥).

٨٧ظ

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمٍ: لَنْ يَنَالَ الرَّجُلُ دَرَجَةَ الصَّالِحِينَ حَتَّى يَجُوزَ سِتَّ عَقَبَاتٍ: أُولَاهَا: يُغْلِقُ بَابَ النَّعْمَةِ، وَيَفْتَحُ بَابَ الشَّدَّةِ. وَالثَّانِي: يُغْلِقُ بَابَ الْعِزِّ وَيَفْتَحُ بَابَ الدُّلِّ. وَالثَّلَاثُ: يُغْلِقُ بَابَ الرَّاحَةِ (٦) وَيَفْتَحُ بَابَ الجُهِدِ. وَالرَّابِعُ: يُغْلِقُ ١٥ بَابَ النُّومِ وَيَفْتَحُ بَابَ السَّهْرِ. وَالخَامِسُ: يُغْلِقُ بَابَ الغِنَى وَيَفْتَحُ بَابَ الْفَقْرِ. وَالسَّادِسُ: يُغْلِقُ بَابَ الأَمَلِ وَيَفْتَحُ بَابَ الإِسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ (٧).

(١) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٢) في الأصل، ع، س: بارأ.

(٣) في الأصل، ع، س: بارأ.

(٤) انظر: محاسبة النفس، ٦٢.

(٥) انظر: الفردوس بمأثور الخطاب، ٢٦٤٠.

(٦) في الأصل: الرجاء. والمثبت من: س: الرسالة.

(٧) انظر: الرسالة القشيرية، ٢٦٦.

وقال أبو علي الدقاق: مَنْ زَيْنَ ظَاهِرَهُ بِالْمُجَاهِدَةِ زَيْنٌ (١) اللَّهُ سَرَائِرَهُ بِالْمُشَاهَدَةِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] (٢).

الخامس

٣

الورع

- رَوَيْنَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعَّ مَا يَرِيئُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيئُكَ» (٣). وَرَوَيْنَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ وَرِعًا تَكُنْ | عَابِدًا، وَاجْتَنِبِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ زَاهِدًا، وَأَحْسِنِ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَحِبِّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا» (٤).
- أَصْلُ الْوَرَعِ فِي اللُّغَةِ: (*اجْتِنَابُ الْمَأْتَمِ*)، وَالصَّرْفُ عَنِ ارْتِكَابِ الْمَحَارِمِ. وَفِي الْحَقِيقَةِ: التَّوَقُّفُ عَنِ مُدَانَاةِ الشُّبُهَاتِ خَشِيَةً مُوَافَاةِ الْمَحْرَمَاتِ. وَهُوَ مِنْ مَبَادِيءِ الزُّهْدِ.
- قَالَ أَبُو سَلِيحَانَ الدَّارَانِيُّ: «الْوَرَعُ أَوَّلُ الزُّهْدِ، كَمَا أَنَّ الْقِنَاعَةَ طَرْفٌ مِنَ الرَّضَى» (٦).
- وَقَالَ سَهْلٌ: أَصُولُنَا خَمْسَةٌ أَشْيَاءُ: التَّمَسُّكُ بَكِتَابِ اللَّهِ، وَالِإِقْتِدَاءُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَأَكْلُ الْحَلَالِ، وَاجْتِنَابُ الْآثَامِ، وَأَدَاءُ الْحَقُوقِ.

٨٨ و

٦

٩

١٢

١٥

(١) الرسالة: حسن.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية، ٢٦٤.

(٣) انظر: سنن الترمذي، ٢٥١٨؛ وسنن الدارمي، ٢٥٣٢؛ وصحيح ابن حبان، ٧٢٢؛ والمستدرک علی الصحیحین، ٢١٦٩.

(٤) انظر: سنن ابن ماجه، ٤٢١٧؛ ومسنند أبي يعلى، ٥٨٦٥؛ وشعب الإيمان، ٥٧٥٠؛ والترغيب والترهيب، ٢٦٩٣.

(* - ٥) ع: الكف عن اجتناب المآثم، س: الكف عن اجتناب المآثم.

(٦) انظر: الرسالة القشيرية، ٢٨٥.

وقال المحاسبِيُّ: أصلُ الطاعةِ الوَرَعُ، وأصلُ الوَرَعِ التَّقَى، وأصلُ التَّقَى محاسبةُ النفسِ، وأصلُ محاسبةِ النفسِ الخوفُ والرجاءُ^(١).

وقال بشرُّ بنُ الحارثِ: أشدُّ الأعمالِ ثلاثةٌ: الجُودُ في القِلَّةِ، والوَرَعُ في الخُلُوةِ، وكلمةُ الحقِّ عند مَنْ يُخَافُ [منه]^(٢) ويُرجَى^(٣). وقال أبو عثمانِ المَغْرِبِيُّ: مَنْ أَسَّسَ بُنيانَه على التقوى والعلمِ جاءتْ أذكارُه وأفعاله صافيةً، ودخل عليه الوَرَعُ مِنْ حيثُ لا يَشْعُرُ^(٤).

وسُئِلَ | الجُنَيْدُ: ما الذي يُفسدُ القلبَ؟ قال: الطمعُ. فقيل له: فما الذي يُصلِحُ القلبَ؟ قال: الوَرَعُ^(٥).

ظ ٨٨

٩

السادس

الزُّهد

قال الله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [هود: ٨٦]، يعني ما أبقاه لكم حلالاً، ولم يُحرِّمه عليكم.

١٢

أصلُ الزُّهدِ لغةً: القِلَّةُ. يقال: متاعٌ زهيدٌ، أي قليل. والقليلُ مرغوبٌ عنه. فلاجل ذلك قيل: (*الزُّهدُ تركُ الرِّغبةِ. وقال بعضهم: *الزُّهدُ تركُ الفضولِ والإقبالُ على الله المأمولِ.

١٥

(١) انظر: حلية الأولياء، ١٠: ٧٦.

(٢) زيادة من الرسالة.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية، ٢٨٦.

(٤) انظر: الزهد الكبير، ٩١٥.

(٥) انظر: الزهد الكبير، ١٠٧.

(*-٦) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

وقيل: ترك ما سوى الله. وقيل: أن يخلو القلب مما تخلو منه اليد. والأحوال فيه مختلفة: وهو قربة للعامة^(١) وضرورة للمريد، وخسة للخاصة.

٣ رَوَيْنَا عَنْ سَهْلِ بْنِ رَبِيعَةَ^(٢) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ، فَقَالَ: ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُحِبُّنِي اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيُحِبُّنِي النَّاسُ. قَالَ: «أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَأَزْهَدْ فِيهَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»^(٣).

٦ وَرَوَيْنَا عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا إِنَّ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا لَيْسَ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ، وَلَا إِضَاعَةِ الْمَالِ، وَلَكِنَّ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَكُونَ بِمَا فِي يَدِكَ أَوْثَقَ مِنْكَ | بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ»^(٤).

٨٩و

٩ وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا: قِصْرُ الْأَمَلِ، لَيْسَ بِأَكْلِ الْغَلِيظِ، وَلَا بَلْبَسِ الْعَبَاءِ^(٥). وَقَالَ أَبُو عَثَانَ: الزُّهْدُ أَنْ تَتْرَكَ الدُّنْيَا، ثُمَّ لَا تُبَالِي مَنْ أَخَذَهَا^(٦). وَقَالَ الدَّارَانِيُّ: إِذَا بَلَغَ الرَّجُلُ مِنَ الزُّهْدِ غَايَتَهُ أَخْرَجَهُ ذَلِكَ إِلَى التَّوَكُّلِ.

السابع

الإرادة

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ

وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

(١) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٢) س: سعد.

(٣) انظر: سنن ابن ماجه، ٤١٠٢؛ والمعجم الكبير، ٥٩٧٢؛ ومسنند الشهاب، ٦٤٣؛ وشعب الإيمان، ١٠٥٥٢٢؛ والترغيب والترهيب، ٤٨٥٥.

(٤) انظر: سنن الترمذي، ٢٣٤٠؛ وسنن ابن ماجه، ٤١٠٠؛ والمعجم الأوسط، ٧٩٥٤؛ وشعب الإيمان، ١٠٠٧٠؛ والترغيب والترهيب، ٥١٤٦.

(٥) انظر: الرسالة القشيرية، ٢٩٣.

(٦) انظر: الرسالة القشيرية، ٢٩٤.

وروى حميد الساعدي عن أنس أن النبي ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله». ف قيل له: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: «يُوقِّفه لعملٍ صالحٍ قبل الموت»^(١).

٣

وأصلُ الإرادة - لغةً - القصدُ، وهي في لسانِ القوم: قصدٌ خاصٌ لمقصودٍ خاصٍّ، وهو الله سبحانه، فهي قصدُ العبدِ التوجهَ بقلبه لخدمةِ ربِّه، مُنسلِحًا عن إرادةِ حظِّه منه. فالمریدُ مَنْ له إرادةٌ على مُقتضى الاشتقاقِ، كما أن المُنيبَ والعلیمَ مَنْ له إنابةٌ أو علمٌ.

٦

وفي الطريقة: المریدُ مَنْ لا إرادةَ له، فما لم ينسلحْ عن إرادته لا يكون مُريدًا. وقد اختلفت عباداتهم على قدر ما فُوتِحُوا به. | وأكثرهم يقول فيها ما قاله السُّبُلِيُّ: جُملةُ الإرادةِ تركٌ ما عليه العادة^(٢). فالخروجُ عن العوائدِ مبدأٌ تحصيلِ الفوائدِ. وحقيقتها: نهضة^(٣) القلبِ في طلبِ رضى الربِّ، ولأجل ذلك يُقال فيها: الإرادةُ لَوْعَةٌ تُهَوِّنُ كُلَّ رَوْعَةٍ^(٤).

ظ ٨٩

١٢

قال أبو عليّ الرُّوذباري: المریدُ الذي لا يُريدُ لنفسه إلا ما أرادَ اللهُ تعالى له. وقال أبو بكر الكتاني: من حُكِمَ المریدِ أن تكونَ فيه ثلاثةُ أشياء: نومُه غَلَبَةٌ، وأكلُه فاقَةٌ، وكلامُه ضرورةٌ^(٥).

١٥

(١) انظر: سنن الترمذي، ٢١٤٢؛ ومسند أحمد، ١٢٠٥٥؛ وصحيح ابن حبان، ٣٤١؛ والمعجم الأوسط، ١٩٤١.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٣٤.

(٣) على هامش س: النهضة: استقامة القلب.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٣٤.

(٥) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٣٦.

- (*) وقال شاه الكرماني: المريدون على عشرة مقامات^(١*): التحبُّبُ (*إلى الله^(٢*)) بالنوافل، (*والتزُّينُ عنده بملازمة الأمر^(٣*))، والأنسُ بكلامه^(٤))، والصبرُ على أحكامه^(٥))، والإنيادُ^(٦)) لأمره، والحياءُ من نظره، وبذلُ المجهود في محبته^(٧))، والتعرُّضُ (*إلى كل^(٨*)) سببٍ يُوصِلُ (*إلى قُربه^(٩*))، (*والرِّضى بالدِّلة، والقناعة بالحُمول^(١٠*)). ونُقل مثل^(١١)) هذا الكلام عن مُحَمَّدِ بْنِ الْمُبَارَكِ الصُّورِيِّ^(١٢).
- ٦ وقال أبو بكرِ الوَرَّاقِ^(١٣)): آفةُ المريدِ ثلاثةُ أشياء: الترويحُ، وكتابةُ^(١٤)) الحديث^(١٥))، والأسفارُ.
- ٩ وقال يحيى بنُ معاذٍ: | أشدُّ شيءٍ على المريدِ^(١٦)) مُعاشرةُ الأضدادِ^(١٧)). ولو تَبَعْنَا ما نُقِلَ مِنَ الْحِكَايَاتِ أَطَلْنَا؛ فَلْتَقْتَصِرْ عَلَى ما أوردنا.

٩٠

(١*-*) الرسالة: وقيل: من صفات المريدين.

(٢*-*) الرسالة: إليه.

(٣*-*) الرسالة: والخلوص في نصيحة الأمة.

(٤) الرسالة: بالخلوة.

(٥) الرسالة: مقاساة الأحكام.

(٦) الرسالة: والإيثارُ.

(٧) الرسالة: محبوبه.

(٨*-*) الرسالة: لكل.

(٩*-*) الرسالة: إليه.

(١٠*-*) الرسالة: والقناعة بالحمول وعدم الإقرار بالقلب إلى أن يصل إلى الربِّ. ولا يوجد في: ع

(١١) لا توجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

(١٢) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٣٥-٤٣٦. وراجع ترجمته في «تاريخ الإسلام»، ٥: ٤٥٠.

(١٣) في الأصل: الزقاق. والمثبت من الرسالة. وانظر ترجمته في «تاريخ الإسلام»، ٦: ٢٧٩.

(١٤) الرسالة: وكتبة.

(١٥) تعليقٌ على الهامش بخط الناسخ: كتابة الحديث من آفات المريد، وانظر وجه ذلك، وهل المراد بالحديث كلام النبي ﷺ. وفي متن «ألفيّة العراقي» الخلاف في كتابة الحديث وعلّة ذلك، وبعضهم أوجب كتابة الحديث لخشية النسيان، وحملُ الحديث هنا على مطلق الأخبار - مثل التواريخ - غير ظاهر، والله أعلم.

(١٦) الرسالة: المريدين.

(١٧) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٣٧.

الثامن

المراقبة

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، أصل الرقيب ٣
 - لغةً - الناظر. يقال: على فلانٍ رقيبٌ يَمْنَعُهُ. فالمراقبةُ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْعِلْمِ بِنَظَرِ
 الله إلى العبدِ، ونَظَرَ العبدِ إليه، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ رَقِيبٌ^(١) اسْتَحْيَى مِنْهُ،
 فلا يُقَدِّمُ إِلَّا عَلَى أَمْرٍ مَأْذُونٍ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ. ويندرجُ في المراقبة: الرَّعَايَةُ وَالْحِيَاءُ ٦
 وَالْحُرْمَةُ. والمراقبةُ تنقسمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ: إلى مراقبةِ النفسِ، ومراقبةِ القلبِ،
 ومراقبةِ الحقِّ. فالنفسُ بالمحاسبة، والقلبُ بجمعِ الهَمِّ، والحقُّ بالمشاهدة.
 قال بعضُ العارفين: اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدَرِ قُرْبِهِ مِنْكَ، وَعَلِمَهُ بِكَ، ٩
 وَخَفَهُ^(٢) عَلَى قَدَرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ، وَاسْتَعَدَّ لِلدُّنْيَا بِقَدَرِ مَقَامِكَ فِيهَا، وَاسْتَعَدَّ
 لِلْآخِرَةِ بِقَدَرِ مُكْتَثِكَ فِيهَا، وَأَطَعَ اللَّهَ بِقَدَرِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ.
 وروى حذيفةُ بنُ قَتَادَةَ المرعشيُّ قال: كَتَبَ إِلَيَّ يُوْسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ: أَمَا بَعْدُ، ١٢
 فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى | اللَّهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا عَلَّمَكَ اللَّهُ، وَالْمُرَاقَبَةِ حَيْثُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ
 إِلَّا اللَّهَ، وَالِاسْتِعْدَادَ لِمَا لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ^(٣) حِيلَةٌ، وَلَا يُتَنَفَعُ بِالنَّدَمِ عِنْدَ نُزُولِهِ.

٩٠ظ

١٥

التاسع

الْفُتُوَّةُ

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف: ١٣]، أصلُ الفُتُوَّةُ
 - لغةً - الفُتُوَّةُ، باستكمالِ سِنٍّ هُوَ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ سِنٍّ^(٤) الصَّبَا وَسِنَّ الكُهُولَةِ، وَهُوَ ١٨
 صِفَةٌ مَدْحٍ مِنْ نَوْعِ الكَرَمِ وَالْجُودِ وَالسَّخَاءِ، إِلَّا أَنَّهُا تَمَيِّزٌ عَنْ ذَلِكَ بِالسَّعْيِ فِي

(١) في الأصل: رقيبًا.

(٢) في الأصل: وحقه.

(٣) لا توجد في: س.

(٤) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

مصالح الغَيْرِ، كما قال عليه السلام: «لا يزال الله في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه المسلم»^(١).

٣ وعن الإعتبار لا يكمل هذا المقام إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن كل أحد في الموقف يقول: نفسي نفسي، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «أمتي أمتي»^(٢).

٦ قال أبو بكر الورّاق: الفتى من لا خصم له^(٣). وقيل: الفتى من لا يرى لنفسه فضلاً على غيره.

وقال الجنيّد: الفتوة بالشام، واللّسان بالعراق، والصدق بخراسان^(٤). ولهم في الفتوة كلام كثير لا يمكن استيعابه.

العاشر

الصدق

قال الله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]،

١٢ | وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. و٩١

وروينا من حديث أبي الحوراء قال: قلتُ للحسن بن عليّ: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً؟ قال: نعم. سمعته يقول: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة»^(٥).

١٥ فالصدق: الوفاء بالعهد والصفاء في القصد، وهو في ثلاثة أوجه: في النية، وفي القول، وفي العمل.

(١) انظر: مصنف ابن أبي شيبة، ٣٥٠٠٥؛ والمعجم الكبير، ٤٨٠١؛ والترغيب والترهيب، ٣٩٧٤؛ والفردوس بماثور الخطاب، ٧٥٦٠؛ والرسالة القشيرية، ٤٧٢.

(٢) انظر: المعجم الأوسط، ٢٩٣٧؛ والمعجم الكبير، ١٠٧٧١؛ وصحيح ابن حبان، ٦٤٨٠.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٧٣.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٧٢-٤٧٣.

(٥) انظر: السنن الكبرى، ١١١٣٤؛ والمعجم الصغير، ٣٢؛ والمعجم الكبير، ٢٧٠٨؛ وسنن الترمذي، ٢٥١٨؛ وسنن الدارمي، ٢٥٣٢.

فالصدقُ في النيةِ تخليصُها مِنَ الشوائبِ، وإرادةُ اللهِ بعزمِهِ ذلك. والصدقُ في القولِ: أَنْ يَحْتَرِزَ فِي نُطْقِهِ حَتَّى يَظْهَرَ لَهُ شَاهِدٌ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ. والصدقُ في العملِ: الجِدُّ والإِخْلَاصُ فِيهِ وَالْحِرْصُ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقْطَعْهُ عَنْهُ قَاطِعٌ، كَمَا قَالَ اللهُ ۙ ٣
تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾. وبهذا تَمَّ قِسْمُ الْمَبَادِئِ، وَهِيَ
المُعَامَلَاتُ.

القسم الثاني

الوسائط

وهي الحالات وما فيها على الإتصال بالله من الدلالات

٣

وهي عشرة: الخشوع، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإستقامة، والخلق،
والذكر | والسَّماعُ، والأنسُ، والعلمُ.

٩١ظ

الأول

٦

الخشوع

قال الله تعالى: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، أصل
الخشوع لغة: الانخفاضُ والسُّكُونُ عن الحركة.

٩

قال الله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: ١٠٨]، وقال تعالى:
﴿وَتَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ [فصلت: ٣٩].

وفي لسان القوم: طمأنينة القلب بجمع الهم بين يدي الرب. وقيل:
الإنقيادُ إلى الحق^(١). وقيل: قيْدُ الجوارح عن الشُّبُهاتِ، (*وسجنُ النفسِ عن
الشَّهواتِ^(٢))^(٣)، وهو معهد^(٤) النجاة والفلاح، وموردُ السعادة والنجاح.

١٢

رُوي عن عبد الله بن مسعود قال: بَيَّنَّ إِسْلَامُنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ أَرْبَعَةً
أَشْهُرٍ حَتَّى نَزَلَتْ الْآيَةُ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ
اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦].

١٥

(١) انظر: الرسالة القشيرية، ٣٣٩.

(٢*-٣*) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية، ٣٣٩.

(٤) ع، س: معتمد.

فالحشوعُ: سُكُونٌ فِي الْقَلْبِ وَحُضُورٌ مَعَ الرَّبِّ يَظْهَرُ أَثْرُهُ فِي خَارِجِ الْجَوَارِحِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

٣

وقال النبي ﷺ في المُصَلِّي الذي كَانَ يُكْثِرُ حَرَكَةَ يَدَيْهِ: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ». وَقَالَ حُدَيْفَةُ: أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْخُشُوعُ ^(١).

٦

٩٢ و

ويندرجُ فِي الْخُشُوعِ: التَّوَاضُّعُ وَالْإِحْبَاتُ | وَالْإِحْلَاصُ وَالتَّعْظِيمُ وَالسَّكِينَةُ وَالتَّوَكُّلُ وَالتَّوَقُّفُ... وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَاللَّهُ الْمُؤَقِّطُ.

الثاني

٩

الخوف

قال الله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]، فالخائفون أربعة:

١٢

الأَنْبِيَاءُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، والرَّهَبُ: شِدَّةُ الْخَوْفِ.

١٥

ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ. وَقَالَ فِيهِمْ: ﴿تَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].
ثُمَّ الصَّادِقُونَ، وَقَالَ فِيهِمْ: ﴿وَتَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَتَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

١٨

ثُمَّ الْخَلْقُ كَافَّةً، وَقَالَ فِيهِمْ: ﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

رَوَيْنَا عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ وَعِزُّهُ» ^(٢). وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَبُّكُمْ: لَا أَجْمَعُ عَلَى

(١) انظر: مصنف ابن أبي شيبة، ٣٤٨٠٨؛ وحلية الأولياء، ٢٨١: ١، والرسالة القشيرية، ٣٣٩.

(٢) انظر: شعب الإيمان، ٧٤٣؛ والفردوس بمأثور الخطاب، ٣٢٥٨.

عَبْدِي (١) خَوْفَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ (٢) أَمْنَيْنِ، إِنَّ خَافِنِي فِي الدُّنْيَا (*م) يَخْفُ فِي
الْآخِرَةِ (٣*)، وَإِنْ أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا لَمْ يَأْمَنْ فِي الْآخِرَةِ (٤).

٣ وحقيقته الخوف: تَطَلَّعَ الْقَلْبُ لَوْعِ سَطْوَةِ الرَّبِّ، فَيَحْدُثُ فِي الضَّمِيرِ شِدَّةَ
الْقَلْقِ مِنْ قُوَّةِ الْفَرْقِ. فَالْوَجَلُ بِدَائِيَّتِهِ، وَالخَوْفُ | نَهَائِيَّتِهِ. وَتَخَلَّفُ (٥) الْأَعْضَاءُ
عِنْدَهُ، فَإِذَا خَلَفَتْ (٦) كَانَ رَهْبَةً، فَإِذَا قَوِيَ صَارَ خَشِيَةً.

٦ ويقال: الخوفُ لِلْمُذْنِبِينَ، وَالرَّهْبَةُ لِلْعَابِدِينَ، وَالخَشْيَةُ لِلْعَامِلِينَ، وَالْوَصْلُ
لِلْمُحِبِّينَ، وَالْهَيْبَةُ لِلْعَارِفِينَ.

٩ فالْمُؤْمِنُ يَعْمَلُ عَلَى الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ. وَكَذَلِكَ قِيلَ: لَوْ وُزِنَ خَوْفُ الْمُؤْمِنِ
وَرَجَاؤُهُ لَأَعْتَدَلَا، إِلَّا أَنَّهُ فِي حَالِ الصِّحَّةِ الْخَوْفُ بِهِ أَوْلَى، وَفِي حَالِ الْمَرَضِ
الرَّجَاءُ لَهُ أَوْلَى. قَالَ ﷺ: «لَا يَمُوتُ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ حَسَنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ وَرَجِيْلٌ» (٧).

١٢ وَشَتَانٌ بَيْنَ خَوْفِ خَلْقِ اللَّهِ وَبَيْنَ خَوْفِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَافَ اللَّهَ هَرَبَ إِلَيْهِ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]، وَمَنْ خَافَ مِنْ شَيْءٍ
هَرَبَ مِنْهُ.

١٥ وَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ: الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ يُوَصِّلُكَ إِلَيْهِ، وَالْعُجْبُ يَقْطَعُكَ عَنِ اللَّهِ.
وَقَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ التُّورِيُّ: الْخَائِفُ يَهْرُبُ مِنْ رَبِّهِ إِلَى رَبِّهِ (٨).

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعَاذٍ: عَلَى قَدْرِ خَوْفِكَ مِنَ اللَّهِ يَهَابُكَ الْخَلْقُ، وَعَلَى قَدْرِ حُبِّكَ
لَهُ يُحِبُّكَ الْخَلْقُ، وَعَلَى قَدْرِ شُغْلِكَ بِاللَّهِ يَشْتَغِلُ الْخَلْقُ بِأَمْرِكَ.

(١) فِي الْأَصْلِ: عِبْدِي.

(٢) فِي الْأَصْلِ: لَهُمْ.

(٣*)- (٣) فِي الْحَدِيثِ: أَمِنْتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(٤) انظر: صحيح ابن حبان، ٦٤٠؛ والزهد، لابن المبارك، ١٥٧؛ وشعب الإيمان، ٧٧٧؛ والترغيب
والترهيب، ٥١١٠.

(٥) ع، س: وَتَخَفُّ.

(٦) ع، س: خَفَّتْ.

(٧) انظر: سنن أبي داود، ٣١١٣.

(٨) انظر: الرسالة القشيرية، ٣٠٩.

وقال عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْمَكِّيُّ: العَبْدُ يَحْتَاجُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: الْخَوْفِ وَالْحَشْيَةِ | والرجاء. فالخوفُ في الدنيا يُورِثُ في الآخِرَةِ الْأَمْنَ، وَالْحَشْيَةُ تُورِثُ الْعَطَاءَ، والرجاءُ أَثْنَى، فَلَا يَصْلُحُ عَلَى الرَّجَاءِ إِلَّا الْخَائِفُ، وَلَا يَصْلُحُ عَلَى الْخَوْفِ إِلَّا الرَّاجِي.

وله مراتبُ: خوفُ التَّبَعَاتِ، وخوفُ قَبُولِ الْحَسَنَاتِ، وخوفُ الْعَوَاقِبِ فِي الْحَرَكَاتِ وَالسَّكِّنَاتِ.

فالأوَّلُ: مِنْ رُؤْيَةِ التَّقْصِيرِ، وَالثَّانِي: لِطَلَبِ الْأَجْرِ عَلَى الْعَمَلِ وَقَصْدِ التَّوْفِيرِ، وَالثَّلَاثُ: لِقَصْدِ التَّعْظِيمِ لِلَّهِ وَالتَّوْقِيرِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَخَافُ عُقْبَتَهَا﴾ [الشمس: ١٥].

فَالخَوْفُ مِنْ [شَرْطِ] (١) الْإِيمَانِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَحَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَالْحَشْيَةُ مِنْ [شَرْطِ] (٢) الْعِلْمِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ عَلَّمْتُمُوهُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وَالهَيْبَةُ مِنْ [شَرْطِ] (٣) الْمَعْرِفَةِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] (٤).

وقال سهلٌ: لِلخَائِفِ ثَلَاثُ عَلامَاتٍ: يَتَجَزَّأُ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْأَكْلِ، وَيَتَجَزَّأُ بِالْيَسِيرِ مِنَ النَّوْمِ، وَيَقِيلُ نَظْرَهُ إِلَى الدُّنْيَا. وَاللَّهُ الْمُوقِّعُ.

(١) زيادة من الرسالة.

(٢) زيادة من الرسالة.

(٣) زيادة من الرسالة.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ٣٠٧.

الثالث

الرجاء

- ٣ قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٣].
- ٦ رَوَيْنَا عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا يَسُرُّنِي | بِهِذِهِ الْآيَةِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾» (١).
- ٩ رَوَيْنَا عَنْ عَلِيٍّ - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ رَجَا غَيْرِي لَمْ يَعْرِفْنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي لَمْ يَعْبُدْنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْبُدْنِي فَقَدْ أَوْجَبَ سَخَطِي، وَمَنْ خَافَ غَيْرِي حَلَّتْ بِهِ نَقْمَتِي» (٢).
- ١٢ (*فَالرَّجَاءُ: تَعَلُّقُ الْأَمَلِ بِقَبُولِ الْعَمَلِ وَغُفْرَانِ الزَّلَلِ، أَوْ مَسْرَّةِ الْقَلْبِ بِمَبْرَةِ مِنَ الرَّبِّ. فَتَارَةً يَنْشَأُ عَنِ الْخَوْفِ، وَأُخْرَى يَنْشَأُ الْخَوْفُ عَنْهُ، فَهِيَ مُصْطَحِبَانِ (٣) لَا يَفْتَرِقَانِ كَجَنَاحَيْ طَائِرٍ إِنْ اسْتَوَيَا تَمَكَّنَ مِنَ الطَّيْرَانِ*).
- ١٥ رَوَيْنَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟»، فَقَالَ: أَرْجُو اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَخَافُ ذُنُوبِي. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ الَّذِي يَرْجُو مِنْهُ، وَأَمَّنَّهُ مِمَّا يَخَافُ» (٥).

(١) انظر: الفردوس بمأثور الخطاب، ٦٢٩٩.

(٢) لم أفق عليه.

(٣) س: متصاحبان.

(*-٤) الرسالة: الخوف والرجاء هما كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتمَّ طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهب صار في حدِّ الموت.

(٥) انظر: سنن الترمذي، ٩٨٣؛ وسنن ابن ماجه، ٤٢٦١؛ ومسنند عبد بن حميد، ١٣٧٠؛ وشعب الإيمان، ١٠٠١؛ والترغيب والترهيب، ٥١٢٥.

والرجاء والخوف إنما يتعلقان بمُستقبلٍ يُتَوَقَّعُ مِنْ مَحْبُوبٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، فَعَيْشُ القلوبِ ونشاطها | وراحتهَا مِنْ تَعَبِهَا، وانبساطها مِنْ قَبْضَتِهَا إِنَّمَا هُوَ بِقُوَّةِ صِدْقِهَا فِي رَجَائِهَا.

٣

ويشبهه الرجاء بالتمني. والفرق بينهما أَنَّ الْمُتَمَنِّيَ نَفْسُهُ عَازِفَةٌ عَنِ الْجِدِّ فِي الْعَمَلِ، عَاكِفَةٌ عَلَى الْبِطَالَةِ وَالْكَسَلِ، وَالرَّاجِيَ مُجْتَهِدٌ فِي عَمَلِهِ، مُعْتَمِدٌ عَلَى إِقْبَالِهِ فِي وَجَلِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، يَتَقَرَّبُونَ بِالطَّاعَاتِ، وَيَخْشَوْنَ مِنْ رَدِّ تِلْكَ الْبِضَاعَاتِ.

٦

قال أبو عثمان المغربي: الرَّجَاءُ^(١) يَتَوَلَّدُ مِنْ هِجْرَانِ الشُّوْءِ وَمَجَاهِدَةِ النَفْسِ وَدَوَامِ الْخَوْفِ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

١٢

وللرجاء جهات ثلاثة: رجاء ثواب الأعمال، ورجاء قربة الإجلال، ورجاء الحق المنعم بالنوال.

١٥

فراجي الثواب يعمل على تصديق الوعد، وراجي القربة يعمل على تسهيل العبادات بالجِدِّ، وراجي الحق يعمل على ما ألحق أهله من المجد. واختلف من أهل الطريق فيه العبارات، وكلُّ منها عبَّرَ عن^(٢) ما قام به من الحالات.

١٨

(١) لا يوجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

(٢) في الأصل: على، والمثبت من: ع، س.

- ٣ | قال شاه الكرماني: علامة الرجاء حُسنُ الطاعة^(١). وقيل: الرجاء رؤيةُ الجلالِ بعينِ الكمال^(٢). وقيل: سرورُ الفؤادِ بحُسنِ المعادِ^(٣). وقال عبدُ الله ابنُ خفيف: الرجاء استبشارٌ بوجودِ فضله^(٤).
- ٦ | وقال محمدُ بنُ المباركِ الصُّوري: مقامُ الراجينَ عَشْرَةٌ: الحجُّ، والرِّباطُ، والجهادُ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عن المنكرِ، والمعاونةُ على البرِّ بالنفسِ والمالِ، ونصرةُ المظلومِ، وإجابةُ الصارخِ، وتفريجُ الكربةِ، وإغاثةُ^(٥) الملهوفِ. وكلامهم في ذلك على قدرِ أحوالهم، ومراتبهم متفاوتةٌ على قدرِ تفاوتهم في أعمالهم.

الربع التوكل

- ٩ | قال اللهُ تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، مكانُ التوكلِ عظيمٌ بديعٌ، وقدرُ صاحبه عندَ اللهِ رفيعٌ.
- ١٢ | وقد أمرَ اللهُ به رسولهُ بقوله الحقِّ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨١]، وأمرَ به المؤمنينُ بقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [المائدة: ٢٣]، وفي قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، وأخبرَ أنه مقامُ النبيينَ، كما | أخبرَ عن هودٍ عليه السلام بقوله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ [هود: ٥٦].
- ١٨ | فهو مقامٌ مكينٌ، وتمامٌ مبینٌ، وأصله - لغَةً - الإعتادُ. يُقالُ: وَكَلْتُ الأمرَ إلى فلانٍ، أي: أَلْقَيْتُهُ إليه مُعْتَمِدًا عليه.

(١) انظر: الرسالة القشيرية، ٣١٨.

(٢) الرسالة: الجبال.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية، ٣١٨.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ٣١٩.

(٥) في الأصل، ع: وإعانة. والمثبت من: س.

- وفي لسانِ القوم: تَمَكَّنُ (*اليأس عن*^{١*}) التعلُّقِ بأحدٍ مِنَ الناسِ، أو: تَرَكَ الإِعْتِمَادَ عَلَى الخَلْقِ بِالإِسْتِنَادِ إِلَى الحَقِّ. وقيل: هو الثَّقَةُ بِالوَعْدِ وتركِ التَّدْبِيرِ لِغَدِّ. ويتعيَّنُ عَلَى التَّوَكُّلِ ثَلَاثَةٌ أُمُورٍ: الرِّضَى عَنِ اللَّهِ بِتَقْدِيرِهِ، وَحَسَنُ الظَّنِّ^٣ بالنظَرِ إِلَى تَدْبِيرِهِ، وَطَرْحُ الإِتِّهَامِ لَهُ فِيمَا يَبْدِيهِ مِنْ تَأْثِيرِهِ. وَمَبْدَأُ التَّوَكُّلِ اليَقِينُ، فَإِذَا انْتَهَى سُمِّيَ تَوَكُّلاً.
- رَوَيْنَا عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَعْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»^(١). وَرَوَيْنَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «التَّوَكُّلُ نِصْفُ العِبَادَةِ، وَالدُّعَاءُ نِصْفُ العِبَادَةِ»^(٢).
- قُلْتُ: قَدْ شَهِدَ الكِتَابُ العَزِيزُ بِصَحَّةِ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ﴾ عَلَيْهِ عليه [هود: ١٢٣].
- وَرَوَيْنَا عَنْ جَابِرِ أَنَّ رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ أَحَدُكُمْ لَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ، فَلَا تَسْتَبِطُوا الرِّزْقَ، اتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حَرَّمَ»^(٤).
- رُوي أَنَّ لُقْمَانَ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَمِيقٌ، قَدْ غَرِقَ فِيهَا نَاسٌ كَثِيرٌ، فَلْتَكُنْ سَفِينَتَكَ فِيهَا تَقْوَى اللَّهِ وعجل، وَحَشْوُهَا إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَشِرَاعُهَا التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ، لَعَلَّكَ نَاجٍ^(٥) وَمَا أَرَاكَ نَاجِيًا^(٦).

٩٥ظ

(*)-١) في الأصل: اليأس على، والمثبت من: ع، س.

(٢) انظر: سنن الترمذي، ٢٣٤٤؛ وسنن ابن ماجه، ٤١٦٤؛ ومسنند أحمد، ٢٠٥؛ والمستدرک علی الصحیحین، ٧٨٩٤.

(٣) نصُّ الحَدِيثِ فِي الفِرْدوسِ رَقْم ٤٠٩٦: «عَمَلُ البِرِّ كُلُّهُ نِصْفُ العِبَادَةِ، وَالدُّعَاءُ نِصْفُ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ امْتَحَنَ قَلْبَهُ لِلدُّعَاءِ».

(٤) انظر: سنن ابن ماجه، ٢١٤٤؛ والمعجم الأوسط، ٣١٠٩؛ وسنن البيهقي الكبير، ١٠١٨٤؛ والمستدرک علی الصحیحین، ٧٩٢٤؛ والمعجم الأوسط، ٣١٠٩.

(٥) في الأصل بالنصب «ناجياً».

(٦) انظر: الدعاء، للطبراني، ١٧٣٧؛ والزهد الكبير، للبيهقي، ٢٧٩؛ وذم الدنيا، ٩١.

وقال سهل بن عبد الله: علامة المتوكل ثلاثة: لا يسأل، ولا يرُدُّ، ولا يحبس^(١). وقال حمدون القصار: التوكل هو الاعتصام بالله^(٢).
 وقال سهل^(٣): أوّل مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي^(٤) الغاسل؛ يُقلِّبه كيف أراد^(٥)، لا يكون له حركة ولا تدبير^(٦).
 ويندرج في التوكل: القناعة، والرّضى، واليقين، والتفويض، والتسليم، والثقة، والصبر، والشكر، والرغبة، والرهبه، والتبتل... وغير ذلك من المقامات المعهودة والكرامات المعدودة.

٩٦ و

الخامس

الإستقامة

قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠]، فالإستقامة عظيم قدرها، كريم فخرها، مقيم ذخرها.
 وهي لغة: المشي على جادة الطريق من غير ميل عنه. وفي لسان القوم: القيام بين يدي الله بلزوم الأدب وترك الطلب منه لشيء من الأرب. فهو على سلوكه في إستقامة، وعلى تعظيمه في حرمة الله في إستدامة.
 روينا عن سفيان بن عبد الله الثقفي أنه قال: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك. قال: «قل: آمنتُ بالله، ثم استقم»^(٧).

(١) انظر: الرسالة القشيرية، ٣٦٨.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية، ٣٦٨.

(٣) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٤) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٥) الرسالة: شاء.

(٦) انظر: الرسالة القشيرية، ٣٨٦.

(٧) انظر: صحيح ابن حبان، ٩٣٢؛ والآحاد والمثاني، ١٥٨٤؛ والسنن الكبرى، ١١٤٨٩؛ والمعجم الكبير،

٦٣٩٨؛ وشعب الإيمان، ٤٩٢٤؛ والأربعون في التصوف، ١٨.

وَرَوَيْنَا عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»^(١).

فَالِاسْتِقَامَةُ عَمُودُ الدِّينِ وَنِظَامُهُ، وَبِهَاؤُهُ^(٢) وَوُجُودُ الْيَقِينِ وَتَمَامُهُ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِيمْ فِي سَيْرِهِ لَمْ يَسْتَدِمْ لَهُ مَا يَرْجُو ثَوَابَهُ مِنْ خَيْرِهِ.

وَرَوَيْنَا عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي أَيْدِيهِ لَا يَسْتَقِيمُ

ظ٩٦

إِيمَانُ الرَّجُلِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ لِسَانُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَمَلُهُ»^(٣).

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ: الِاسْتِقَامَةُ ثَلَاثَةٌ مَدَارِجَ: أُولَاهَا: التَّقْوِيمُ، ثُمَّ الْإِقَامَةُ،

ثُمَّ الْإِسْتِقَامَةُ. فَالتَّقْوِيمُ: مِنْ حَيْثُ تَأْدِيبُ النَفُوسِ، وَالْإِقَامَةُ: مِنْ حَيْثُ تَهْدِيبُ الْقُلُوبِ، وَالِاسْتِقَامَةُ: مِنْ حَيْثُ تَقْرِيبُ الْأَسْرَارِ^(٤).

وَاعْلَمْ أَنَّ وُجُودَ الْإِسْتِقَامَةِ يَتَوَجَّهُ عَلَى الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ. فَأَمَّا الظَّاهِرُ فَحِفْظُ

الجَوَارِحِ عَنِ الْإِمْتِدَادِ إِلَى الْقَبَائِحِ. وَأَمَّا الْبَاطِنُ فَمُرَاعَاةُ الْقَلْبِ عَنِ الْخَطَرَاتِ الْمُتَلَقِّيَةِ فِي الْعَتَبِ.

وَقَدْ نَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى^(٥) ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ أَلْسَمَعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ

أُولَتِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْعُورًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وَيُقَالُ: الْإِسْتِقَامَةُ فِي الْأَقْوَالِ بَتْرَكِ الْغَيْبَةِ، وَفِي الْأَفْعَالِ بِنَفْيِ الْبِدْعَةِ، وَفِي

الْأَعْمَالِ بِنَفْيِ الْفِتْرَةِ، وَفِي الْأَحْوَالِ بِنَفْيِ الْحِجَّةِ^(٦).

(١) انظر: سنن ابن ماجه، ٢٧٧؛ وموطأ مالك، ٦٦؛ وسنن البيهقي الكبرى، ٣٨٩؛ والمستدرک علی الصحیحین، ٤٤٧.

(٢) ع، س: وبهاء.

(٣) انظر: شعب الإيمان، ٨؛ والفردوس بمأثور الخطاب، ٧٧٩٣؛ ومسند الشهاب، ٨٨٧؛ والترغيب والترهيب، ٣٨٦٠.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٤١.

(٥) في الأصل، ع: عن، والمثبت من: س.

(٦) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٤٢.

قال سهل بن عبد الله: لا بُدَّ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ خَمْسِ خِصَالٍ: أَكْلِ الْحَلَالِ، وَحِفْظِ الْجَوَارِحِ، وَأَدَاءِ حُقُوقِ اللَّهِ، وَالِاسْتِقَامَةِ، وَالْعِصْمَةِ. وقال الشَّيْبِيُّ: **الِاسْتِقَامَةُ أَنْ يَشْهَدَ الْوَقْتُ قِيَامَهُ** (١).

٣ **قُلْتُ: | وَقَعَ لِي فِي وَقْتٍ أَنْ قُلْتُ لِبَعْضِ مَنْ تَكَلَّمْتُ مَعَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذِكْرِ**
ظهور الكرامات لأهل الولايات: تمام الكرامة دوام الاستقامة، فمن أنعم الله عليه بها فقد فاز في الحال والمآل، وحاز ما تفرق من حميد الخلال، ومن لم يكن منها له شرب فعمله غير معدود، وأمله غير منجح في أمر هو له مقصود. فالاستقامة هي سلم السلامة من الملامة، ومُنْتَهَى الكرامة في دار المقامة. والله أعلم.

السادس

الخلق

١٢ قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، قيل: تفسيرُ «خُلُقِهِ الْعَظِيمِ» قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وقد تقدّم الكلامُ فيما مضى فيه (٢)، وأن هذه الآية، مع قوله في الحديث: «صِلْ مَنْ قَطَعَكَ»، كافيةٌ لِمَنْ عَمِلَ عَلَى ذَلِكَ.

١٥ عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»، قال: وأظنُّه قال: «والمجاهد في سبيل الله» (٣).

١٨ وعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله أنه قال: «إِنَّ هَذَا دِينَ | ارْتَضَيْتَهُ لِنَفْسِي لَنْ يَصْلَحَهُ إِلَّا السَّخَاءُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ، فَأَكْرَمُوهُ مَهْمَا صَحِبْتُمُوهُ» (٤).

٩٧ظ

(١) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٤٢.

(٢) انظر: فيما سبق ٢٢٢، و٢٣٧.

(٣) انظر: المعجم الأوسط، ٦٢٨٣؛ والفردوس بمأثور الخطاب، ٧٤٣.

(٤) انظر: المعجم الأوسط، ٨٩٢٠؛ وشعب الإيمان، ١٠٨٦٦؛ والفردوس بمأثور الخطاب، ٤٤٨١؛ ومسنَد الشهاب، ١٤١٦؛ والترغيب والترهيب، ٤٠١٨.

وعن أبي سعيد الخُدري قال: قال رسول الله ﷺ: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخلُ وسوءُ الخلق»^(١).

- ٣ حُسْنُ الخُلُقِ مَدْعَاةٌ إِلَى وجودِ الزيادةِ مِنْ أسبابِ السعادةِ، مَمْنَاةٌ لمقصودِ الإفادةِ مِنْ ثمراتِ الأعمالِ عَنِ الولادةِ^(٢). رَوَيْنَا عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ إِيمَانًا؟ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(٣).
- ٦ وَسُئِلَ الحَسَنُ عَنْ حُسْنِ الخُلُقِ، قَالَ: الكَرَمُ والبَذَلُ والإِحْتِمَالُ. وقِيلَ فِي تفسیره: كَفَّ الأَذَى واحْتِمَالُ المُوْنِ^(٤). وقِيلَ: اجْعَلْ باطنَكَ لِلَّهِ وظاهرَكَ للخُلُقِ، وَأَعِزَّ أَمْرَ اللَّهِ يُعِزِّكَ اللَّهُ.

- ٩ وقال الحارثُ بنُ أسدِ المحاسبِ: ثلاثةُ أشياءَ عَزِيزَةٌ أو مَعْدومَةٌ: حُسْنُ الوجهِ مَعَ الصَّيَانَةِ، *وَحُسْنُ الخُلُقِ مَعَ الدِّيَانَةِ*^(٥)، وَحُسْنُ الإِحْياءِ مَعَ الأَمَانَةِ^(٦).
وقال *أبو بكرٍ*^(٧) الكَتَّانِي: التَّصَوُّفُ خُلُقٌ، فَمَنْ زادَ عَلَيْكَ *فِي الخُلُقِ*^(٨) زادَ عَلَيْكَ فِي التَّصَوُّفِ^(٩).

١٢

قَلْتُ: يَجْمَعُ الخُلُقُ الحَسَنُ هذِهِ الكَلِمَاتِ: حَمَلَ العَدَى، وَبَذَلَ التَّدَى، وَكَفَّ الأَذَى^(١٠)، وَوَصَفَ الهُدَى. فَمَنْ لم يَحْتَمِلْ ما آذَى | مِنَ المَقَالِ لم يَصِلْ^(١١) إِلَى

٩٨ و

(١) انظر: سنن الترمذي، ١٩٦٢؛ ومسنند الطيالسي، ٢٢٠٨؛ ومسنند أبي يعلى، ١٣٢٨؛ ومسنند عبد بن حميد، ٩٩٦؛ وشعب الإيمان، ١٠٨٣٠؛ ومسنند الشهاب، ٣١٩.

(٢) س: الوفاة.

(٣) انظر: سنن ابن ماجه، ٤٢٥٩؛ والمعجم الأوسط، ٤٦٧١؛ وشعب الإيمان، ٧٩٩٣؛ والترغيب والترهيب، ٥٠٥٣.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٩٦.

*-٥) الرسالة: حسن القول مع الأمانة. اللمع: حسن الصوت مع الديانة.

(٦) الرسالة واللمع: الوفاء.

*-٧) زيادة من آداب المريدين.

*-٨) الرسالة: بالخلق.

(٩) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٩٥؛ وآداب المريدين، ١١٢.

(١٠) الردى.

(١١) س: يتصل.

- ٣ ما يَرْتَجِيهِ مِنَ الْوِصَالِ. وَمَنْ لَمْ يَبْذُلِ الْمَالَ لَمْ تَصْلُحْ عُقْبَاهُ فِي الْحَالِ وَالْمَالِ. وَمَنْ لَمْ يَمْتَنِعْ عَنِ إِسْرَالِ سَهْمِ الْعِنَادِ لَمْ يَرْتَفِعْ قَدْرُهُ إِلَى الظَّفَرِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمُرَادِ. وَمَنْ لَمْ يَعْتَمِدْ فِي مَقَالِهِ عَلَى نُصْحِ الْعِبَادِ لَمْ يَسْتَنْدِ فِي مَجَالِهِ إِلَى رُكْنِ السَّدَادِ إِلَى الرَّشَادِ.
- ٦ وحاصل الأمر في تحسين الخلق أنه مخالفة للمرات، ومواظبة^(١) للطاعات، ومواصلة للصلاة والمسرات، فمن عانى هذه الحالات دأبى سني الكمال.
- ٩ وفي الحديث: «أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق»^(٢). وحاصل القول أن كمال الإنسانية إنما هو^(٣) بالخلق الحسن، فمن حملة^(٤) الله عليه فقد أنعم الله عليه بآتم المن. وقد قال النبي ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»^(٥)^(٦).
- ١٢ قال شقيق البلخي: أفضل أخلاق المرء أربعة أشياء: أولها الحلم عند الغضب، والثانية السخاء عند القلة، والثالثة الورع في الخلوة، والرابع صدق القول عند من يخاف ويرجى.

السابع الذكر

- ١٥ قال الله تعالى | : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^{٩٨}ظ
[الأحزاب: ٤١]. قال ابن عباس: ليس شيء من الفرائض إلا وله حد ينتهي له إلا ذكر الله وعجل.

(١) ع، س: ومخالفة.

(٢) انظر: مصنف ابن أبي شيبة، ٢٥٨٤٦؛ ومسند عبد بن حميد، ١٥٦٥؛ والمعجم الكبير، ١٧٨.

(٣) في الأصل، ع: هي.

(٤) س: جبهه.

(٥) الأناة: التأني والتثبت وترك العجلة، حتى يستبين الصواب. انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين، ٦٠.

(٦) انظر: سنن ابن ماجه، ٤١٧٨؛ والمعجم الأوسط، ٥٧٢٧؛ والأدب المفرد، ٥٨٥؛ وشعب الإيمان،

٨٤١٠؛ والترغيب والترهيب، ٤٠٦٣.

وقال مُجاهِدٌ: الذِّكْرُ بالقلب، وهو أن لا ينسأه بحالٍ. وقال السُّدِّيُّ: باللسان. وقال الله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]. قيل: الذِّكْرُ الكثيرُ هو ذِكْرُ اللَّهِ على كلِّ حالٍ. قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]، وهو من جملة الواجبات التي لا زمان ولا مكان ولا طهارة تُشترطُ فيها^(١).

وسئل ابن عباس: أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «ذِكْرُ اللَّهِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ». الذِّكْرُ رفيقُ السالكين، وطريقُ المتوجِّهين، ويقظةُ الغافلين، وأنسُ المستوحشين، (*وعُدَّةُ المتعدين*^(٢))، وصِلَةُ المنقطعين، وحُجَّةُ الموحِّدين، ورحمةُ على العالمين، ومَنجاةُ للهاكِين، ومرقاةٌ للعاملين. فَمَنْ لَزَمَهُ بِشروطِهِ عندَ أهله أدركَ مِنَ اللَّهِ غايةَ فضلِهِ.

قال الله تعالى مُؤدِّبًا لرسوله ﷺ: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]، (*يعني به لسان الإشارة إذا نسيت*^(٣))، أي تركت ملاحظة غير مولاك في نفسك | وشهودك^(٤) في ذكرك في سرِّك ونجواك، ثم نسيت ذكرك في ذكره، ثم نسيت كلَّ ذكرك في ذكرك الحقِّ إياك. قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

والأحاديثُ الواردةُ في فضلِ الذِّكْرِ كثيرةٌ. رَوَيْنَا عن أنسٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «المجالسُ ثلاثةٌ: سالمٌ وشاحِبٌ وغانمٌ. فأما الغانمُ فالذاكرُ اللَّهَ، وأما السالمُ فالساكتُ، وأما الشاحِبُ فالمتخوِّضُ فيما لا يعنيه»^(٥)، أو كما قال.

(١) ع: فيه.

(*-٢) ع، س: وعمدة المعتدين.

(*-٣) لا يوجد في الأصل، ع، والمثبت من: س

(٤) ع، س: وسواك.

(٥) انظر: صحيح ابن حبان، ٥٨٥؛ ومسنَد أحمد، ١١٧٣٦؛ ومسنَد أبي يعلى، ١٠٦٢؛ وشعب الإيمان، ١٠٨١٥؛ والزهد، لهناد، ١٢٣١؛ والفردوس بمأثور الخطاب، ٦٦٤٩.

- وَرَوَيْنَا عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي، وَخَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ»^(١).
- ٣ وَرَوَيْنَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَعَجَلِي يَقُول: أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَ بِي شَفْتَاهُ»^(٢).
- ٦ وَرَوَيْنَا عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، ولذلك أَنَّهُ قَالَ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]: «فَذِكْرُ اللَّهِ إِيَّاكُمْ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِكُمْ لَهُ».
- ٩ وَرَوَيْنَا عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «حِلَقُ الذِّكْرِ»^(٣).
- ١٢ وَرَوَيْنَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَأَنْ تَلْقَوْا عِدْوَكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟». قَالُوا: وَمَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى»^(٤).
- ١٥ وَرَوَيْنَا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «مَجَالِسُ الذِّكْرِ». قَالَ: «أُعِدُّوا وَرُوحُوا وَادْكُرُوا، مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ^(٥) مَنْزِلَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنَزِّلُ الْعَبْدَ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ»^(٦).

(١) انظر: مصنف ابن أبي شيبة، ٣٤٣٧؛ ومسند أبي يعلى، ٧٣١؛ وشعب الإيمان، ٥٥٤؛ والفردوس بمأثور الخطاب، ٢٩٠٦.

(٢) انظر: مسند أحمد، ١٠٩٨١.

(٣) انظر: سنن الترمذي، ٣٥١٠؛ ومسند أحمد، ١٢٥٤٥؛ ومسند أبي يعلى، ٣٤٣٢؛ وشعب الإيمان، ٥٢٩.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٦٤.

(٥) لا توجد في الأصل، والمثبت من: عد، س.

(٦) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٦٦ - ٤٦٧.

وَرَوَيْنَا مِنْ حَدِيثِ نُبَيْطِ بْنِ شَرِيطٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الذِّكْرُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ فَأَدُّوا شُكْرَهَا»^(١).

١٠٠ و

٣ | وَرَوَيْنَا ^(*)عَنْ أَنَسٍ ^(٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ أَجْلِسَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ غَدْوَةٍ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»^(٣).

وَرَوَيْنَا عَنْ مَعَاذٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ اللَّهِ ﷻ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَمَلٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَلَا أَنْجَى لِلْعَبْدِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٤).

وَرُوِيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ عَجَزَ [مِنْكُمْ] ^(٥)عَنِ اللَّيْلِ أَنْ يُكَابِدَهُ، وَجَبْنَ عَنِ الْعُدُوِّ أَنْ يُجَاهِدَهُ، وَبِخَلَ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ»^(٦).

وَرُوِيَ أَنَّ مُوسَى ^(٧)عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «يَا رَبِّ، مَا عِلْمَةٌ رِضَاكَ؟ قَالَ: ذِكْرُكَ يَا ابْنَ عِمْرَانَ»^(٨).

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ^(٩)عَلَيْهِ السَّلَامُ: «عَلَيْكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﷻ، فَإِنَّهُ شِفَاءٌ، وَإِيَّاكُمْ وَذِكْرَ النَّاسِ، فَإِنَّهُ دَاءٌ»^(١٠). وَقَالَ الْحَسَنُ: أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ أَكْثَرُهُمْ لَهُ ذِكْرًا، وَأَتْقَاهُمْ قَلْبًا^(١١).

١٥

(١) انظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ١٧٤٩.

(٢*)-٢*) مطموسة في الأصل نتيجة تفشي الأخبار. والمثبت من: ع، س.

(٣) انظر: السنن الكبرى، ١٦٣٨٠؛ ومسنند أبي يعلى، ٤١٢٥؛ ومسنند الطيالسي، ٢٢١٨.

(٤) انظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ١٨٣٦؛ وشعب الإيمان، ٥١٧.

(٥) زيادة من المصادر.

(٦) انظر: المعجم الكبير، ٧٧٩٥؛ وكنز العمال، ١٨٥٣، و١٨٥٤؛ ومسنند البرّار، ٤٩٠٤؛ ومسنند عبد بن حميد، ٦٤١؛ وشعب الإيمان، ٥٠٥.

(٧) انظر: شعب الإيمان، ٧٣٩٢؛ وكنز العمال، ٣٠٨٠٣.

(٨) انظر: كنز العمال، ٣٩٢٢؛ والزهد، لهناد، ١١١٠.

(٩) انظر: جامع العلوم والحكم، ٤٤٥.

فالذكرُ مبدأُ الغاية^(١)، ومُنْتَهَى الرعاية، يُحْبَطُ الأوزارَ، ويُهْبَطُ الأنوارَ،
| وَيُحَسِّنُ الآثارَ، وَيُمْكِّنُ الأوطارَ.

١٠٠ظ

٣ وله أربع رُتَبٍ: ذِكْرٌ عِنْدَ الأَمْرِ والنهي، وَذِكْرٌ باللسانِ، وَذِكْرٌ بالقلبِ،
وَذِكْرٌ بالرُّوحِ.

٦ فَإِنَّ حَصَلَ المجموعُ قامتْ أركانُ الذِّكْرِ، واستقرَّ البناءُ على الأساسِ،
واستمرَّ البقاءُ على الأمنِ مِنْ مُخالفةِ الوَسْوَاسِ.

٩ قال الجُنَيْدُ: سألتُ السَّرِيَّ يوماً عن سُؤالٍ، فقال: كُنْ مِنَ الناسِ الذين
ذَكَرُوا اللهَ بالقلوبِ، واعلمْ أَنَّ اللهَ عِبَادًا عَقَلُوا، فَلَمَّا عَقَلُوا عِلْمُوا، فَلَمَّا عِلْمُوا
عَمِلُوا، فَلَمَّا عَمِلُوا أَخْلَصُوا؛ فاستدعاهمُ الإخلاصُ إلى أبوابِ البرِّ أجمع^(٢).

١٢ وقال أبو سعيدِ الخَرَّازُ: الذِّكْرُ على ثلاثةِ أوجهٍ: باللسانِ والقلبِ غافلٌ،
فذلك ذِكْرُ العادةِ، وَذِكْرٌ باللسانِ والقلبِ حاضرٌ، فذلك ذِكْرٌ طلبِ الثوابِ،
وَذِكْرٌ بملءِ القلبِ وبكلِّ اللسانِ، فلا يَعْلَمُ قَدْرَهُ إِلَّا اللهُ وَعَجَلٌ.

١٠١ وقال أبو عليِّ الرُّوذِبَارِيُّ: الأذكارُ على ثلاثةِ | أوجهٍ: ذِكْرٌ باللسانِ ثوابه عشرةٌ،
وَحَقِيقَةُ الذِّكْرِ عندَ أهلِ اللسانِ: نسيانُ ما سِوَاهُ مِمَّا يَتَشَكَّلُ في الأذهانِ.

١٥ وَذِكْرٌ بالقلبِ ثوابه سبعُ مئةٍ، وَذِكْرٌ بالرُّوحِ ثوابه ما لا يَقَعُ عليه الكيفيَّةُ.
وقال جعفرٌ: مَنْ ذَكَرَ اللهُ فَلْيَذْكُرْ بنسيانِ كُلِّ شيءٍ سِوَاهُ، فَإِنَّ حَقِيقَةَ الذِّكْرِ
أَنْ تَنْسِيَ ما سِوَاهُ.

١٨ وقال أبو عليِّ الدَّقَاقُ: الذِّكْرُ منشورٌ الوِلايَةِ، فَمَنْ وُفِّقَ للذِّكْرِ فقد أُعْطِيَ
المنشورَ، وَمَنْ سَلِبَ الذِّكْرَ فقد عُزِلَ^(٣).

(١) س: العناية.

(٢) انظر: حلية الأولياء، ١٦٢٥؛ وشعب الإيمان، ٩: ٣٧٤.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٦٥.

الطرف الثاني: في بيان المسالك للسالك

وقال بعضهم: ذكّر الله بالقلب سيف المرّيدين، به يُقاتلون أعداءهم،
ويُدفعون^(١) الآفات والفتن^(٢).

وقال ذو النون المصري: مَنْ ذَكَرَ اللهَ ذِكْرًا عَلَى الْحَقِيقَةِ نَسِيَ فِي جَنْبِ ذِكْرِهِ
كُلَّ شَيْءٍ، وَحَفِظَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَكَانَ لَهُ عَوْضًا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ^(٣).
والنظر في الذكر يقع في لفظه، ومكانه، وزمانه، وجهره، وإسارره، وهل
هو أفضل أو تلاوة القرآن؟

الأول: اللفظ الذي اشتهر واستقرّ عليه بين هذه الطائفة قول: «لا إله إلا الله»،
فإنها جامعة بين النفي والإثبات، نفي النقص وإثبات الكمال.

١٠١ اظ

ولا فرق بين | المبتدئ والمنتهي في هذا اللفظ عند طائفة منهم. وأما طائفة
أخرى فإنها فرقت بين المبتدئ والمنتهي. فالمبتدئ يعتمد على ما تقدم. وأما
المنتهي فذكره: «الله الله»؛ لأنه قد تحقّق وتخلّق، وانتفت عنه النقائص، فلم
يَبْقَ لَهُ إِلَّا التَّعَلُّقُ بِاسْمِ الْمَذْكُورِ، وَهُوَ: «الله». ولأجل ذلك قال الله تعالى لرسوله
ﷺ: ﴿قُلِ اللهُ تَمَّ ذَرْهَمٌ﴾ [الأنعام: ٩١].

روينا من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا
يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ اللهُ»^(٤).

قلت: هذا الاسم اسم شريف، جامع لما يُراد من معنى التوحيد. ^(*) فالدالُّ
به* ^(٥) مُسْتَمَدٌّ مِنْ مَعْدِنِ الْمَزِيدِ.

وقد اعترض على هذا الذكر بأنه غير واف بالمقصود، فإن قوله: «الله» اسم،
والإسم لا بد له من خبر عنه بنفي أو إثبات، ولم يوجد، فلا يعدُّ قائله ذاكرًا.

(١) ع، س، الرسالة: وبه يدفعون.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٦٥ - ٤٦٦.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٦٦.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٦٥.

(٥*-*) ع، س: فالذاكر له.

- والجواب: أن المذكور معلوم في الذهن، مُستقَرُّ حُضُورُهُ عند الذاكر، فكأنه قال: المذكور: الله، فيكون خبرٌ مُبتدأٌ (مُحذوفٍ، أو «الله» المذكورُ مبتدأً*)^(١)
- ٣ أو الخبرُ مَحذوفٌ؛ لِلعلم به، أو يكون مفعولاً منصوباً | بفعلٍ مُضمرٍ، [و] التقديرُ: «أعظمُ الله»، أو «أذكرُ الله». فثبتَ صحَّةُ الذِّكْرِ واستقامتُه وعَظْمَةُ المذكورِ في الصُّدُورِ وَجَلالَتُهُ.
- ٦ الثاني: في مكانه، فينبغي أن يكون المكانُ مُنزَهاً عنِ القاذوراتِ الحِسِّيَّةِ: كالمَجزرة، والمَزبلة والكُنف^(٢)، والمعنويَّة: كالبيعِ والكنائسِ وبيتِ النارِ، فإنه من جُملةِ التعظيمِ لهذا الأمرِ الكريمِ. وأما ما سِوى ذلك من الأمكنةِ فإنَّ الحالَ
- ٩ يختلفُ في قصدِها^(٣) بحسبِ ما يُقصدُ منها. فالمساجدُ أفضلُ الأمكنةِ، ويليهما الرُّبُطُ والمدارسُ، فإنها بُنيتْ لأمرٍ فيه قُرْبَةٌ، فَتَحَصَّصَتْ.
- ١٢ وأما الأمكنةُ المباحُ الترددُ فيها، كالأسواقِ والدُّورِ المملوكةِ، فالحالُ^(٤) يَختلفُ فيها باختلافِ المقاصدِ. على أن المساجدَ أشرفُ منها؛ فقد وردَ عن النبي ﷺ: «خيرُ البقاعِ المساجدُ، وشرُّها الأسواقُ»^(٥).
- ١٥ وورد: «من دخلَ سُوفاً وقال: لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، كُتِبَ له ألفُ حَسَنَةٍ، ومُحِي عنه ألفُ سيئةٍ».
- ١٨ وأما | الذي اختاره أهلُ هذه الطريقِ فهو أن يُعيَّنَ لنفسِه مكاناً يَختلي فيه ١٠٢ ظ في بيته أو رباطه أو مسجده، ويشغلَ بالذكرِ الذي يَطلبُه^(٦)؛ لِمَا فيه من جَمعٍ لِحاطِرِه، وتوفيرِ فكرِه عن التبدُّدِ.

(*)-١ لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٢) س: الكنيف.

(٣) س: فضلها.

(٤) في الأصل: والحال، والمثبت من: ع، س.

(٥) انظر: صحيح ابن حبان، ١٥٩٩؛ والمعجم الأوسط، ٧١٤٠؛ وكنز العمال، ٢٠٧٢٠.

(٦) س: يقصده.

الثالث: في زمانه: ليس للذكر زمن معين، وهذا من خصائصه^(*) المتميزة عن^(١) غيره من العادات^(٢)، فليس من وقت إلا والعبد مأمور فيه بذكر الله، إما وجوباً^(٣) وإما ندباً،^(*) والصلاة - مع شرفها - تُكره في بعض الأوقات^(*). ٣

روينا عن عبد الله بن بشر أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني عن شيء أتشبّث به. قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»^(٥). ٦

وجاء في رواية أخرى عن عبد الله بن بشر المازني صاحب رسول الله ﷺ قال: أتى أعرابيان إلى النبي ﷺ، فقال أحدهما: أيُّ الناس خير؟ قال: «طوبى لمن طال عمره وحسن عمله». وقال الآخر: أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله وعجل»^(٦). ٩

١٠٣

وأما الذكر الذي في القلب، فمستدام في جميع الأوقات. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]. قال الإمام أبو بكر بن فورك: قياماً بحق الذكر، وقعوداً عن الدعوى فيه^(٧). ١٢

وروينا عن بلال بن سعد قال: الذكر ذكران، فذكر الله باللسان،^(*) فذاك ذكر^(٨) حسن، وذكر عند الطاعة والمعصية، فذاك أفضل^(٩). ١٥

(*)-١*) س: التمييز بها على.

(٢) ع: العبادات.

(٣) الرسالة: فرضاً.

(*)-٤*) الرسالة: والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز في بعض الأوقات.

(٥) انظر: سنن الترمذي، ٣٣٧٥؛ والسنن الكبرى، ٦٧٦٤؛ وسنن ابن ماجه، ٣٧٩٣.

(٦) انظر: الآحاد والثاني، ١٣٥٦؛ ومسند ابن الجعد، ٣٤٣١.

(٧) انظر: الأحكام، لابن العربي، ١: ٣٩٨.

(*)-٨*) الشعب: كل ذكر.

(٩) انظر: شعب الإيمان، ٦٧٥.

وقال عليُّ بنُ سهل بن الأزهر الأصبهاني: الغافلون يعيشون في حلمِ الله، والذاكرون [يعيشون]^(١) في رحمةِ الله، والعارفون [يعيشون في لطفِ الله، والصادقون يعيشون]^(٢) في قُربِ الله، والمحبُّون [يعيشون]^(٣) في الأنسِ بالله والشوقِ إليه^(٤).

قلت: إن الله سبحانه قد عَيَّنَ * وقتين لذكره*^(٥) في كتابه، فقال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧].

وورد عنه عليه السلام من حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يقول الله عز وجل: يا ابن آدم، اذكرني من أولِ النهار ساعةً، ومن آخرِ النهار ساعةً، أغفرُ لك ما بين ذلك إلا الكبائر، أو تتوبَ منها»^(٦).

فاختار أهلُ الطريقِ بعدَ الصُّبحِ وبعدَ العصرِ الذِّكْرَ، ابتغاءً^(٧) لها | وردَ من ١٠٣ الكتابِ والسُّنَّةِ في ذلك. والله الموقِّع.

الرابع: الجهرُ والسُّرُّ في الذِّكْرِ: الجهرُ في الأذكارِ مانعٌ من استيلاءِ الافتكارِ^(٨)، قاطعٌ عن استعلاءِ الأعدارِ، فلاجلِ ذلك اعتمده الشيوخُ في ابتداءِ الأمرِ للسالكين، فهم يحافظون عليه ويواظبون على الدعاءِ إليه. وأيهما أفضل؟
روينا عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يُفْضَلُ - أو يُضَاعَفُ - الذِّكْرُ الخفيُّ الذي لا تسمعه الحَفَظَةُ على الذي تسمعه سَبْعِينَ ضِعْفًا»^(٩).

(١) زيادة من الشعب.

(٢) زيادة من الشعب.

(٣) زيادة من الشعب.

(٤) انظر: شعب الإيمان، ٤٥٤.

(٥)*- (٥) لا يوجد في الأصل، والمنتب من: ع، س.

(٦) انظر: مشيخة ابن شاذان الصغرى، ١٥.

(٧) س: اتباعًا.

(٨) س: الأفكار.

(٩) كنز العمال، ١٩٢٩.

ورَوَيْنَا عَنْ حَمَادِ الْمَكِّي أَنَّهُ قَالَ: الذِّكْرُ الْخَفِيُّ الَّذِي تُحْصِيهِ الْمَلَائِكَةُ يُضَاعَفُ سَبْعِينَ ضِعْفًا عَلَى ذِكْرِ الْعَلَانِيَةِ، وَهُوَ ذِكْرُ الْعَبْدِ فِي قَلْبِهِ^(١).

٣ ورَوَيْنَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِ بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»^(٢). مَتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ. ١٠٤

وَذَكَرَ اللَّهُ الْعَبْدَ فِي نَفْسِهِ أَعْظَمُ مِنْ ذِكْرِهِ بَيْنَ مَلَائِكَتِهِ.

قُلْتُ: وَمَعْنَاهُ الْمَقَابَلَةُ لِفِعْلِ الْعَبْدِ بِالْإِحْفَاءِ وَالْإِظْهَارِ، وَالثَوَابُ الْمُرْتَبُ عَلَيْهِمَا عَلَى قَدْرِ فَضْلِ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ: «خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ»^(٣). فَالَّذِي يَقْتَضِيهِ ظَاهِرُ الدَّلِيلِ، وَيَرْضِيهِ أَهْلُ التَّحْصِيلِ: أَنَّ الذِّكْرَ إِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ بِهِ الْإِقْتِدَاءَ وَطَرْدَ الْوَسْوَاسِ، فَالْجَهْرُ أَفْضَلُ، وَإِنْ كَانَ الذَّاكِرُ قَدْ اسْتَغْنَى عَنْ ذَلِكَ فَالسِّرُّ أَفْضَلُ.

الخامس: هل الذِّكْرُ أَفْضَلُ أَوْ التَّلَاوَةُ؟

٩ قال قوم: الذِّكْرُ أَفْضَلُ؛ لِأَنَّهُ إِفْرَادُ الْمَذْكَورِ بِصِفَةِ التَّوْحِيدِ، بِخِلَافِ التَّلَاوَةِ؛ فَإِنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْقَصَصِ وَالْأَحْكَامِ.

١٥ وقال آخَرُونَ: التَّلَاوَةُ أَفْضَلُ؛ لِأَنَّهَا كَلَامُ اللَّهِ، وَكَلَامُ اللَّهِ قَدِيمٌ، وَالْقَدِيمُ أَشْرَفُ مِنَ الْمُحَدَّثِ.

١٨ وقال آخَرُونَ: إِنْ كَانَتِ التَّلَاوَةُ فِي صَلَاةٍ فَهِيَ أَفْضَلُ مِنَ الذِّكْرِ؛ لِأَنَّهَا أَشْرَفُ مِنَ الْمُحَدَّثِ. ١٠٤ ظ

(١) في البيهقي عن عائشة عن حماد المكي أنه قال: ذَكَرَ الْقَلْبُ يُضَاعَفُ بِسَبْعِينَ ضِعْفًا عَلَى ذِكْرِ اللِّسَانِ. وَقَالَ: عَدَدُ الذِّكْرِ الَّذِي لَا تَسْمَعُهُ الْحَفِظَةُ يَزِيدُ عَلَى الذِّكْرِ الَّذِي تَسْمَعُهُ بِسَبْعِينَ ضِعْفًا.

(٢) انظر: سنن الترمذي، ٣٦٠٣؛ وسنن ابن ماجه، ٣٨٢١؛ ومسند أبي يعلى، ٣١٨١؛ ومسند البيهقي، ٧١٢٩؛ وصحيح ابن حبان، ٣٧٦؛ والمعجم الأوسط، ١٧١٤؛ والمعجم الكبير، ٦١٤١.

(٣) انظر فيما تقدم.

الصلاة فالذكر أفضل؛ لما فيه من أفراد المذكور وجمع الهمم والخاطر فيه، وبه
(*الذكر أفضل*)^(١).

٣ قلت: والذي يظهر لي أنّ في حال ابتداء السلوك الذكر أفضل، وفي حال
الإنتهاء التلاوة بالتدبير أفضل؛ لأنّ في حال الإبتداء الفكر متوزّع^(٢)، فالذكر
يجمع، وفي حال الإنتهاء الفكر مجتمع، فالتلاوة^(٣) ينتفع.

٦ واختلّفوا في الفكر والذكر: أيّهما أتم؟. فقال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي:
الذكر أتم؛ لأنّ الحقّ سبحانه يُوصفُ به^(٤)، [ولا يُوصفُ بالفكر]^(٥)، وما
يُوصفُ^(٦) به الحقّ أتمّ ممّا يختصُّ^(٧) به الخلق، *فوافقهُ على ذلك الشيخ أبو عليّ
الدقاق^(٨)*.

١٢ واعلم أنّ جماعة ممن انتموا^(٩) إلى الفقراء جعلوا الذكر لهم مأكلةً يتمعشون
به على الجنائز، ويحصلون به^(١٠) ما تسنى من الجوائز، وذلك من الفعل المبعد
عن تحصيل المفاز وقطع المفاوز، كما جعل القرآن مأكلةً من يتلوه جهراً في
| الطرُق والمساجد والأسواق، وذلك من أفبح الأخلاق في ذوي الإملاق،
وهو مشوبٌ بالرياء والنفاق، فليبعد عنه من له رغبة في الوفاق، ورهبة من
الشقاق.

١٠٥ و

(١*-*) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: س.

(٢) ع: متنوع.

(٣) في الأصل، ع: فالتلاوة، والمثبت من: س.

(٤) الرسالة: بالذكر.

(٥) زيادة من الرسالة.

(٦) الرسالة: وصف.

(٧) الرسالة: اختص.

(٨*-*) الرسالة: فاستحسنه الأستاذ أبو علي رحمه الله.

(٩) في الأصل، ع، س: انتمى. والمثبت من المحقق.

(١٠) ع، س: بسببه.

الثامن

السَّمَاع

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ^ط﴾ [الأنفال: ٢٣]،
 وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ^ع﴾
 [الزمر: ١٧-١٨].

٦ فتعريفُ القولِ إمَّا للعهدِ، أي القولُ المسموعُ مِنَ الرسولِ، وهو الكتابُ
 والسُّنَّةُ، أو لِيلاستغراقِ، وهو القولُ المشرووعُ سماعه، وهو أوْلَى؛ لأنَّه أكبرُ
 فائدةً. وقوله: ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ^ع﴾: إنَّ كان القرآنُ فيكونُ المعنى: فَيَتَّبِعُونَ
 ٩ الأشقَّ على النفسِ من أحكامِه. وقيل: المرادُ بالأحسنِ: الحَسَنُ، كما في قوله
 تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ^ع﴾ [الروم: ٢٧]، وإنَّ كان كُلُّ قولٍ، فيستمعُ ما
 هو الأوْلَى بالإستماع.

١٢ قال ابنُ عباسٍ: هو الرجلُ يسمعُ الحَسَنَ والقبيحَ^(١)، فيتحدَّثُ بالحَسَنِ
 ويكفُّ عن القبيحِ^(٢) فلا يتحدَّثُ به. وهذا يقتضي حَمَلَ الآيةِ على العُمومِ لِكُلِّ
 قولٍ^(٣)، وهو الأظهُرُ.

١٥ | السَّماعُ واردٌ يَرُدُّ على القلبِ يُرْعِجُه ويُخرِجُه عن طَوْرِ العادةِ إلى سَلْبِ
 الإرادةِ، ويبقى الحُكْمُ للواردِ من قَبْضِ، أو بَسْطِ، أو حُزْنِ أو سُرورِ.
 فتارةً يَرُدُّ بسببِ مِن خارجٍ، كالصوتِ الحَسَنِ؛ لِمَا فيه مِنَ الجَمعِ، وتارةً
 يَرُدُّ بغيرِ سببٍ.

١٨ وإنكارُ^(٤) وُجودِه في النفسِ مُمتنعٌ في الحِسِّ، وإنَّما اختلفَ أهلُ العِلْمِ في جوازِ
 استعمالِ الآلاتِ المُعدَّةِ له، كالطارِ المُجَلْجَلِ والشبَّابةِ والأوتارِ ... وغير ذلك.

(١) س: القبيح.

(٢) س: القبيح.

(٣) في الأصل: آية، والمثبت من: ع، س.

(٤) س: وإن كان.

فَمَنَعَهُ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ، وَأَبَاحَهُ آخَرُونَ، فَأَكْثَرُ عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَى إِبَاحَتِهِ بِالْأَلَاتِ وَغَيْرِهَا. وَفَرَّقَ آخَرُونَ بَيْنَ الْأُوتَارِ وَالْقَصَبِ، فَمَنَعُوا الْأُوتَارَ وَأَبَاحُوا الْقَصَبَ. ٣

وَأَكْثَرُ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ عَلَى مَنَعِهِ إِذَا كَانَ عَلَى الْوَضْعِ الْمَأْلُوفِ مِنْ اجْتِمَاعِ الشَّبَابِ وَالْعَوَامِّ، وَوُجُودِ الْغَفْلَةِ فِي الْمُسْتَمْعِينَ، وَإِحْضَارِ الشَّبَابَةِ وَالطَّارِ الْمَجْلِجِلِ.

٦ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَمَعَ غِنَاءَ الْجَارِيَتَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمَا. وَصَحَّ أَنَّهُ قَالَ لِأَنْجِشَةَ: «يَا أَنْجِشَةُ، رُؤَيْدُكَ، أَرِيقًا بِالْقَوَارِيرِ»^(١). ١٠٦ و
وَأُنْشِدَتْ الْأَشْعَارُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَفِيهَا الْغَزْلُ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ اسْتِمَاعِ الشُّعْرِ بِالْأَلْحَانِ. ٩

والذي عليه أهل الطريق - وهو الصحيح - أن الحال يختلف في السامعين، فيكرهه لقوم، وهم من استمع بنفسه وشهواته، ويستحب لآخرين، وهم من استمع بقلبه ورؤوحه، ولو تتبعنا ما قيل في السماع أطلنا. ١٢

قال سهل بن عبد الله: السماع علم استأثر الله به، لا يعلمه إلا هو^(٢). وقال الجنيدي: (*إذا رأيت المرید يحب السماع*^(٣)) فاعلم أن فيه بقیة من البطالة^(٤).

١٥ قلت: أما السماع من حيث إنه^(٥) خشوع واستبشار، وذل وانكسار، وقبض وانبساط، وأنس وهيبة، وجلال وجمال، وتجل واستتار، يرد على القلب الحاضر مع الله، فلا ينكره إلا جاهل بنفسه وباللّه.

(١) انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول، ١٢: ١٤٧.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية، ٦٤٩.

(*)- (٣) آداب المريدين: كل مرید رأته يميل إلى السماع.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ٦٤٩، وآداب المريدين، ١٥٦.

(٥) ع، س: هو.

وأما السماعُ من حيث هو^(١) مُكالمَةٌ ومُحادثةٌ ومُشاهدةٌ، فمَخصوصٌ بِخَوَاصِّ المُستغَلينَ بالله. وأما السماعُ بالطبعِ والميلِ إلى الأَلحانِ، فَلِلْعَوَامِّ المغمورينَ بطلبِ الحُظوظِ، الشاغِلِ لهم عن الله.

٣

فمِن أَجْلِ ذلكِ اختلفتِ المراتبُ فيه | إلى: سَماعٍ بالنفسِ، وسماعٍ بالقلبِ، وسماعٍ بالروحِ.

١٠٦ ظ

فالأوَّلُ لأربابِ القلوبِ، والثاني لأربابِ الأرواحِ، والثالث لأربابِ النفوسِ. وهو ينقسم إلى ثلاثة أنواعٍ: سماعٌ بالعلمِ، وهو إعطاءُ الزيادةِ في الفهمِ، وسماعٌ بالحالِ، وهو مُوافقةُ القولِ لحالِ المُستمعِ، وسماعٌ بالحقِّ، وهو تثبيتُ المعرفةِ وتحقيقتها. ومَن لم يُدركِ التمييزَ^(٢) بين المراتبِ وَقَعَ في المتاعبِ^(٣) والمعاطبِ، والغَلَطُ في العلمِ بالتفرقةِ واقعٌ، والخطأُ في ذلكِ غالبٌ، ولا سببًا مِمَّنْ بجهله عن الطريقِ ضائعٌ.

وَسُئِلَ ذُو النُّونِ المِصرِيُّ عن السماعِ، قال: وَأَرِدُ حَقَّ يُرْعِجُ القلوبَ إلى الحَقِّ، فَمَنْ أَصغَى^(٤) إليه بِحَقِّ تَحَقُّقٍ، وَمَنْ أَصغَى إليه بِنَفْسٍ^(٥) تَزْدَقُ^(٦).

وَحُكِيَ عَنِ الجُنَيْدِ أَنَّهُ قال: [مَنْ سَمِعَ^(٧) السماعَ يَحْتَاجُ إلى ثلاثةِ أَشياءَ، وإِلَّا فلا يَسْمَعُ. قيل له: وما تلكَ الثلاثةُ؟ قال^(٨): المِكانُ والزمانُ والإِخوانُ^(٩).

١٥

(١) لا توجد في الأصل، والمثبت من: عد، س.

(٢) في الأصل: التمييز، والمثبت من: عد، س.

(٣) س: المعاتب.

(٤) آداب المريدين: أضحى.

(٥) آداب المريدين: بنفسه.

(٦) انظر: اللمع في التصوّف، ٢٧١؛ والرسالة القشيرية، ٦٤٤.

(٦) زيادة من اللمع.

(٧) زيادة من اللمع.

(٩) انظر: اللمع في التصوّف، ٢٧٢؛ والرسالة القشيرية، ٦٤٥.

- ٣ وسئل رُوَيْمٌ عن وجود^(١) الصُّوفِيَّةِ عند السماع، فقال: يَشْهَدُونَ^(٢) المعاني التي
تَعْرُبُ عن غَيْرِهِمْ، فتشيرُ إليهم: (*إِلَيَّ... إِلَيَّ*^(٣))، فَيَتَنَعَّمُونَ بذلك مع^(٤) الفَرَحِ،
ثمَّ يَقَعُ الحِجَابُ |، فيعودُ ذلك الفَرَحُ بُكَاءً، فَمِنْهُمْ مَنْ يُحْرِقُ^(٥) ثِيَابَهُ، ومنهم
مَنْ يَصِيحُ، ومنهم مَنْ يَبْكِي^(٦).
- ٦ قَلْتُ: الكلامُ في السماعِ يكثرُ وَيَطُولُ، فالأوَّلَى بنا أنْ نقتصرَ فيما نقولُ. وبه
تمَّ الكلامُ في السماعِ.

التاسع

الأنس

- ٩ قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَرِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [مريم: ٤٨].
أثنى اللهُ على إبراهيمَ عليه السلام بالرسالة، وحاكى قوله لِيَقَعَ التَّأْسِي بِهِ والتَّأْدُبُ بأدبه،
فالأنسُ بالله ثَمْرَةُ الصُّدْقِ فِي المَعَامَلَةِ، والتَّثَبُّتِ عِنْدَ المُنَازَلَةِ، وهو متولِّدٌ عن تَمَكُّنِ
الشُّرُورِ، وتيقُّنِ البُشْرَى بالقُربِ والحضورِ، فَمَنْ حَصَلَ فِي مَقَامِ الأنسِ استوحشَ
١٢ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى مِنَ الجِنِّ وَالإنسِ، ودعا ذلك إلى الخُلُوةِ والعُزلةِ والإسْتِحْشَاشِ
مِنَ الخَلْقِ، وقد تقدَّم الحديثُ: «مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبِيرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا»^(٧).
١٥ وروينا من حديثِ ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال له: «يا غُلامُ، أَلَا أَعْلَمُكَ
كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ؟». قلتُ: بلى يا رسولَ اللهِ، قال: «احْفَظِ اللهُ يَحْفَظُكَ،
احْفَظِ اللهُ تَحِجَّهُ أَمَامَكَ. | تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرِّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ، وإذا

(١) أي عمَّا يجدونه. انظر: الرسالة القشيرية، هامش ١، ٦٤٦.

(٢) عوارف المعارف: يتنبهون.

(*-٣*) لا يوجد في العوارف.

(٤) في الأصل: من، والمثبت من: ع، س.

(٥) الرسالة: يخرق. عوارف المعارف: يمزق.

(٦) انظر: الرسالة القشيرية، ٦٤٦؛ وعوارف المعارف، ١: ١٩٦.

(٧) انظر فيما تقدم.

سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جف القلم بما هو كائن، فلو أن أهل^(١) السموات والأرض جهدوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك؛ لم يقدروا عليه، ولو أنهم جهدوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك؛ لم يقدروا عليه، فاعمل لله باليقين، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا^(٢).

فقوله: «احفظ الله يحفظك» معناه: حافظ على امتثال أمره ونهيه وخشيتك منه يُقابل ذلك الحفظ بحفظه، كما قال تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٩]، فمن وصل إلى القرب حصل الأُنس والحب.

روينا عن الأصمعي أنه قال: مررت بأعرابية في كوخ، فقلت لها^(٣): يا أعرابية^(٤)، من يُؤنسك ههنا؟ قالت: يُؤنسنني الذي يُؤنس الموتى في قبورهم. قلت: فمن أين تأكلين؟ قالت: يُطعمني الذي يُطعم الدودة^(٥) وهي أصغر مني. وقيل لمحمد بن النضر: ما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: «أنا جليس من ذكرني؟!»^(٦).

وقيل | لبعضهم: متى يذوق العبد حلاوة الأُنس؟، فقال: إذا قطع العلائق، ورفص الخلائق، وغاص في الحقائق، مُطلعًا على الدقائق.^{١٥}
قال ذو النون: الأُنس بالله من صفاء القلب مع الله، والتفرد بالله من الإنقطاع من كل شيء سوى الله^(٧).

(١) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٢) انظر: المعجم الكبير، ١١٢٤٣؛ وشعب الإيمان، ١٠٠٠٠؛ ومسند الشهاب، ٧٤٥.

(٣) لا توجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

(٤) في الأصل: عرابية.

(٥) ع، س: الذرة.

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء، ٨: ١٧٥.

(٧) انظر: حلية الأولياء، ٩: ٣٩٤.

وقال شاه الكرمانى: عَلَامَةُ الْأُنْسِ الْإِسْتِحَاشُ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَالشُّكُونُ إِلَى الْوَحْدَةِ، وَمُوَافَقَةُ الْأَجِبَةِ^(١).

٣ قال الحسين بن أحمد الثقفي: كنت يوماً عند الشُّبليِّ، وكان يذمُّ الدنيا

وأهلها، فقال: يا^(٢) مَنْ بَاعَ كُلَّ شَيْءٍ بِلا شَيْءٍ، واشترى لا شيءَ بكلِّ شيءٍ^(٣).

وقال: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ لا يَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ، وَمَنْ اسْتَعَاثَ إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ اللَّهِ

٦ لم يَنْجُ مِنَ اللَّهِ، وَمَنْ اسْتَأْنَسَ مَعَ اللَّهِ اسْتَوْحَشَ مِنَ خَلْقِ اللَّهِ، وَمَنْ اسْتَوْحَشَ

مِنَ خَلْقِ اللَّهِ صَارَ فَرِيداً بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَعَجَلًا.

وقال أبو عثمان: إذا صحَّ للإنسانِ مقامُ الشُّرورِ باللهِ يتولَّدُ من ذلك المقامِ

٩ الأنسُ به. فإذا صحَّ أنسه به استوحشَ من كلِّ شيءٍ سِوَاهِ.

العاشر

العلم

١٢ قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]،

وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، وقد تقدّم الكلامُ

١٠٨ظ

| في العلم بما فيه كفاية^(٤).

١٥ وحاصله يرجع إلى ثلاثة أنواع: نقليٌّ وعقليٌّ^(٥) ولدنيٌّ، فاللدنيُّ^(٦) هو العلمُ

الحاصلُ مِنَ اللَّهِ بِغَيْرِ واسطةٍ تعليمٍ مِنْ خارجٍ، وذلك هو علومُ الرُّسلِ والأنبياءِ

والأصفياءِ مِنَ الأولياءِ.

١٨ وعلومُ الأنبياءِ والأولياءِ تشتركُ في ثلاثة أشياء، أحدها: في العلمِ اللدنيِّ، فلا

يفتقرُ إلى الكسبيِّ.

(١) انظر: شعب الإيمان، ٤٤٦.

(٢) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٣) انظر: صفة الصفة، ٢: ٤٥٧؛ وسير أعلام النبلاء، ١٥: ٢٨٢؛ وطبقات الصوفية، ١: ١٠٢.

(٤) انظر: فيما سبق.

(٥) في الأصل: وعلميٌّ، والمثبت من: ع، س.

(٦) في الأصل: فالذي، والمثبت من: ع، س.

وثانيها: في الفعل بالهمة فيما لا يعانیه غيرهم إلا بالجسم، أو يعجز عنه الجسم. وثالثها: تصوّر عالم الخيال في عالم الحسّ بالمشاهدة، ومدار هذا العلم على الفهم عن الله، وهو نور يقذفه الله في قلب من أحبه واصطفاه، وهو الذي قال ٣ فيه عليٌّ رضي الله عنه لما سئل: هل خصّكم رسول الله صلى الله عليه وآله بشيء؟^(١) قال: «لا، إلا أن يؤتني الله عبداً فهمًا في كتابه».

و درجات الفتح في فهم العلوم متفاوتة بحسب ما يمدد الله العقول به من القوى القابلة لما يلقي إليها من قذف نور العلم على ظلام الجهل، كما قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، | ومن لم تُشرق في قلبه - من ربّه - شمس الهداية من سابق العناية لم يحصل على شيء من لاحق الرعاية.

١٠٩ و

والعلم على ثلاثة أوجه: علم برهان بالأدلة، وعلم عيان بالبصر، وعلم وجدان بالبصيرة.

وهو أيضًا: علم اليقين بالسماع، وعين اليقين بالمشاهدة، وحق اليقين بالذوق. قلت: علم الشريعة على نوعين: علم دراسة، وهو بالكسب، وعلم وراثية، وهو بالموهبة.

فالأوّل يؤخذ من أهل الصدق. والثاني يؤخذ عن الفتى^(٢) للرتق^(٣) من الناطق بالحق، بنور يقذفه الله بقلب^(٤) من ارتضاه من الخلق، ولا غنى بأحدهما عن الآخر، وهما كاللبن والزبد لأهل الوراثة، فلا يؤخذ زبد بدون لبن، ولا وراثة لمن لم يعلم الدراسة، فعلم الدراسة للأبرار، وعلم الوراثة للمقرّبين، وكلٌّ إلى الخير من الواصلين. وهما كالإسلام والإيمان، لا غنى بأحدهما عن الآخر، وقال الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ ٢١ [الفتح: ٤]، فالسكينة للمقرّبين، والإيمان للأبرار، قد علم كل أناس مشربهم.

١٠٩ ظ

(١) لا توجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

(٢) الفتق: الفصل بين متصلين، وهو ضدّ الرتق. انظر: التعريفات، ١: ٥٤٩.

(٣) الرتق: الضم والالتحام. نفسه، ١: ٣٥٥.

(٤) ع، س: في قلب.

القسم الثالث

النهايات

٣ وهي الكمالات، وهي عشرة: القرب، والمعرفة، والمكاشفة، والمحبة، والغيرة، والمشاهدة، والقَبْضُ مع البَسْطِ، والفناء مع البقاء، والتوحيد، والجمع مع التفرقة.

الأول

القرب

- ٩ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].
- ١٢ إحصاء علمه بأمور خلقه على الجملة والتفصيل، وملاطفته لأهل ولايته* بإنبابه كلاءته*^(٢) فمن تقرب إليه بطاعته أقبل عليه بحياته وإعانتته^(٣)، ومن دعاه أجابه ورعاه، فقرب العبد إلى الله انقطاعه إليه بطاعته وعبادته، وقرب الله من العبد توفيقه لحسن معاملته. قال الله تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩]، وفي الحديث: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»^(٤). وقيل: القرب | دُنُوٌّ ١١٠ المحبوب من القلوب.

(١) عد: ضروري.

(٢*)- (٣*) مطموس في الأصل، وغير مقروء في عد، والمثبت من: س.

(٣) عد: واعتناؤه.

(٤) سنن أبي داود، ٨٧٥؛ ومسنند أحمد، ٩٤٦١؛ وصحيح ابن حبان، ١٩٢٨؛ ومسنند أبي يعلى، ٦٦٥٨؛ ومسنند أبي عوانة، ١٨٥٦.

وعلامات القُرب من علام الغيوب: رَفَع الحُجُب عن القلوب بتطهيرها عن العيوب، وقد تقدّم الحديث في الذكر، وفيه^(١): «وإن تقرب مني شبراً تقربت إليه ذراعاً»^(٢).

٣

روينا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا من الدعاء»^(٣).

٦

وروينا عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: قال الله ﷻ: «ما تقرب إليَّ عبدٌ بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه، وما زال يتقرب إليَّ بالتوافل حتى أحبته، فإذا كان ذلك كذلك كنت سمعته الذي يسمع به، وقلبه الذي يعقل به، وبصره الذي يبصر به، إن سألتني أعطيتُه، وإن دعاني أجبتُه، وإن استغفرتني غفرتُ له»^(٤).

وبه تم القول في القُرب.

٩

الثاني

المعرفة

١٢

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]. الفقه والعلم والمعرفة يتقاربون في المعنى، | وإن تفاوتت منهم المراتب.

١٥

إلا أن المعرفة في الاصطلاح بين أهل هذا الشأن: إحاطة بالشيء من جميع وجوهه المحصلة للعلم به على ما هو عليه.

١٨

وهي على ثلاثة أوجه: معرفة الذات، ومعرفة الصفات، (* واستغراق بسلب*^(٥)) الإرادات. وهذا لا يتوصل إلى فهمه بالدلالات.

(١) لا توجد في: س.

(٢) انظر فيما تقدم ص ١٩٠.

(٣) انظر الحديث السابق.

(٤) انظر: المعجم الكبير، ٧٨٣٣؛ والمعجم الأوسط، ٩٣٥٢.

(* - ٥) س: واستغراق بسلب.

ويقال: المعرفة على ضربين: حق، وحقية. فالحق وحدانيته بما أبدى من مصنوعاته من علم أسماؤه وصفاته، وتخلق بها من ارتضاه من خلقه لمناجاته، والحقية يكلُّ اللسان فيها عن عباراته، ولا سبيل للعقول في ذلك إلى الوصول. قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]، وقيل في التفسير: ما عرفوه حق معرفته. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

فإن قيل: قد قال: ﴿وَلَا تُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [محمد: ١٩]، قلنا: الإحاطة به على ما هو عليه مُمتنعة؛ لعجز المحدث عن إدراك القديم^(١)، والعلم بوحدته ممكن. إنه راجع إلى الحق، وذلك يرجع إلى الحقيقة.

قال بعضهم: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا عَرَفَهُ بِقَدْرٍ | تعريفه إليه، ويتجلى له في الآخرة بقدر معرفته إياه في الدنيا، فيراه في الدنيا رؤية الأسرار، ويراه في الآخرة رؤية الأبصار، فمن لا يراه في الدنيا بسرّه لا يراه في الآخرة بعينه. وسئل أبو تراب عن صفة^(٢) العارف، فقال: الذي لا يكدره شيء، ويصفو به كل شيء^(٣).

وقال محمد بن الفضل: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ اِكْتَفَى بِهِ؛ لأنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٦]^(٤).

وقال آخر: العارف يستريح مع الله ولا يستريح من الله، ويخاف من الله ولا يخاف مع الله، ويرجو من الله ولا يرجو مع الله. وقال ذو النون: للعارف ثلاث لحظات: لحظة إلى ربه فيفتخر، ولحظة إلى نفسه فيحتقر، ولحظة إلى ذنبه فيعتذر.

(١) ع: التقديم.

(٢) لا توجد في الأصل، ع، والمثبت من: س، الرسالة.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية، ٦٠٨.

(٤) انظر: طبقات الصوفية، ١٧٤.

وقال يحيى بن معاذ: علامة العارف ثلاثة أشياء: أحب الأعمال إليه ذكرُ الله، وأحبُّ الفوائد إليه ما دلَّ على الله، وأحبُّ الخلق إليه من يدعوه إلى الله عجل.

٣ وقال ابن عطاء: المعرفة موضوعة على ثلاثة أركان: الهيبة، والحياء، والأُنس ١١١ ظ. فالهيبة من مشاهدة العظمة، | والحياء من مشاهدة القدرة، والأُنس من مشاهدة الكرامة، وكلُّ مُلتحقِ بربه مُتقطعٌ عما سواه.

٦ وقال ذو النون: علامة العارف ثلاثة: لا يُطفئ نورَ معرفته نورَ ورعه، ولا يعتقِدُ باطنًا من العلم يُنقِضُ عليه ظاهراً من الحكمة^(١)، ولا تحمله^(٢) كثرةُ نعم الله عليه على هتكِ أستارِ محارمِ الله^(٤). وقال بعضهم: حقُّ لمن أعزه الله بمعرفته أن لا يُذِلَّ نفسه بمعصيته.

٩ رَوَيْنَا عن عائشة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ دِعَامَةَ الْبَيْتِ أَسَاسُهُ، وَدِعَامَةُ الدِّينِ الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ، وَالْيَقِينُ وَالْعَقْلُ الْقَامِعُ». قُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي، مَا الْعَقْلُ الْقَامِعُ؟ قَالَ: «الْكَفُّ عَنِ مَعَاصِي اللَّهِ، وَالْحِرْصُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ»^(٥).

١٢ رَوَيْنَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ مَا هُوَ؟ قَالَ: «مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ»^(٦).

١٥ رَوِي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِكُلِّ شَيْءٍ مَعِدِنٌ، وَمَعِدِنُ التَّقْوَى قُلُوبُ الْعَارِفِينَ»^(٧).

(١) انظر: الرسالة القشيرية، ٦٠٦.

(٢) الرسالة: الحكم.

(٣) في الأصل: تحكمه. والمثبت من: ع، س الرسالة.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ٦٠٩.

(٥) انظر: كنز العمال، ٧٠٤٧.

(٦) انظر: المعجم الأوسط، ٦٢٥٤؛ وسنن ابن ماجه، ٦٥؛ وشعب الإيمان، ١٦.

(٧) المعجم الكبير، ١٣١٨٥؛ وشعب الإيمان، ٤٣٣٠؛ ومسند الشهاب، ١٠٣٣.

- وقال رسول الله ﷺ: «والله إني لأعرفكم بالله، وأشدكم خوفاً منه»^(١).
- وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنْهُ أَحْوَفَ^(٢).
- ٣ وقال النصراباذي: علومُ الحقائقِ ثلاثةٌ: عِلْمُ المَعْرِفَةِ، وَعِلْمُ التَّوْحِيدِ، وَعِلْمُ المَحَبَّةِ. فَتَصْحِيحُ عِلْمِ المَعْرِفَةِ يُورِثُ عِلْمَ التَّوْحِيدِ، وَكَمَالُ عِلْمِ التَّوْحِيدِ يُوجِبُ المَحَبَّةَ. وَمَرَجِعُ هَذِهِ العُلُومِ كُلِّهَا إِلَى التَّوْقِيفَاتِ وَالِاتِّبَاعِ لِلبَراهِينِ، وَليسَ لِلعَقْلِ فِيهِ مَجَالٌ؛ لِأَنَّ العَقْلَ عَاجِزٌ، فَلا يَدُلُّ إِلَّا عَلَى عَاجِزٍ مِثْلِهِ.
- ٦ وقال أبو بكر محمد بن الحسين الحمّامي: أصولُ المَعْرِفَةِ أربَعَةٌ أَشْيَاءٌ: إِحْدَاهُنَّ: المَحَبَّةُ، فَإِذَا لَمْ تَكُنِ المَحَبَّةُ فَيَكُونُ البُغْضُ، وَالبُغْضُ كُفْرٌ. وَالثَّانِي: الخَوْفُ، فَإِذَا لَمْ يَكُنِ الخَوْفُ فَيَكُونُ الأَمْنُ، وَالأَمْنُ كُفْرٌ. وَالثَّالِثُ: الرِّجَاءُ، فَإِذَا لَمْ يَكُنِ الرِّجَاءُ فَيَكُونُ القُتُوبُ، وَالقُتُوبُ كُفْرٌ. | وَالرَّابِعُ: اليَقِينُ، فَإِذَا لَمْ يَكُنِ اليَقِينُ ١١٢ ظ فَيَكُونُ الشُّكُّ، وَالشُّكُّ كُفْرٌ.
- ١٢ قال السُّبُلِيُّ: أَهْلُ المَعْرِفَةِ هُمُ وَحِشُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، لا يَسْتَأْنِسُونَ بِأَحَدٍ. وَقَالَ أبو يَزِيدَ: العَارِفُ طَيَّارٌ، وَالرَّاهِدُ سَيَّارٌ^(٣).
- ١٥ وقال الجُنَيْدُ: العَارِفُ مَن نَطَقَ الحَقُّ عَن سِرِّهِ وَهُوَ سَاكِتٌ^(٤). وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّشْتَرِيِّ: مَا آتَى اللَّهُ عَبْدًا مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَقُرْبِهِ نَصِيبًا إِلَّا أَخْرَجَهُ^(٥) مِنَ الدُّنْيَا بِقَدْرٍ مَا آتَاهُ مِنْهَا، وَلا آتَاهُ مِنَ الدُّنْيَا نَصِيبًا إِلَّا حَرَمَهُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِقَدْرٍ مَا آتَاهُ مِنَ الدُّنْيَا.
- ١٨ وقال فَارِسٌ: العَارِفُ مَن كَانَ عِلْمُهُ لَهُ^(٦)، وَكَانَتْ حَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ. وَسُئِلَ ذُو التُّونِ عَن نِهَايَةِ العَارِفِ، فَقَالَ: إِذَا كَانَ حَيْثُ كَانَ كَمَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ^(٧).

(١) مسند عبد بن حميد، ١٥٠٢؛ ومسند أحمد، ٢٤٩١٢؛ ومسند أبي عوانة، ٢٨٨٠.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٧٩:٢.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية، ٦٠٥. والمقولة منسوبة إلى يحيى بن معاذ في: اللمع في التصوف، ٣٨٥.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ٦٠٧.

(٥) ع، س: حرّمه.

(٦) ع، س: حاله.

(٧) انظر: التعرّف لمذهب التصوف، ١: ١٣٧.

قلت: يعني أن يشهد الله وأفعاله، وينعزل عن شهادة تصرفه في نفسه وفي موجوداته، فهو كالجنيين في بطن أمه، وكالميت بين يدي من | يقلبه ويحمه. ١١٣
 وقال سهل بن عبد الله: أول مقام من المعرفة أن يعطى العبد يقيناً في سره، ٣
 فتسكن به جوارحه، وتوكلًا في حوائجه يسلم به في دنياه، وحياء^(١) في قلبه يفوز به^(٢) في عقباه.

٦ وسئل الجنيّد عن العارف، فقال: لو أن الماء لو أن الإناء^(٣). قلت: (*يعني: بحسب ما يودع فيه*^(٤) ويقام به في^(٥) الصفاء في معاملاته، فهو مُتَلَوّن في أوقاته، (*يعمل في كل أوقاته*^(٦) بما هو أولى به. ومن أجل ذلك قال أهل الطريق فيه: هو ابن وقته.

٩ وقال الشبلي: لا يكون لغيره لاحظًا، ولا بكلام غيره لافظًا، ولا يرى لنفسه غير الله حافظًا^(٧).

١٢ قلت: العارف من اقتفى سيرة أهل الصفاء، واكتفى بالله في المؤانسة من الخلق والجفاء، وانتفى عن مراداته للأشياء ببذل المجهود في الخدمة من الوفاء. قال سهل: أهل المعرفة بالله أصحاب الأعراف، يعرفون كلاً بسيمائهم، أقامهم مقاماً أشرف بهم على الدارين، وعرفهم الملكين. ١٥
 قال الشبلي: أهل المعرفة ثلاثة: قوم قالوا: «أنا»، وقوم قالوا: «هو»، وقوم أخرجوا، فلم يمكنهم أن ينطقوا.

١١٣ظ

(١) ع، س: حياة.

(٢) س: بها.

(٣) الرسالة: إنائه.

(*-٤*) الرسالة: يعني أنه بحكم وقته.

(٥) س: من.

(*-٦*) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: س.

(٧) انظر: الرسالة القشيرية، ٦٠٦.

- وقال بعضهم: المعرفة إذا وردت على السرِّ ضاق السرُّ عن حملها، كالشمس يمنع شعاعها عن إدراك نهايتها وجوهرها.
- ٣ قيلَ لذي النُّونِ: ما أولُ درجةٍ يرقى بها العارفُ؟ فقال: التحيرُ، ثمَّ الافتقارُ، ثمَّ الاتِّصالُ، ثمَّ التحيرُ.
- ٦ قلتُ: الحيرةُ الأولى تمييزُ الأفعالِ، والنظرُ في نعمِ الله المتواترةِ عليه، ويرى أنَّ الشكرَ مُتوجِّهٌ إليه، وأنه عاجزٌ عن شكرٍ يُقابلُ التيسيرَ منها، فكيفَ بالكثيرِ؛ لاحتقاره ما يصدرُ منه من الأفعالِ. وإن رأى أنها واجبةٌ عليه لا يجوزُ له التخلفُ عنها.
- ٩ والحيرةُ الأخيرةُ: دهشاتٌ تتردُّ في وطئاتِ التوحيدِ، ثمَّ تضلُّ الفكرةُ في فيافي متناهاتِهِ^(١)، فيعجزُ فهمُ العارفِ ويتوقفُ ذهنُه، ويكلُّ حدُّ عقله في اعتبارِ عظمةِ قُدرةِ الله وعِزةِ جلاله، ورفعةِ جماله، ونفوذِ مشيئته، وما بينهم | وسائطُ، فإنَّ بالافتقارِ إليه يقعُ الاتِّصالُ به، ومن ركنَ إلى مخلوقٍ فإنه لم يصدقُ في افتقاره إلى الله.
- ١٢ وقال بعضهم: دُونَ التوحيدِ متاهاتٌ تضلُّ فيها الأفكارُ، وعندَ الإنتهاءِ يحصلُ العجزُ عن الثناءِ، كما قال عليه السلام: «لا أُحْصِي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك». وكما حكى عن أبي بكرٍ رضي الله عنه أنه قال: «سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ السَّبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِلَّا بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ»^(٢).
- ١٥ وقال بعضُ المحققينَ: أعرفُ الخلقِ باللهِ أشدُّهم تحييراً فيه^(٣). وسئلَ ذو النُّونِ عن العارفِ، فقال: كان ههنا فذهبَ^(٤).
- ١٨ قلتُ: يعني أنَّ ما هو فيه من تصرفاته ليست عن إرادته، بل هو مُتصرفٌ فيما يُقامُ فيه من حالاته^(٥). وفي معناه أنشدَ ابنُ عطاءٍ:

(١) في الأصل، عد: متاهاته. والمثبت من: س.

(٢) انظر: اللمع في التصوف، ١٧٢.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية، ٦٠٥.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ١٩٣.

(٥) لا توجد في: عد.

[الطويل]

ولو نَطَقْتَ فِي السُّنَنِ الدَّهْرَ حَبَّرْتَ بَأَنِّي فِي ثَوْبِ الصَّبَابَةِ أَرْقُلُ
وَمَا إِنَّ لَهَا عِلْمٌ بِقَدْرِي وَمَوْضِعِي وَمَا ذَاكَ مَوْهُومٌ لِأَنِّي أَنْقَلُ ٣

١١٤ ظ

| وقال الجُنَيْدُ: المعرفة: التَّجْرِيدُ ثُمَّ (١) التَّفْرِيدُ، فأوَّلُه التَّجْرِيدُ عَمَّا دُونَ الحَقِّ،
ثُمَّ التَّفْرِيدُ بِالْحَقِّ، فإذا تَجَرَّدَتْ عَمَّا دُونَهُ، فقد تَفَرَّدَتْ بِهِ ووَحَّدَتْ (٢) الفَرْدَ
الواحد، قال اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمُ الحَقِّ﴾ [الأَنْعَامُ: ٦٢]. ٦
وَنُقِلَ مِثْلُ هَذَا الكَلَامِ عَنِ أَبِي العَبَّاسِ بنِ عَطَاءٍ.

قال جعفر الصادق عليه السلام: عَشْرَةُ أَشْيَاءٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا العَبْدُ حَتَّى يَكُونَ عَارِفًا
بِاللَّهِ: الأول: سُرُورٌ (٣) المعرفة، والثاني: أَنْسُ الوَحْدَانِيَّةِ، والثالث: إِخْلَاصُ
العِبَادَةِ، والرابع: حُسْنُ المَعَامَلَةِ، والخامس: خَوْفُ المَفَارِقَةِ، والسادس: رُؤْيَةُ
المِئَةِ، والسابع: صَبْرٌ عَلَى الشَّدَّةِ، والثامن: شُكْرٌ عَلَى النِّعْمَةِ، والتاسع: رِضَى
بِالقِسْمَةِ، والعاشر: صِدْقُ المَحَبَّةِ. ١٢

قُلْتُ: وَالْكَامِلُ فِي المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ أَرْبَعَةُ فُصُولٍ، هِيَ لِلْمَعْرِفَةِ أَصُولٌ، وَإِلَى اللَّهِ
وُصُولٌ:

أحدها: معرفة وجود الإله وقدمه وأسائه وصفاته الذاتية والفعليَّة، وما يجب
ويَجُوزُ وَيَسْتَحِيلُ (٤) عَلَيْهِ. ١٥

١١٥ و

وثانيها: معرفة أحكامه في خَلْقِهِ فِي الدَّارَيْنِ: أَمَّا فِي الدُّنْيَا | فَأَحْكَامُ المُكَلَّفِينَ
فِيهَا مِنَ الحَلَالِ والحَرَامِ فِي الظَّوَاهِرِ، وَأَحْكَامِ القُلُوبِ فِي البِوَاطِنِ، مِنَ العُجْبِ
وَالحَسَدِ والحِرْصِ وَالطَّمَعِ وَكُلِّ وَصْفٍ مَذْمُومٍ، فَمَا كَانَ (* مِنَ الظَّاهِرِ فَهُوَ* ٥)

(١) فِي الأَصْلِ: عَنِ، وَالمُثَبَّتُ مِنْ: ع، س.

(٢) فِي الأَصْلِ: وَتَوَحَّدَتْ، وَالمُثَبَّتُ مِنْ: ع، س.

(٣) لَا تَوْجِدُ فِي: س.

(٤) لَا تَوْجِدُ فِي الأَصْلِ، ع، وَالمُثَبَّتُ مِنْ: س.

(*-٥) لَا يَوْجِدُ فِي الأَصْلِ، ع، وَالمُثَبَّتُ مِنْ: س.

مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ إِنْ تَرَكَهُ الْجَمِيعُ عَصَاوَا بِأَجْمَعِهِمْ، وَمَا كَانَ مِنَ الْبَاطِنِ فَهُوَ فَرَضٌ عَيْنٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ.

٣ وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَالْحُكْمُ فِي مَالِ الْمُكَلَّفِينَ مِنَ الْمُنْعَمِينَ وَالْمُعَذَّبِينَ، وَمَا فِي الْمَوْقِفِ^(١)، وَمَا يَقَعُ فِي يَوْمِ الْعَرْضِ مِنَ الشَّفَاعَةِ وَالصَّرَاطِ وَالْحَوْضِ ... وَغَيْرِ ذَلِكَ.

٦ وَثَالِثُهَا: مَعْرِفَةُ الدُّنْيَا، وَهِيَ تُطْلَقُ بِاعْتِبَارَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، إِذْ هُمَا عَلَوٌّ وَسُفْلٌ مُتَمَيِّزَانِ، وَمَنْزِلَانِ وَمَسْكِنَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْعَالَمُ الْعُلُويُّ، وَالْآخِر: الْعَالَمُ السُّفْلِيُّ.

٩ وَثَانِيَهُمَا: مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا وَزَهْوِهَا^(٢)، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ الْآيَةَ ... إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَآبِ﴾: [آل عمران: ١٤].

١٢ وَرَابِعُهَا: النَّفْسُ، وَمَا هِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَيْهِ مِنَ الْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ، وَالْمُتَابَعَةِ لِلْهَوَى

والتَّوَارِعِ، وَمُعَانَاةِ | أَخْلَاقِهَا الْحَمِيدَةِ وَالذَّمِيمَةِ فِي مَعْدِنِ الْهَوَانِ، وَمَسْكَنِ الشَّيْطَانِ، فَلَا بَدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ السَّاكِنِ فِيهَا، وَإِنَّهُ لَوَاسِعُ الْحِيلَةِ عَظِيمِ الْمَكْرِ فِي نَضْبِ الشَّبَاكِ لِلْإِصْطِيَادِ، عَارِفٌ بِفَتْحِ الْأَبْوَابِ الْمُرْدِيَةِ.

١٥ وَأَعْظَمُ مَا يُنْتَفَعُ^(٣) بِهِ الْإِلْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ فِي دَفْعِهِ، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى الطَّاعَاتِ بِالْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ، وَمُعْظَمُ أَدَبِ الْمُتَوَجِّهِينَ لِأَدَبِ النَّفْسِ الْمُخَالَفَةِ لَهَا.

١٨ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ بِالتَّفْصِيلِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ^(٤)، فَمَنْ أَحْكَمَ جُمْلَةً هَذِهِ الْفُصُولِ، فَقَدْ حَصَلَ بِالْوُقُوفِ مِنْهَا عَلَى الْأَصُولِ، فَإِذَا اتَّقَنَهَا وَخَرَجَ^(٥) عَنْهَا وَعَلَّقَ كَلِمَتَهُ

(١) ع: المتوقف.

(٢) ع، س: وزهرتها.

(٣) س: يندفع.

(٤) انظر فيما سبق.

(٥) ع، س: تجرد.

بوحدرة الله في رؤية الأشياء كلها سُمِّيَ عارفاً باقياً، (*فإن فني عن رؤية بقاءه سُمِّيَ عارفاً فانياً*^(١)).

- ٣ فهذه جملة من حصّلها ظفّر من المعرفة بمُرادِهِ، وكان ربُّه ناظرًا إليه بعين وِداده، وتنزلت عليه الموارِدُ^(٢) الرَّحْمَانِيَّةُ، وتكثرت لَدَيْهِ الفوائدُ الإحسانِيَّةُ، وكان من عظمة الله وتوحيده مَلِيًّا، فيبقى الله في جميع حالاته وليًّا، فهو ناظرٌ في مرآة التصرُّفاتِ إلى أوسع الدوائر في العالم، وهي دائرة العِلْمِ والرحمة، فأقام أَعْدَارَ الخلقِ | في تنوع الحالاتِ، وتبدّلِ الصفاتِ، قد أجرى أحكامَ التكاليفِ على ما ظهر تأدُّبًا بأدبِ الشريعة، فهو راحِمٌ للعبادِ، دائمٌ لتركِ الانتقادِ، ناظرٌ فيما سبق من المرادِ. قال الله تعالى: ﴿وَسَعَتِ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، ٩ وقال ﷺ حكايةً عن ربِّه: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»، وهذا بخلافِ نظري الزاهد، فإنّه ناظرٌ إلى مآلِ الأعمالِ مِنَ اللّوَّاحِقِ والخواتيمِ، كما قال ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ». فما عَدَرُوا مَنْ فِي الاجْتِهَادِ قَصَرَ^(٣)، ولا شَكَرُوا سَعِيَ مَنْ ١٢ كان عن قَرَعِ بابِ مَولاهُ قد تَأَخَّرَ. وبه تمَّ الكلامُ في المعرفة.

الثالث

المكاشفة

- ١٥ قال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]، المكاشفةُ مُفاعلةٌ مِنَ الكَشْفِ، وهو الظُّهورُ والتجليُّ، ولا تقعُ المفاعلةُ إلا بين اثنين، كقولهم: ضاربٌ وقاتلٌ، وقد جاء قولهم^(٤): سافرتُ، وعاقبتُ اللصَّ، ١٨ وطارقتُ النُّعلَ، وليس من اثنين، إلا أنه أُقيِمَ المُصاحبةُ للفعلِ مَقامَ الفاعلِ الآخِرِ، وكاشفَ من هذا القبيل؛ فإنَّ المُكاشِفَ | مُصاحِبٌ لِمَا أَخْبَرَ به وعائِنُهُ. ١١٦ ظ

(*-١) لا يوجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

(٢) س: الموارِد.

(٣) في الأصل: قصروا.

(٤) لا توجد في: س.

- فالمُكاشَفَةُ مُطالَعَةُ أنوارِ القلوبِ، لِمُعَايَنَةِ أسرارِ الغُيوبِ، وهي على ثلاثة أوجِهٍ: مُكاشَفَةُ بِالْعِلْمِ: وهي التوفيقُ لِلتَحْقِيقِ (*بإصابةِ الفهمِ، ومُكاشَفَةُ بِالْحَالِ: وهي التَحْقِيقُ*^(١)) في التَدْقِيقِ لرؤيةِ الزِّيادَةِ فيه بِالْعِزْمِ، ومُكاشَفَةُ بِالوَجْدِ: وهي التَصَدِيقُ بِمُشَاهَدَةِ العَيْنِ مع قيامِ الرِسمِ.
- فإنَّ النفسَ إذا تَخَلَّصَتْ مِنْ حَبَائِلِ^(٢) أهويتِها وشَرَكِ فَنَتَيْها تَصَفَّتْ مِنْ كُدُورِها^(٣)، وتَلَطَّفَتْ مِنْ كَثافَتِها، وانقَشَعَتْ عنها حُجُبُ ظَلَمَتِها، تَرَوَّحَتْ^(٤) وَعَلَتْ، وتَنَعَّمَتْ وفَهَمَتْ وما وَهَمَتْ، فَتَكْتَسِبُ الفِرَاسَةَ، وهو التَوَسُّمُ الذي قال اللهُ فيه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، أي المُتَفَرِّسِينَ، فإنَّ صَدَقَتْ في مُعَامَلَتِها تَرَقَّتْ إلى المُكاشَفَةِ. والفرقُ بينهما أنَّ الفِرَاسَةَ تنشأ عن واردِ حقٍّ في النفسِ يَجِدُهُ المُخْبِرُ، فيصدق فيه، والمُكاشَفَةُ تنشأ عن رُؤْيَا عَيْنٍ أو سَماعِ خِطابٍ مِنْ خارِجٍ، فيكون كما أَخْبَرَ به. فغايةُ المُكاشَفَةِ المُشَاهَدَةُ، ومَبَادِئُها الفِرَاسَةُ، ولِأَجْلِ هذا الإلتباسِ قالَ الكَتَاتِبِيُّ: | الفِرَاسَةُ مُكاشَفَةُ اليقينِ، ومُعَايَنَةُ^{١١٧} الغيبِ، وهي مِنْ مقاماتِ الإيمانِ^(٥).
- وقال بعضهم: اَطَّلَعَ اللهُ على القلبِ، فيطالِعُ القلبَ لِلغيبِ بنورِ الربِّ. رَوَيْنَا عن عطيةِ عن أبي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بنورِ اللهِ»^(٦)، ثمَّ قرَأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

(*)- (١) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: عد، س.

(٢) في الأصل: حائل، س: حيال، والمثبت من: عد.

(٣) عد، س: كدوراتها.

(٤) س: وتروحت.

(٥) انظر: الرسالة القشيرية، ٢: ٣٨٧.

(٦) انظر: الأربعون في التصوف، ٣٥.

ورَوَيْنَا عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ»^(١)، وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ وَجَبَلٍ»^(٢).

٣

قُلْتُ: الْفِرَاسَةُ خَاطِرٌ يَقَعُ فِي الْقَلْبِ بَعْتَةً، فَيَرْتَفِعُ بِهِ مُضَادَّهُ^(٣). وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْفَرَسِ، وَهُوَ الْإِسْتِيْلَاءُ عَلَى الشَّيْءِ بَعْنْفٍ، مَأْخُودٌ مِنْ فَرِيْسَةِ السَّبْعِ، فَإِنَّمَا إِذَا حَصَلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ لَا يُمْكِنُهَا مِنْ انْقِلَابِهَا^(٤) عَنْهُ.

٦

قَالَ أَبُو جَعْفَرِ الْحَدَّادِ: الْفِرَاسَةُ أَوَّلُ خَاطِرٍ بَلَ مُعَارِضٍ؛ فَإِنْ عَارَضَ عَارِضٌ^(٥) مِنْ جِنْسِهِ فَهُوَ خَاطِرٌ وَحَدِيثُ نَفْسٍ^(٦).

٩

وَيُحْكِي عَنْ شَاهِ الْكِرْمَانِيِّ أَنَّهُ كَانَ حَادًّا الْفِرَاسَةَ، وَقَلَّ مَا كَانَ تُخْطِئُ فِرَاسَتُهُ. | وَكَانَ يَقُولُ: مَنْ غَضَّ بَصْرَهُ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَأَمْسَكَ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَعَمَرَ بَاطِنَهُ بِدَوَامِ الْمُرَاقَبَةِ، وَظَاهِرَهُ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ^(٧)، *وَعَوَّدَ نَفْسَهُ^(٨) أَكْلَ الْحَلَالِ، *فَذَلِكَ الَّذِي لَهُ فِرَاسَةٌ^(٩)*^(١٠).

ظ ١١٧

١٢

وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورٍ: الْمُتَفَرِّسُ هُوَ الْمُصِيبُ بِأَوَّلِ مَرْمَاهُ إِلَى مَقْصِدِهِ^(١١)، فَلَا يُعْرَجُ عَلَى تَأْوِيلٍ [وِظَنٍ]^(١٢) وَحُسْبَانٍ.

(١) انظر: المعجم الأوسط، ٢٩٣٥؛ ومسند الشهاب، ٦٥١.

(٢) انظر: كنز العمال، ٨٢٣.

(٣) ع، س: ما ضاده.

(٤) س: انفلاتها.

(٥) س، الرسالة: معارض.

(٦) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٨٥.

(٧) لا توجد في: س.

(٨*-٩) الرسالة: وتعود.

(٩*-١٠) الرسالة: لم تخطئ فِرَاسَتَهُ.

(١٠) انظر: الرسالة القشيرية، ٤٨٣.

(١١) في الأصل: مقعده، والمثبت من: ع، س.

(١٢) زيادة من الرسالة.

قلتُ: وقد كانتِ الفِراسةُ في جَمْعِ مِنَ الصَّحابةِ والتابعين والعلماء، ولو تَبَعْنَا ما نُقِلَ عَنْهُمْ في ذلك مِنَ الحِكاياتِ أَطْلُنَا، فَمَنْ أَرَادَ عِلْمَ ذلكَ طَلَبَهُ مِنْ مَظانِّهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ٣

الرابع المحبة

٦ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

٩ اعْلَمُ أَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَمَحَبَّةَ رَسُولِهِ وَمَحَبَّةَ طَاعَاتِهِ وَمَا يُقَرِّبُ مِنْ ذلكَ مَطْلُوبٌ مِنَ العبادِ، مَرغُوبٌ فِيهِ عِنْدَ مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ في عَقْلِهِ شَيْئاً^(١) مِنَ السَّدادِ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ بِاللَّهِ فَمِنْ صِفَتِهِ المَحَبَّةُ لِلَّهِ.

١٢ رَوَيْنَا عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حِلاوَةَ الإيْمَانِ: مَنْ كانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُما، | وَأَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ إِخاهَ لا يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجَعَ إِلى الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى في النَّارِ»^(٢).

١٥ وَرَوَيْنَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِذا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ قال لِجِبْرِيلَ النَّبِيِّ: يا جِبْرِيلُ، إِنِّي أَحَبُّتُ فُلاناً فَأَحِبَّهُ؛ فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يَقولُ جِبْرِيلُ لِلْمَلائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ قد أَحَبَّ فُلاناً فَأَحِبُّوه، فيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّماءِ، ثُمَّ يَضَعُ لَهُ القَبولَ في الأَرْضِ، وَإِذا أَبْغَضَ اللَّهُ العَبْدَ» قال مالِكٌ - يعني ابن أنس - : لا (*أحسبه إلا*)^(٣) قال في البُغضِ مِثْلَ ذلكِ.

(١) في الأصل: شيء، والمثبت من: ع، س.

(٢) انظر: المعجم الكبير، ٨٠١٩؛ والمعجم الأوسط، ٢٥٤٠؛ وسنن ابن ماجه، ٤٠٣٣.

(٣) (*-*) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س، الرسالة ٦١١.

ورَوَيْنَا عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ آثَرَ مَحَبَّةَ اللَّهِ عَلَى مَحَبَّةِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مَوْؤُونََةَ النَّاسِ»^(١).

٣ رَوَى رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا حَمَاهُ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا يَحْمِي أَحَدُكُمْ سَقِيمَةَ الْمَاءِ»^(٢).

٦ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَامَةُ حُبِّ اللَّهِ حُبُّ ذِكْرِ اللَّهِ، وَعَلَامَةُ بُغْضِ اللَّهِ بُغْضُ ذِكْرِ اللَّهِ»^(٣).

١١٨ ظ فَاَلْمَحَبَّةُ لِلَّهِ مَنَزِلَةٌ شَرِيفَةٌ وَمَرْتَبَةٌ مُنِيفَةٌ، وَأَصْلُ الْمَحَبَّةِ الْمَيْلُ، وَلَا يُوْجَدُ الْمَيْلُ إِلَّا عَنِ إِرَادَةٍ، فَمَحَبَّةُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ إِرَادَةُ الْإِنْعَامِ وَالْإِكْرَامِ لَهُمْ، وَمَحَبَّةُ الْعِبَادِ لَهُ مَيْلٌ إِلَيْهِ، وَتَعَرُّضٌ لِإِحْسَانِهِ وَامْتِنَانِهِ.

٩ رَوَيْنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْبُّوا اللَّهَ كَمَا يَعْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحْبُّوا بِي كَحُبِّي كَحُبِّي»^(٤).

١٢ وَأَمَّا فِي الْمُصْطَلِحِ: فَحَالَةٌ تَتِمَّكُنُ فِي الْقَلْبِ يَجِدُهَا الْمَتْوَجِّهُ، تَدِقُّ عَنْهَا الْعِبَارَةُ، وَالْأَحْوَالُ الْحَادِثَةُ عَنْهَا مَتَنَوِّعَةٌ، مِنْ قَلْقٍ وَأَرْقٍ، وَأَنْسٍ وَطَرْبٍ، وَخُزْنٍ وَفَرْحٍ، وَسُكُونٍ وَاضْطِرَابٍ ... وَغَيْرِ ذَلِكَ.

١٥ وَاخْتَلَفَ فِي اسْتِثْقَائِ الْمَحَبَّةِ، فَقِيلَ: مِنْ الصَّفَاءِ، وَمِنْهُ سُمِّيَ حَبَبُ الْأَسْنَانِ؛ لَصَفَاءِ بِيَاضِهَا وَوُجُودِ نَضَارَتِهَا^(٥).

١٨ وَقِيلَ: مِنْ الْعَلْيَانِ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْحَبَابُ، وَهُوَ مَا يَعْلُو الْمَاءَ عِنْدَ الْمَطْرِ الشَّدِيدِ^(٦). فَاَلْمَحَبُّ يُعْتَرِيهِ مِنَ الْهَيْجَانِ وَالتَّعَطُّشِ لِلِقَاءِ مَا يَحْمِلُ قَلْبَهُ عَلَى الْغَلْيَانِ.

(١) انظر: مسند الشهاب، ٤٤٧.

(٢) انظر: سنن الترمذي، ٢٠٣٦؛ والمعجم الكبير، ٤٢٩٦؛ ومسند الشهاب، ١٣٩٧.

(٣) انظر: شعب الإيمان، ٤٠٦؛ وكنز العمال، ١٩٢٦.

(٤) انظر: سنن الترمذي، ٣٧٨٩؛ وشعب الإيمان، ٤٠٤.

(٥) انظر: الرسالة القشيرية، ٦١٣.

(٦) انظر: الرسالة القشيرية، ٦١٣.

- ٣ وقيل: من الحَبَاب - بفتح الحاء - وهو (*معظمُ الماء*^(١))، (*فالمحبُّ مُعْظَمُ ما في قلبه المحبَّةُ؛ لأنها تشغله عن النظر لغير محبوبه*^(٢)).
- ٣ وقيل: من اللزوم والثبات، ومنه: | قولهم^(٣): أَحَبَّ البعيرُ، (*إذا بَرَكَ، فلم يُقَم. فالمحبُّ مُلازمٌ مُقيِّمٌ على طلبِ محبوبه*^(٤)).
- ٦ وقيل: من القَلَقِ لِتَعَلُّقِهِ^(٥) واللزوم، ومنه سُمِّيَ الحَبُّ للقرط^(٦)؛ إِمَّا لِلزومِ الأذُنِ أَوْ لِقَلَقِهِ فِيهَا^(٧).
- ٩ ولو تَبَعْنَا ما قِيلَ في المحبَّةِ واشتقاقِها أَطْلَنَّا. وقد اختلفت عباراتُ أهلِ الطريقِ فيها، فقال أبو يزيد البسطاميُّ: المحبَّةُ استقلالُ الكثيرِ من نفسِكَ، واستكثارُ القليلِ من حبيبِكَ^(٨).
- ١٢ وقال سهلٌ: الحُبُّ مُعانقَةُ الطاعةِ ومُبَايَنَةُ المُخالفةِ^(٩)، وقيل: المحبَّةُ المِثْلُ الدائمُ بالقلبِ الهائم^(١٠)، وقيل: مُواطأةُ القلبِ لِإِمراداتِ الربِّ^(١١)، وقيل: موافقةُ الحبيبِ في المشهدِ والمغيبِ^(١٢).

(١*-*) الرسالة: معظمه.

(٢*-*) الرسالة: لأن المحبة غاية معظم ما في القلب من المهيات.

(٣) الرسالة: يقال.

(٤*-*) الرسالة: وهو أن يبرك فلا يقوم، فكأن المحبَّ لا يبرح بقلبه عن ذكر محبوبه.

(٥) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٦) لا توجد في: ع.

(٧) انظر: الرسالة القشيرية، ٦١٣.

(٨) انظر: الرسالة القشيرية، ٦١٤.

(٩) انظر: الرسالة القشيرية، ٦١٥.

(١٠) انظر: الرسالة القشيرية، ٦١٤.

(١١) انظر: الرسالة القشيرية، ٦١٤.

(١٢) انظر: الرسالة القشيرية، ٦١٤.

وقيل: إيثارُ المحبوبِ على جميعِ المصحوبِ^(١). وقيل: مَحْوُ المَحَبِّ بصفاتِه^(٢) وإثباتُ المحبوبِ بذاتِه^(٣).

٣ فالمحبةُ: مُبتدأُ دُخولِ أوديةِ الفناءِ، ومُنتهى العقباتِ التي ينحدرُ عنها^(٤) مَنْ ١١٩ ظ وَقَعَ فِي العَنَا^(٥)، وهي مَشْرُوبُ الخَاصَّةِ مِنْ أَهْلِ الصَّفَاءِ، ومَطْلُوبُ | العَامَّةِ العَامِلِينَ عَلَى الوَفَاءِ.

٦ وهي عَلَى طِبَاقٍ ثَلَاثَةٌ:
الأولى: مَحَبَّةُ العَامَّةِ، وهي مُسْتِنْدَةٌ إِلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ مِنَ الإِحْسَانِ،
وتتَمَّ عَلَيْهِمْ مِنَ العَطْفِ وَالْحَنَانِ، فَهَم مَطَالِعُونَ المِنَنِ، مُتَابِعُونَ السَّنَنِ، وهي
٩ مَحَبَّةُ الزَاهِدِينَ.

وثانيها: مَحَبَّةُ الخَاصَّةِ، وهي مُسْتِنْدَةٌ إِلَى نَظْرِ القَلْبِ إِلَى الجَلَالِ وَالجَمَالِ
وَالعِظْمَةِ وَالكَمَالِ، وهي مَحَبَّةُ العَارِفِينَ.

١٢ وثالثها: مَحَبَّةُ خَاصِّ الخَاصَّةِ، وهي النَظْرُ لِمَا أَهْلَهُمْ لَهُ مِنْ حُبِّهِ لَهُمْ
وَحُبِّهِمْ لَهُ بِلا عِلَّةٍ، فَتَوَلَّهُوا وَتَاهُوا فِي مَهَامِهِ تَلِكِ الفِكْرَةِ، وَتَنَزَّهُوا فِي
بَسَاتِينِ^(٦) الأَنْسِ وَالهِيبَةِ، فَطَاشُوا مِنْ شِدَّةِ الحَيْرَةِ، وَفَاضَتْ عَلَيْهِمْ مِيَاهُ
١٥ الأَسْرَارِ الغَيْبِيَّةِ حَتَّى غَسَلَتْ مِنْهُمْ دَنَسَ التَعَلُّقِ بِالآثَارِ الغَيْرِيَّةِ. لَمَحَتْ مِنْهُمْ
بَقَايَا التَطَلُّعَاتِ النَفْسِيَّةِ، وَحَمَتْ عَنْهُمْ الإِلْتِفَاتَ إِلَى الجِهَاتِ العُلُويَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ،
وَهَذِهِ مَحَبَّةُ الصُّدَيْقِينَ^(٧).

(١) انظر: الرسالة القشيرية، ٦١٤.

(٢) الرسالة: لصفاتِه.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية، ٦١٤.

(٤) ع: منها.

(٥) انظر: تأييد الحقيقة، ٩٨.

(٦) س: بستان.

(٧) انظر: تأييد الحقيقة، ٩٨.

- ٣ قال الجنيد: المحبة إفراط الميل بلا نيل^(١). قلت: يعني به ميل القلب إلى الرب، وإلى ما أمر به العبد مما يدعو إلى القرب^(٢). وقوله: «بلا | نيل»، أي بلا أمل عطاءً وجزاءً وثوابٍ على ذلك^(٣).
- ٦ وقال الشبلي: المحبة أن تغارَ على المحبوب أن يُحبه^(٤) مثلك^(٥). وقال أبو يعقوب [السوسي]^(٦): لا تصحَّ المحبة إلا بالخروج عن ^(*)كلِّ رؤية^(٧) إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة^(٨).
- ٩ واختلّفوا في المحبة والمعرفة، فكان سمنون يُقدّم المحبة. والمحقّقون على خلافه، فإنَّ المحبة وجود محقّ بوجه حقّ مع قيام لذّة وتام دهشة. والمعرفة إدامة حيرة في شهادة حصرة، وفناء فكرة في بقاء حصرة. وبهذا يقع الفرق عند من حصّل له الذوق.
- ١٢ قلت: المعرفة مُنبئة عن الحقائق، مُغنيّة عن دفع العوائق، والمحبة مُتبعّة لمن عاناها، مُعربة عن معناها، صاحبها بها مشغول، فعقله عن فهم ما يلقى إليه بها معقول، فالمحبُّ صاحبُ تلوين، والعارفُ صاحبُ تمكين^(٩).
- ١٥ وعلامةُ حُبِّ الله للعبد حُبُّ العبدِ لله، فمن أحبَّ ما أحبَّ وأبغضَ ما أبغضَ، فبيادرٍ إلى الفرائض، ثمَّ يتبعها بالنّوافل.

(١) انظر: الرسالة القشيرية، ٦١٧؛ وتأيد الحقيقة، ٩٨.

(٢) في الأصل: الرب، والمثبت من: ع، س.

(٣) انظر: تأيد الحقيقة، ٩٨.

(٤) لا توجد في: س.

(٥) انظر: الرسالة القشيرية، ٦١٥.

(٦) زيادة من الرسالة.

(٧-*) (٧-*) الرسالة: رؤية المحبة.

(٨) انظر: للمع في التصوّف، ٥٩؛ والرسالة القشيرية، ٦١٩؛ وتأيد الحقيقة، ٩٨.

(٩) انظر: الرسالة القشيرية، ١: ١٨٩.

١٢٠ظ

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «ما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضتُ عليه، ولا يزالُ العبدُ يتقربُ إليَّ بالنوافلِ حتَّى أُحبَّه»^(١). والنوافلُ هي الأفعال والأقوال والنياتُ المقرَّبةُ مِنَ الثُّبُوتِ المُبَعَّدَةِ عَنِ العُقُوبَاتِ. وبه تمَّ القولُ في ٣ المحبَّة.

الخامس

الغيرة

٦

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال تعالى مُخْبِرًا عن سُلَيْمَانَ: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣].

٩

الغَيْرَةُ مِنَ المَغَايِرَةِ، وهي المَجَانِبَةُ، كراهيةُ المِشَارَكَةِ^(٢).

رَوَيْنَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَغَارُ، وَإِنَّ المُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ المُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ»^(٣).

١٢

فالغَيْرَةُ فِي الأَدَمِيِّ كراهيةُ تَقُومُ فِي النَفْسِ لِأَجْلِ وُرُودِ مَا يَتَأَثَّرُ بِهِ مِنْ خَارِجٍ، وَفِي صِفَةِ اللهِ تَعَالَى عَدَمُ رِضَاهُ لِلْمِشَارَكَةِ فِيهَا هُوَ لَهُ عَلَى عِبَادِهِ فِي حَقِّ طَاعَتِهِ.

١٥

والغَيْرَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:

غَيْرَةُ فِي الحَقِّ، وهي مِنْ رُؤْيَةِ ارْتِكَابِ المُنَاهِي وَالفَوَاحِشِ وَتَضْيِيعِ | الأوقاتِ، وَاسْتِدْرَاكِ مَا حَصَلَ مِنْهَا مِنَ الفَوَاتِ، وَتِلْكَ غَيْرَةُ العَابِدِينَ. ١٢١ظ

(١) انظر: الأربعةون في التصوف، ٣٦.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية، ٥١٢.

(٣) انظر: صحيح البخاري، ٤٨٢٢؛ وصحيح مسلم، ٢٧٦١؛ وسنن الترمذي، ١١٦٨؛ وصحيح ابن حبان، ٢٩٣.

- وثانيها: غَيْرَةٌ عَلَى الْحَقِّ، وَهِيَ كِتْمَانُ مَا تَجَلَّى مِنَ الْمَعَارِفِ عَلَى السَّرَائِرِ، وَتَجَلَّى بِهِ الْمُتَوَجَّهُ مِنَ الْمَوَاقِفِ عِنْدَ الْخَوَاطِرِ، وَتَأَسَّفَ عَلَيْهِ مِنْ انْقِضَاءِ مَاضٍ فِي وَقْتِهِ يُغْفَلُهُ عَنِ عِمَارَةِ الضَّمَائِرِ، وَهِيَ غَيْرَةُ الْمُرِيدِينَ. ٣
- وثالثها: غَيْرَةُ الْحَقِّ، وَهِيَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ فِي رُكُونِهِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ حُظُوظِهِ بِتَنْغِيصِهَا^(١) عَلَيْهِ حَتَّى تَقْتَطِعَهُ بِذَلِكَ إِلَيْهِ، وَمِنْ الْعَبْدِ عَلَى اللَّهِ فِي إِطْلَاعِ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ سِرِّ الْحَقِّ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْمُفْرَطِينَ مِنَ الْمُحِبِّينَ: ٦

[الطويل]

أغارُ عليها أن يَرَى البدرُ وجهَهَا بغيرِ قِنَاعٍ^(٢) والمحبُّ غَيُورُ

- ٩ غيرَ أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنَ الْأَدَبِ أَنْ لَا يُقَالَ: أغارُ على الله، بل يقال: أغارُ الله. وقال قومٌ: الغيرةُ لاثقةٌ بالمُرِيدِينَ، أمَّا بالعارفينَ المُوَحِّدِينَ فلا؛ لأنَّ المُوَحِّدَ مسلُوبُ الاختيارِ، مجرَّدٌ عن النَّظَرِ إلى الأغيارِ، مُبْعَدٌ عن القُربِ إلى الاعتراضِ على مجاري الأقدارِ، ومَن كان مشغولاً بالحقِّ لم يتسَّعَ في وقتهِ للغيرةِ، ولا يندفعُ ١٢
- عن حاله إلى شيءٍ مِنَ الفَترَةِ^(٣).
- ١٥ قال أبو عثمان المغربيُّ: الغيرةُ مِنَ عَمَلِ المُرِيدِينَ، فأما أهلُ الحقائقِ فلا^(٤). وقال الشَّيْبَلِيُّ: الغيرةُ غَيْرَتَانِ، فغيرةٌ بشريَّةٌ على النَّفوسِ، وَغَيْرَةٌ إلهيَّةٌ على القلوبِ^(٥). وقال أيضاً: غيرةٌ إلهيَّةٌ على الأنفاسِ أَنْ تُضَيِّعَ فيما سِوى اللَّهِ وَعَجَلًا^(٦). وقد تكون الغيرةُ مِنَ سَمَاعِ الذِّكْرِ بغيرِ حُضورٍ معَ اللَّهِ، فيُنكِرُها السامِعُ وَيَزْجُرُ عنها.

(١) في الأصل، ع: بتبعيضا.

(٢) س: خمار.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية، ٥١٥.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ٥١٥.

(٥) انظر: الرسالة القشيرية، ٥١٥.

(٦) انظر: الرسالة القشيرية، ٥١٥.

- سَمِعَ النَّوْرِيُّ رَجُلًا يُؤَدِّنُ، فَقَالَ: طَعْنَةُ وَسُمُّْ الْمَوْتِ، وَسَمِعَ كَلْبًا يَنْبُحُ،
فَقَالَ: لَتَيْكَ وَسَعْدَيْكَ، [فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَذَا تَرَكَ لِلدِّينِ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِ فِي
تَشْهُدِهِ: طَعْنَةُ الْمَوْتِ، وَيُلَبِّي عِنْدَ نَبَاحِ الْكَلَابِ] ^(١)، فُسئِلَ [عَنْ ذَلِكَ] ^(٢)،
فَقَالَ: أَمَّا الْمُؤَدِّنُ فَكَانَ يَذْكُرُهُ عَلَى ^(٣) رَأْسِ الْغَفْلَةِ، وَأَمَّا الْكَلْبُ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى:
﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].
- وقال الجُنَيْدُ: الْغَيْرَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي أَوْقَاتٍ ثَلَاثَةٍ: عِنْدَ الذِّكْرِ بِالْغَفْلَةِ، وَعِنْدَ
الْمَحَبَّةِ إِذَا بَرَى صَاحِبُهَا مِنَ الْعَلَاقَةِ، وَعِنْدَ التَّعْظِيمِ.
- قَلْتُ: أَجْرَى الْحَقُّ سَبْحَانَهُ عَادَتَهُ فِي خَوَاصِّ أَوْلِيَائِهِ عَلَى تَأْدِيبِهِمْ عَنِ ^(٤)
السُّكُونِ إِلَى غَيْرِهِ، وَالْإِرْتِيَاحِ إِلَى الْأَنْسِ بِمَا تَتَعَلَّقُ بِهِ حُظُوظُ الْأَنْفُسِ مِنَ الْعِزِّ
وَالجَاهِ | وَالْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْوَالِدِ وَطِيبِ الْعَيْشِ وَلَذَّةِ الْإِتِّصَالِ، كَأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمَّا
أَعْجَبَتْهُ الْجَنَّةُ، وَتَوَطَّنتْ نَفْسُهُ فِيهَا ^(٥) عَلَى الْخُلُودِ أَرْعَجَ مِنْهَا بِالْخُرُوجِ، وَإِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمَّا أَعْجَبَهُ وَلَدُهُ إِسْمَاعِيلُ أَمْرَ بَدْبِحِهِ، وَيَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمَّا أَحَبَّ يُوسُفَ ابْنَتِي
بِفِرَاقِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَوْ تَبَعْنَا طَالَ. وَبِهِ تَمَّ الْكَلَامُ فِي الْغَيْرَةِ ^(٦).

١٢٢

السادس

المُشَاهَدَةُ

- ١٥ قال اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى
السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، فَقَوْلُهُ: «شَهِيدٌ» إِمَّا بِمَعْنَى «شَاهِدٌ»، أَيْ:
مُعَايِنٌ حَاضِرٌ بِأَنْفَاسِهِ مَعَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَدَدِ السَّاعَاتِ، أَوْ بِمَعْنَى «مَشْهُودٌ»، فَلَا
١٨

(١) زيادة من الرسالة.

(٢) زيادة من الرسالة.

(٣) في الأصل، ع، س: عن. والمثبت من الرسالة.

(٤) س: عند.

(٥) س: منها.

(٦) انظر: الرسالة القشيرية، ٥١٥.

- يَغْفُلُ وَلَا يَطْرِفُ عَنِ الْمُلَاحِظَةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ. فالمشاهدة ميراثُ المراقبة، والمراقبة ثمرةُ المحاسبة، ورتبةُ المشاهدة فوق رتبةِ المكاشفة؛ لأنَّ المكاشفةَ لِلنَّعْتِ مع بقاء شيءٍ مِنَ الرسمِ، والمشاهدةَ للعينِ مع ذهاب الأَينِ. ٣
- روينا عن زيد بن أرقم قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كُنْ كَأَنَّكَ تَرَى اللَّهَ ١٢٢ ظ وَعَيْلًا، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَكَأَنَّكَ مَيِّتٌ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهَا مُسْتَجَابَةٌ»^(١). ٦
- روينا عن زيد السلمي قال: قال رسولُ الله ﷺ لِحَارِثَةَ الْأَنْصَارِيِّ: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ؟» قال: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا. فقال النبي ﷺ: «لِكُلِّ إِيْمَانٍ^(٢) حَقِيقَةٌ، فَمَا حَقِيقَةُ إِيْمَانِكَ؟». وربما قال: «لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةٌ، فَمَا حَقِيقَةُ إِيْمَانِكَ؟»، قال: عَرَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، فَاسْهَرْتُ لَيْلِي، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يُخَيَّرُونَ فِيهَا، وَإِلَى أَهْلِ النَّارِ يَعْوُونَ فِيهَا، فقال النبي ﷺ: «مُؤْمِنٌ» - وربما قال: «عَبْدٌ» - «نُورَ اللَّهِ الْإِيْمَانَ فِي قَلْبِهِ، عَرَفْتَ فَالزَّمْ». قال: أَدْعُ اللَّهَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ بِالشَّهَادَةِ. فَدَعَا لَهُ، فَاسْتَشْهَدَ فِي أَوَّلِ سَرِيَّةٍ خَرَجْتُ^(٣). ٩
- قال الجُنَيْدُ: المُشَاهَدَةُ ثَلَاثَةٌ: مُشَاهَدَةُ الرَّبِّ، وَمُشَاهَدَةُ مِنَ الرَّبِّ، وَمُشَاهَدَةُ لِلرَّبِّ. ١٥
- فالمشاهدةُ على ثلاثِ طبقاتٍ:
- ١٨ | مُشَاهَدَةُ بِالْحَقِّ، وَهُوَ^(٤) نَظَرُ الْمَوْجُودَاتِ بِوَجْهِ الْإِسْتِدْلالاتِ على وَحْدانِيَّةِ الذَّاتِ.

(١) انظر: كنز العمال، ٥٢٥٥.

(٢) في الأصل: إنسان [تصحيف] والمثبت من: ع، س.

(٣) انظر: الأربعون في التصوف، ١٠؛ وجوامع آداب الصوفية، ٣٥.

(٤) س، إتخاف: وهي.

الطرف الثاني: في بيان المسالك للسالك

ومشاهدةً للحقِّ، وهي نظرُ الحقِّ في قيامِ المصنوعاتِ، وتمامِ المبدعاتِ^(١)، وصيانتها عن الآفاتِ.

ومشاهدةً الحقِّ، وهي (*نظرُ الحقِّ*)^(٢) قبلَ الأشياءِ، ورؤيته سابقاً على الأشياءِ^(٣)، وهي رؤيةٌ خاليةٌ عن الكيفِ^(٤)، عاريةٌ عن الوصفِ، عاليةٌ عن الكشفِ^(٥).

قال سهلُ بنُ عبدِ الله: لا يُكْمِلُ العبدَ شيءٌ حتَّى يَصِلَ عمله بالخشيةِ وفعله بالورعِ، وورعه بالإخلاصِ، وإخلاصه بالمشاهدةِ، والمشاهدةُ: التبرُّيُّ ممَّا^(٦) سواه.

وقال الجُنَيْدُ: المشاهدةُ إقامةُ الرُبُوبِيَّةِ بإزالةِ^(٧) العُبُودِيَّةِ معَ فقدانِ الكلِّ دُونَهُ^(٨). وقال مُحَمَّدُ بنُ خَفِيفٍ: المشاهدةُ اِطِّلاعُ القلوبِ بصفاءِ اليقينِ على ما أخبرَ اللهُ عنه مِنَ الغيوبِ.

وقيل لِحاتمٍ على ما أَصَلَّتْ أَمْرَكَ هذا؟ قال: على خِصالٍ أَرْبَعٍ: عَلِمْتُ أَنْ لِي رِزْقًا لَا يَأْكُلُهُ غَيْرِي فَاطْمَأَنْتُ نَفْسِي، وَعَلِمْتُ أَنْ لِي عَمَلًا^(٩) لَا يَعْمَلُهُ غَيْرِي، فَأَنَا بِهِ مَشغُولٌ، وَعَلِمْتُ أَنْ لِي أَجَلًا لَا أَدْرِي | متى هو، فَأَنَا مُبَادِرُهُ، وَعَلِمْتُ أَنْ لَا أَغِيبُ عَنْ عَيْنِ اللَّهِ، فَأَنَا مُسْتَحْيٍ مِنْهُ^(١٠).

(١) التأييد: المبتدعات.

(٢*)-٢*) إتحاف: نظره.

(٣) س: الإنشاء.

(٤) في الأصل: الكشف. والمثبت من التأييد والإتحاف.

(٥) انظر: تأييد الحقيقة، ٩٨؛ وإتحاف السادة المتقين، ١: ٢٥٠.

(٦) ع، س: إتحاف: عما.

(٧) التأييد: بإزاء.

(٨) انظر: تأييد الحقيقة، ٩٨؛ وإتحاف السادة المتقين، ١: ٢٥٠.

(٩) في الأصل «عمل» بالرفع. والمثبت من: ع، س.

(١٠) انظر: حلية الأولياء، ٨: ٧٣.

السابع

القَبْضُ والبَسْطُ

٣ قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، القَبْضُ والبَسْطُ *حَالَانِ يَعْتَرِضَانِ بَعْدَ قَطْعِ حَالِي الخَوْفِ والرجاء*^(١)، وهما مِنْ أحوالِ العارفينَ.

٦ والفرقُ بين القَبْضِ والبَسْطِ، والرجاءِ والخوفِ: أَنَّ الخوفَ والرجاءَ يتعلَّقانِ بِمُتَوَقَّعِ وجودِهِ في زمنِ مُسْتَقْبَلٍ، مِنْ وقوعِ مَحْذُورٍ أو فَرَقٍ مأمولٍ، وأما القَبْضُ والبَسْطُ فِلِمعْنَى قد حَصَلَ، وواردٍ قد نَزَلَ، فالمتجلِّي^(٢) لهما ناظرٌ مِنْ أمرِهِ في عاجلٍ، والخوفِ والرجاءِ مُتَطَلِّعٌ في حالِهِ إلى آجِلٍ^(٣).

٩ والأحوالُ في القَبْضِ والبَسْطِ متفاوتَةٌ على قَدْرِ التَّمَكُّنِ والتَلَوُّنِ وَضعفِ الواردِ وَقُوَّتِهِ، فمقبوضٌ لا اتَّسَاعَ فيه لِمَزِيدٍ، كما رُوِيَ عن بعضهم أَنه قال: أَنَا رَدْمٌ^(٤)، لا سَعَةَ فِيَّ لِحَمْلِ شَيْءٍ، ومقبوضٌ فيه لِلسَّعَةِ مَجالٌ، وفيه لِلحَمْلِ مَقالٌ.

١٥ كان جعفر بن محمد الخُلدي يقول: سمعتُ الجُنَيْدَ يقول: الخوفُ [مِنَ الله]^(٥) يَقْبِضُنِي، والرجاءُ [منه]^(٦) يَبْسُطُنِي | ، والحقيقةُ تَجْمَعُنِي، والحقُّ يُفَرِّقُنِي، إِذَا قَبِضُنِي بالخوفِ أَفْئَانِي عَنِّي، وَإِذَا بَسَطُنِي بالرجاءِ رَدَّنِي عَلَيَّ، وَإِذَا جَمَعُنِي بالحقيقةِ أَحْضَرُنِي، وَإِذَا فَرَّقُنِي بالحقِّ أَشْهَدُنِي غَيْرِي، فغَطَّنِي عنه، فهو مع^(٧) ذلك

*-١) الرسالة: حالتان، بعد ترقِّي العبد عن حالة الخوف والرجاء.

(٢) س: بها.

(٣) انظر: معجم اصطلاحات الصوفية، ٥٨.

(٤) الرَّدْم: المَيِّت في قبره.

(٥) زيادة من الرسالة.

(٦) زيادة من الرسالة.

(٧) الرسالة: في.

كُلَّهُ مُحَرِّكِي غَيْرُ مُسَكِّنِي^(١)، وَمُؤَحِّشِي غَيْرُ مُؤَنِّسِي، ^(*)فحضورِي لذوق^(٢) طَعْمٍ وَجُودِي، فَلَيْتَهُ أَفْنَانِي عَنِّي فَمَنْعَنِي، أَوْ عَيَّبَنِي [عَنِّي]^(٣) فَرَوَّحَنِي^(٤).
 ٣ قَلْتُ: الْبَسْطُ تَجَلِّي صِفَةِ الرَّحْمَنِ^(٥)، الرَّحِيمَةِ الَّتِي هِيَ صِفَةٌ^(٦) الْجَمَالِ،
 فيجعل^(٧) ذلك على الإسترسال في صفاء الأحوال وشهود الإتصال^(٨) بالنَّوَالِ.
 ويقع الإنبساطُ بالأقوالِ والأفعالِ، وذلك خَطَرٌ على تنقُّلاتِ الأحوالِ،
 ٦ فَلْيَحْذَرْ مَنْ عَانَاهُ الْمَكْرَ وَالِإِسْتِدْرَاجَ فِي الْمَالِ، وَلْيَلْزِمِ الْأَدَبَ خَائِفًا مِنْ سَطْوَةِ
 الجلال.

ولهذا قيل: قِفْ عَلَى الْبِسَاطِ، وَإِيَّاكَ وَالْإِنْبِسَاطَ^(٩). وقال بعضُ المحقِّقين:

٩ فُتِحَ عَلَيَّ بَابٌ مِنَ الْبَسْطِ، فَزَلَّتْ زَلَّةً، فَحُجِبْتُ عَنْ مَقَامِي^(١٠).
 وَأَمَّا الْقَبْضُ فَإِنَّهُ مُنْعَصٌ لِلْعَيْشِ، مُكَدِّرٌ لِلشَّرْبِ، مُضِرٌّ لِلْفِكْرِ. ووراءهما ما
 ١٢٤ ظ | هو أتمُّ منهما.

فمن هذا الوجه استعاذ منه^(١١) أكثرُ المحقِّقين، واعتقدوا أنَّ ذلك من القصور
 في التمكن. والله الموفقُ والمعِين.

(١) الرسالة: ممسكي.

(٢*-٢) الرسالة: فأنا بحضوري أدوق.

(٣) زيادة من الرسالة.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية، ١٩٨.

(٥) لا توجد في: س.

(٦) س: صفات.

(٧) س: فيحمل.

(٨) س: الإفضال.

(٩) انظر: الرسالة القشيرية، ١٩٨. وعلى هامش الأصل إشارة إلى أنَّ العبارة في مخطوط آخر هي: واصبر
 على ضربِ السَّباطِ، وإيَّاكَ حتى تجوزَ على الصُّراطِ.

(١٠) انظر: الرسالة القشيرية، ١٩٨.

(١١) في الأصل، ع، س: منها.

قال فارسٌ: أولاً القَبْضُ، ثمَّ البَسْطُ، ثمَّ لا قَبْضُ ولا بَسْطُ، وهو محلُّ التمكين^(١). وقال الواسِطِي: يَقْبِضُكَ عَمَّا لَكَ، وَيَبْسُطُكَ فِيمَا لَكَ. وبه تمَّ القولُ في القبض والبسط.

الثامن

الفناء والبقاء

- ٦ قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ٧٣]. البقاء والفناء صفتان مُعْتَوِرَتَانِ^(٢) في نفس العبد، إحداهما تَخْلُفُ الأخرى، وهما في لسان الإشارة: فناء الوصف المذموم، وبقاء الوصف المحمود^(٣)، إذ المحلُّ^(٤) لا يَقُومُ به إلا وصفٌ واحد. فَمَنْ بقي بالوصف المحمود استتر عنه المذموم، وَمَنْ فَنِيَ عن الوصف المذموم تجلَّى عليه الوصف المحمود.
- ١٢ فَلِلْمُكَلَّفِ أفعالٌ وأخلاقٌ وأحوالٌ؛ فالأفعالُ تصرُّفه بالاختيار، والأخلاقُ جِبَلَةٌ، وقد تنتقل بالرياضة عند الاعتبار، والأحوالُ ما يَرُدُّ على العبدِ على وجه الاختبار^(٥). | فهي مترددة بين الأخلاق والأفعال، فإنَّ جَدَّ في الخِدمة وَعَمَلَ على الصفاء والوفاء وتزكية النفس كانت أحواله سَنِيَّةً رَضِيَّةً، فهي كالأخلاق الجبليَّة^(٦) في تبدلها وتغيُّرها باستعمال ما يُؤدِّي إلى ذلك من الخلوَّة والرياضة والأدب.

(١) انظر: إيقاظ المهتم شرح متن الحكم، ١: ٩٧.

(٢) في الأصل: معتوتان. والمثبت من: ع، س، التأيد.

(٣) انظر: تأييد الحقيقة، ٩٩.

(٤) ع: العمل.

(٥) ع: الاختيار.

(٦) في الأصل، ع: الجليلة، والمثبت من: س.

وكذلك إن راعى أفعاله وحملها^(١) على الإستقامة والصدق في المقاصد ارتفعت بها أعماله إلى درجة القبول، وتمكنت أحواله سالمة عن الخلل في الأصول. مثاله: من قام في مقام محمود كالزهد، فني عن ضده الرغبة، ومن فني عن ٣ الرغبة بقي بصدق الإنابة، ومن نظر في إصلاح خلقه، فأزال عن نفسه الحسد والكبر وغير ذلك من الخلق المذموم وما تتعاطاه الأنفس من الرعونات، يقال فني عن سوء الخلق، فإذا فني عنه^(٢) بقي بالفتوة والصدق^(٣)، وهذا مثال^(٤) ٦ يعمل عليه من سلك هذا المذهب.

فإذا تم فناؤه عن الأخلاق والأفعال والأحوال، ترقى منه إلى فنائه عن نفسه وعن الخلق باستيلاء^(٥) شهود الحق^(٥).

ففي | هذه الحال^(٦) الخلق ونفسه موجودان، وإنما حصل له من الذهول ما غيبه عن الإحساس بوجودهم^(٧)، وفيما قبل ذلك، فقد عدم منه^(٨) ما فني عنه، فلا وجود له بحال.

قلت: الفناء استغراق في شهود مانع عن ملاحظة الحُطُوظِ المتعلقة بوجود محدود، فيسقط عنه التمييز^(٩) بين الأشكال اشتغالا بمن^(١٠) فني به، يعني عن

(١) في الأصل، ع: وكملمها، والمثبت من: س.

(٢) الرسالة: عن سوء الخلق.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية، ٢١٢.

(٤) لا توجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

(٥*-٥) التأيد: شهوده.

(٦) التأيد: الحالة.

(٧) انظر: تأيد الحقيقة، ٩٩.

(٨) لا توجد في الأصل، والمثبت من: س.

(٩) التأيد: التمييز.

(١٠) التأيد: بما.

رؤية الاشتباه والامتثال^(١)، كما رُوِيَ عن عامر بن عبد الله: «ما أبالي، امرأة^(٢) رأيت أم حائطاً».

٣ والمتولّي له في حركاته وسكناته الحق سبحانه وتعالى، فيقوم بوظائفه ويحفظه في تصرفاته، ويحميه عن مخالفاته، وذلك مُستنبطٌ من معنى قوله في الحديث: «كنتُ له سَمْعًا وَبَصْرًا»^(٣).

٦ وأما البقاء الذي يخلّفه فهو الإقامة على ما لله عليه بعد الفناء عمّا له مِنَ الحُطُوظِ، فتبقى الأشياء كلها عنده كشيءٍ واحدٍ، فهو أبدًا دائبٌ في المُوافقاتِ دُونَ المُخالفاتِ، باقٍ بالمُوافقاتِ، فإنّ عن المُخالفاتِ^(٤).

٩ فالباقي بالحقّ عبارة عن عبدٍ فني عن نفسه، فهو يفعلُ الأشياءِ | لا لِحِظٍّ، بجلبِ منفعةٍ أو بدفعِ^(٥) مَضْرَرَةٍ، بمعنى أنّه لا يقصدُ ذلك، لا بمعنى أنّه لا يجدُ حظًا، بل إذا عملَ قربةً يقصدُ عملها لموافقةِ الأمرِ، لا للذّةِ نفسه في ذلك العملِ ولا لطلبِ ثوابٍ^(٦) عنه^(٧).

ويقال: البقاء مقامُ الأنبياءِ، أُلْبِسُوا السَّكِينَةَ، فلا يَمْنَعُهُمْ ما حَلَّ بِهِمْ عن فَرَضٍ ولا فضيلةٍ، ذلك فضلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

١٥ قلتُ: ولا يَظُنُّ جاهِلٌ بعلومِ هذه الطائفةِ أنّ معنى الفناء هو تركُ التمييزِ بين حقائقِ الأشياءِ وأحكامها، فتصيرُ الموجوداتُ كلها كشيءٍ واحدٍ، وتبقى المُخالفاتُ له مُوافقاتٍ، فبقي التمييزُ^(٨) عنده كالأمرِ؛ لفنائِهِ عن التمييزِ في الأحكامِ، فإنّ هذا مذهبٌ معلولٌ مدخولٌ، ذهبَ إليه مَنْ قَصَدَ تعطيلَ الشرائعِ

(١) انظر: تأييد الحقيقة، ٩٩.

(٢) في الأصل، ع: بامرأة. والمثبت من: س، التأييد.

(٣) انظر: تأييد الحقيقة، ٩٩.

(٤) انظر: تأييد الحقيقة، ٩٩.

(٥) التأييد: يدفع.

(٦) في الأصل، ع: ثوابًا.

(٧) انظر: تأييد الحقيقة، ٩٩.

(٨) التأييد: النهي.

وإبطال التكليف^(١)، وهو مذهب الإباحية، وإنما المعنى فيه ما قدمناه من أنه يَفْنَى^(٢) عن أوصافه وملاحظات أغراضه، ويبقى^(٣) بأوصاف الحق. فإنه إنما يفعلُ الأشياءَ لغيره لا له؛ لوجود استغنائه عن (*المنافع والمضار*)^(٤)، فالفاني ٣ محفوظٌ | بإثباته في حالة فنائه بالموافقات للأمر والنهي^(٥).

ظ ١٢٦

وللفناء مراتب أربع:

أحدها: فناء عن رؤية المخالفات والحركة بها نيّة وعملاً، وبقاء بالموافقات ٦ والحركة بها نيّة وعملاً.

وثانيها: فناء عن تعظيم شيء غير الله، وبقاء بتعظيم الله.

وثالثها: فناء عن تعظيم الدنيا وطلب الحُطُوطِ فيها، كما روي عن أبي حازم ٩ أنه قال: ما الدنيا؟! أمّا ما مضى كأحلام^(٦)، وما بقي فأمانني وغرور، وما الشيطان حتى يُهاب؟! ولقد أُطِيعَ فما نفع، وعُصِيَ فما ضرّ، (*وبقي بتعظيم الآخرة ونعيمها*)^(٧).

١٢

ورابعها: فناء بالغيبة عن الأشياء كلها^(٨)، كفناء موسى عليه السلام: عند التجلي للجبل صُعبق، فلم يُطق، ولم يُخبر عمّا فيه من الوصف بحق^(٩).

(١) التأيد: التكليف.

(٢) التأيد: فنى.

(٣) التأيد: وبقي.

(*-٤) التأيد: النافع والمضار.

(٥) انظر: تأييد الحقيقة، ٩٩.

(٦) ع، س: فأحلام.

(*-٧) لا يوجد في: ع.

(٨) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٩) في الأصل، ع: محق. والمثبت من: س.

قال إبراهيم بن شيبان: الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوجدانية وصحة العبودية، وما كان غير هذا فهو المغاليط والزندقه. ونقل معناه عن أبي يعقوب النهرجوري. ٣

قال أبو سعيد الخزاز: علامة الفاني في ذهاب حظه من الدنيا والآخرة إلا من الله تعالى، ثم يبدو له بادٍ من حق^(١) الله | ، فيريه ذهاب حظه [من الله تعالى إجلالاً لله، ثم يبدو له بادٍ من الله تعالى، فيريه ذهاب حظه]^(٢) من رؤية ذهاب حظه، وتبقى رؤية ما كان من الله لله، وتنفرد^(*) الوجدانية بالصمد^(٣) في أبديته^(٤)، فلا يكون لغير الله مع الله فناء ولا بقاء^(٥). ٦

قلت: ذهاب الحظ في الدنيا ترك الأغراض، وفي الآخرة طلب^(٦) الأعراض، وحظه من رؤية حظه من الله أن يتلاشى لها عند نفسه، فلا يرى لها في جانب عظمة الله قدرًا؛ لِحَقَّارَتِهَا، فيشتغل بالله عن رؤية ذلك، فيبقى ما كان بالله لله، وبفناء ما سوى الله، فيكون كما كان في علم الله قبل إيجاده^(٧). ٩ ١٢

فإذًا: الفناء على وجوه:

فناء العلم: وهو فناء المعرفة في المعروف، وبه بقاء المعلوم بعد إسقاط العلم، عَيْنًا لا علمًا. ١٥

وفناء بالحد: وهو فناء العيان في المعين، وبه بقاء المشهود بعد إسقاط الشهود وجودًا لا نعتًا.

(١) التعرف: قدرة.

(٢) زيادة من التعرف.

(٣*-٣) س، التعرف: الواحد الصمد.

(٤) التعرف: أحديته.

(٥) انظر: التعرف لمذهب التصوف، ١: ١٢٥.

(٦) التأييد: ترك طلب.

(٧) انظر: تأييد الحقيقة، ٩٩.

وفناء المحو: وهو الفناء عن شهود الفناء، وبه بقاء ما كان أزلاً على من لم يزل أبداً.

- الأول: (*فناء صفاته ببقاء صفات الله*)^(١)، والثاني: فناؤه عن صفات الحق ببقاء^(٢) الحق، والثالث: (*فناؤه عن فنائه ببقائه في اضمحلاله*)^(٣) في وجود الحق لجلاله.

التاسع

التوحيد

١٢٧ ظ

قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]، فمعنى قوله: «شهد» أي: حكّم وقضى وألزم وأمضى وأعلم وبيّن ورسم وعيّن، إذ الشهادة تستند إلى العلم المتيقن الذي لا شك يعترّيه. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

- وأصل الشهادة: الإخبار عن المشاهدة، وهي المعاينة، ثم يتجوّز بها للحضور والعلم. قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أي علم دخوله.

- فالحق سبحانه مُشاهدٌ للأشياء، عالمٌ بها، حاضرٌ معها، لا يعزّب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

- فالتوحيد: «تفعيل»، من الوحدة، وهي الحكم بأن الشيء واحد والعلم بذلك، وأصل أحد: «وحد»، قلبت الواو المفتوحة [همزة] والواو المفتوحة قد تُقلب همزة^(٤) كما تُقلب المكسورة والمضمومة، ومنه: امرأة (*أساء)، بمعنى

(*-١) الرسالة: فناء عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق.

(٢) الرسالة: بشهود.

(*-٣) الرسالة: فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه.

(٤) الرسالة: بشهود.

٣ | مِنْ حَيْثُ اللَّغَةُ. وَسَمَاءٌ^(١) مِنَ الْوَسَامَةِ، ^(*) وَأَوْقَيْتُ فِي وَقَيْتٍ، وَأَشَاحُ فِي وَشَاحٍ^(٢). يُقَالُ: ^(*) وَجَدَ يَجِدُ فَهُوَ وَاجِدٌ، وَوَجَدُ وَوَجِيدٌ^(٣)، كَمَا يُقَالُ: فَرَدَ فَهُوَ فَارِدٌ، وَفَرَدٌ وَفَرِيدٌ، هَذَا

١٢٨ و

٦ | أَمَّا مِنْ حَيْثُ الْعِلْمُ وَلِسَانُ الْحَقِيقَةِ: فَالتَّوْحِيدُ يَقَعُ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، ^(*) نَفْيُ الذَّاتِ: نَفْيُ التَّقْسِيمِ بِالْأَجْزَاءِ، وَفِي الصِّفَاتِ: نَفْيُ التَّشْبِيهِ بِالْأَسْمَاءِ، وَفِي الْأَفْعَالِ: نَفْيُ الشَّرِيكِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ^(٤).

٩ | قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْوَاسِطِيُّ: جَمَلَةُ التَّوْحِيدِ أَنْ كُلَّ مَا يَتَّسَعُ بِهِ اللِّسَانُ، وَيُشِيرُ إِلَيْهِ الْبَنَانُ مِنْ تَعْظِيمٍ أَوْ تَجْرِيدٍ أَوْ تَفْرِيدٍ، فَهُوَ مَعْلُومٌ، وَالْحَقِيقَةُ^(٥) وَرَاءَ ذَلِكَ^(٦).

١٢ | قُلْتُ: إِنَّ تِلْكَ مِنْ أَوْصَافِكَ، وَهِيَ مُحَدَّثَةٌ مَعْلُومَةٌ مِثْلَكَ، وَالْحَقِيقَةُ تَقْضِي أَنْ الْحَقُّ هُوَ مَنْ كَانَ وَصْفُهُ لَهُ لَا يَزُولُ. فَالتَّفْرِيدُ: نَفْيُ مَا سِوَى اللَّهِ بِإِفْرَادِ النَّظَرِ إِلَيْهِ. وَالتَّجْرِيدُ: تَرْكُ التَّطَلُّعِ لِلْأَغْيَارِ بِتَجْرُدِ الْفِكْرِ عَنْهُمْ. وَالتَّعْظِيمُ: هُوَ قِيَامُ الْمُهَيْبَةِ فِي الْقَلْبِ.

١٥ | وَقَالَ بَعْضُهُمْ: تَفَرَّدَ بِاللَّهِ حَتَّى تَكُونَ مُجَرَّدًا مِنَ الْأَغْيَارِ، وَتَكُونَ وَاحِدًا لَوَاحِدٍ، وَفَرَدًا لِمُفْرَدٍ^(٧). قَالَ الْكَلْبَلَاءِيُّ: «إِنَّ اللَّهَ وَتَرُّ يُحِبُّ الْوَتْرَ»^(٨). وَقَالَ الشُّبَلِيُّ: صِفَةُ الْمُوَحَّدِ حَقِيقَةٌ، وَحَلِيَّةُ الْمُوَحَّدِ رَسْمٌ^(٩).

(١*-*) في الأصل: اسمًا في رسمًا. والمثبت من الرسالة. وانظر: تاج العروس (أ. س. م).

(٢*-*) س: وَأُقْتَتَتْ فِي وَقَيْتٍ وَشَاحٌ فِي أَشَاحٍ.

(٣*-*) س: وَوَجَدَ يَجِدُ وَوَجِيدٌ.

(٤*-*) الرسالة: نَفْيُ التَّقْسِيمِ لِذَاتِهِ، وَنَفْيُ التَّشْبِيهِ عَنْ حَقِّهِ وَصِفَاتِهِ، وَنَفْيُ الشَّرِيكِ مَعَهُ فِي أَعْمَالِهِ وَمَصْنُوعَاتِهِ.

(٥) لا توجد في: س.

(٦) انظر: التعرف لمذهب التصوف، ١٣٥.

(٧) ع، س: لفرد.

(٨) انظر: سنن الترمذي، ٤٥٣؛ وسنن ابن ماجه، ١١٧٠.

(٩) في الأصل، ع، س: رسمًا. وانظر: الرسالة القشيرية، ٥٨٤.

قال فارسٌ: لا يصحُّ التوحيدُ ما بقيت عليه^(١) عَلاقةٌ من | التجريدِ. والمُوَحَّدُ بالقولِ لا يشهدُ السرَّ منفردًا به، والمُوَحَّدُ بالحالِ غائبٌ بحالِهِ عنِ الأقوالِ، ورؤيةُ الحقِّ حالٌ لا يشهدُ إلا كُلَّ مُتَأَلِّهِ، ولا سبيلَ إلى توحيدِهِ بلا قالٍ ولا حالٍ^(٢).

وَسُئِلَ الجُنَيْدُ عنِ التوحيدِ، فقال: معنَى تَضَمُّحِلٍ فِيهِ الرُّسُومُ، وتندرجُ فِيهِ العُلُومُ، وَيَكُونُ اللهُ تَعَالَى كَمَا لَمْ يَزَلْ^(٣).
وقال الشُّبَلِيُّ: لا يَتَحَقَّقُ العَبْدُ (* مِنَ التَّوْحِيدِ*^(٤)) حَتَّى يَسْتَوْحِشَ مِنْ سِرِّهِ وَحِسِّهِ، لِيُظْهِرَ الحَقَّ عَلَيْهِ^(٥).

وقال أبو سعيدٍ الخِرَازِيُّ: التوحيدُ على سبعةِ مقاماتٍ:

المقامُ الأوَّلُ: جَمْعُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ التَّفَكُّرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَالإِعْتِبَارُ بِكُلِّ شَيْءٍ. والمقامُ الثاني: تفرقةُ كُلِّ شَيْءٍ.

والثالثُ: الجَمْعُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

والرابعُ: فناءُ كُلِّ شَيْءٍ.

والخامسُ: إقامةُ كُلِّ شَيْءٍ.

والسادسُ: الخُروجُ عنِ كُلِّ شَيْءٍ.

والسابعُ: بَدَأَ فِيما بِهِ تَجَلَّى، وَتَجَلَّى فِيما بِهِ بَدَأَ.

وقال بعضُهُم: أركانُ التوحيدِ سبعةٌ: إفرادُ القديم^(٦) عنِ الحَدَثِ^(٧)، وتزويةُ

القديمِ عنِ إدراكِ المُحَدَثِ لَهُ، وتركُ التَّساويِ بَيْنَ التَّعَوُّتِ، وإزالةُ العِلَّةِ عنِ

(١) التَّعَرُّفُ: عَلَيْكَ.

(٢) انظر: التَّعَرُّفُ لِمَذْهَبِ التَّصَوُّفِ، ١٣٥.

(٣) انظر: الرِّسَالَةُ القَشِيرِيَّةُ، ٥٨٣؛ وَاللَّمْعُ فِي التَّصَوُّفِ، ٤٥.

(*-٤) س، التَّعَرُّفُ: بِالتَّوْحِيدِ.

(٥) انظر: التَّعَرُّفُ لِمَذْهَبِ التَّصَوُّفِ، ١٣٥.

(٦) التَّعَرُّفُ: القَدَمُ.

(٧) س: الحَادِثُ.

- الرُّبُوبِيَّة، | وإجلالُ الحقِّ عن (١) أن تجرِّي قُدْرَةَ الحَدَثِ عليه [فَتَلَوْنَهُ] (٢) وتُنزِّهه (٣) ١٢٩ و
 عن التَّمييزِ والتَّأْمُلِ، وتنزيهه عن القياس (٤).
 ٣ وقال الحُصْرِيُّ: أصولنا في التوحيد خمسة أشياء: رفعُ الحَدَثِ، وإفراذُ
 القِدَمِ (٥)، وهجرُ الإخوانِ، ومفارقةُ الأوطانِ، ونسيانُ ما عُلِمَ وجُهِّلَ (٦).
 ٦ وقال بعضهم: التَّوْحِيدُ (٧) مَنْ حَالَ اللهُ بَيْنَهُ وبين الدارينِ جميعاً؛ لأنَّ الحقَّ
 يَحْمِي حَرَمَهُ؛ قال اللهُ تعالى: ﴿حُنَّ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ۗ﴾
 [فُصِّلَتْ: ٣١] (٨).
 ٩ وقال الجُنَيْدُ (٩): أشرفُ كلمةٍ في التوحيدِ ما قاله أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه:
 «سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ لِحَلْقِهِ سَبِيلاً إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِلَّا بِالْعَجْزِ عَنِ مَعْرِفَتِهِ» (١٠).
قلتُ: المعرفةُ على ضَرَبَيْنِ: كَسْبِيَّةٌ وَضُرُورِيَّةٌ.
 فالكسبيَّةُ: اشتركَ فيها الخاصُّ والعامُّ؛ لأنَّها حادثةٌ عَنِ الاستدلالِ، وهذه
 ١٢ لَمْ يَعْتَدَّ بِهَا الصِّدِّيقُ رضي الله عنه بالنسبةِ إلى الضروريَّةِ.
 وأما الضروريَّةُ: فهو ما وجدَه أهلُ الذوقِ، ونازلهُ أهلُ الشوقِ (١١)، فتبَقَّى
 الكسبيَّةُ بالنسبةِ إلى الضروريَّةِ كضوءِ السَّراجِ بالنسبةِ إلى أشعةِ انبساطِ (١٢) الشَّمْسِ
 ١٥ في الوجودِ. وقد نَبَّهَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم على ذلك بقوله في سُجُودِهِ: «أعوذُ برضاكَ مِن

(١) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س، التعرّف.

(٢) زيادة من التعرّف.

(٣) التعرّف: وتنزيهه.

(٤) انظر: التعرّف لمذهب التصوف، ١٣٤.

(٥) س: القديم.

(٦) انظر: الرسالة القشيرية، ١٣٥.

(٧) س: الموحد.

(٨) انظر: التعرّف لمذهب التصوف، ١٣٥.

(٩) لا توجد في: س.

(١٠) انظر: الرسالة القشيرية، ٥٨٥؛ وتأيد الحقيقة، ١٠٠.

(١١) في الأصل: الشرف، والمثبت من: س.

(١٢) لا توجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

سَخَطِكَ، وبمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(١).

٣ فإذا اتَّضَحَ مَا أَشْكَلَ مِنَ التَّوْحِيدِ عَلَى الْعَارِفِينَ، صَرَخَ^(٢) بَلْبُلٌ أَفْرَاحِهِمْ، يُطْرِبُ مَا حَزَنَ مِنْ أُرُوحِهِمْ عَلَى مَا فَاتَ فِي (*جَنَابِهِ مِنْ*^٣) أَنْفُسَاحِهِمْ، فَتَنَعَمُوا بَانْشِرَاحِهِمْ فِي مَيَادِينِ فَلَاحِهِمْ، (*وَلَمْ يَتَعَلَّقْ لَهُمْ أَمَلٌ إِلَّا بِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِصَلَاحِهِمْ*^٤)، فَهُمْ بِاللَّهِ اللَّهُ يَعْمَلُونَ، وَفِي خِدْمَتِهِ يَدَابُونَ، وَأَنْفُسَهُمْ فِي التَّأْدِبِ بَيْنَ يَدَيْهِ يُكِدُّونَ، وَنِعْمَةُ اللَّهِ الَّتِي عَمَّتْهُمْ لَهَا يَعْدُونَ، أَوْلَيْكَ حِزْبُ اللَّهِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

٩ فالْمُوَحَّدُ نَفْسُهُ قَدْ غَرِقَتْ عَنِ الْفِكْرَةِ فِيمَا يُدْنِيهِ إِلَى الْحَسْرَةِ، وَعَرَفَتْ قَدْرَ شَرَفِ الْحَضْرَةِ، فَوَقَفَتْ بِالْأَدَبِ فِي تِلْكَ الرُّتَبِ، (*وَقَعَدَتْ بَيْنَ مَنَازِلِ*^٥) الطَّرْبِ وَالْحَرْبِ، وَعَجَزَتْ عَنِ مَنَالِ الْأَرْبِ.

١٢ رَوَيْنَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ وَهَمَّتْهُ غَيْرُ اللَّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ بِشَيْءٍ، وَمَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتُمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ»^(٦).
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يَصِحُّ لِأَحَدٍ تَوْحِيدَهُ | حَتَّى يُجَرِّدَ تَوْحِيدَهُ عَنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: الشُّرْكِ وَالشُّكِّ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ.

١٣٠

١٥ وَلَوْ تَتَبَعْنَا مَا قِيلَ فِي التَّوْحِيدِ لَخَرَجْنَا عَنْ فَضْلِ التَّقْرِيْبِ إِلَى التَّبْعِيْدِ^(٧). وَبِهِ تَمَّ الْقَوْلُ فِي التَّوْحِيدِ.

(١) انظر: المعجم الأوسط، ١٩٧؛ والمعجم الكبير، ٧٢٩٨؛ وسنن أبي داود، ٨٧٩؛ وسنن ابن ماجه، ١١٧٩.

(٢) في الأصل، ع: شرح. والمثبت من: س.

(٣*-) في الأصل: خيانة، والمثبت من: ع، س.

(٤*-) لا يوجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

(٥*-) غير واضح في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٦) سنن ابن ماجه، ٢٥٧؛ وشعب الإيمان، ١٧٤٤.

(٧) في الأصل: البعيد.

العاشر

الجمْع والتفرقة

٣ قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

٦ فأثبت الشهادة لنفسه بنفسه، وتلك حقيقة الشهادة القائمة الدائمة التي لا تبدل ولا تتحول، وهي الشهادة الصادقة؛ لما تضمنت من مشاهدته لذاته. والشهادات كلها فرع عنها، فمن شهد له من المكلفين إنما شهد بمقدار ما تعرّف به إليه من فضله عليه، على قدر ما أهله له.

٩ ثم قال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾. فشهادتهم اضطرارية بعصمتهم عن عصيانه ومُشاهدتهم لما في غيبه من أحكامه لمصنوعاته وإتقانه.

١٢ ثم قال: ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾، وهم صنفان: صنفُ علّموا ظاهر الشرع، وزهدوا في الدنيا، فهم أربابُ مُعاملَةٍ ومُواصلةٍ، فهمُ الزاهدون.

١٥ وصنفُ علّموا فعملوا على طهارة أنفسهم وحبسها عن مُراداتها وسجنها | عن (١) موافقاتها، وهم أربابُ حقائق، وهمُ العارفون: تفرّدوا، ثم تجرّدوا،

ظ ١٣٠

١٨ ثم توخّدوا. انفرّدوا بأنفسهم ناظرةً إليه، وتجرّدوا عن النظر لغيره اعتماداً عليه، وتوحدوا فيه أدباً بين يديه، فتخلّقوا بمعاني أسائه وصفاته، وتحقّقوا بما أشرق

٢١ في قلوبهم من أنوار ذاته، فيجمعهم إليه ويُفرّقهم به، فهمُ معهُ بحسب ما يُقام فيهم منه، سلّبت منهمُ الإرادات، ونُقِلت عنهمُ العادات، وخُلِعت عليهم خِلْعُ السعادات، ونُشِرت لهم الويوّةُ الزيّادات.

فأصلُ الجمْع: جمْعُ الهِمّةِ وتركُ تبدُّدها في مقاصدها وأعراضها، وقد وردَ في الحديث: «مَنْ جَعَلَ الهمَّ همًّا واحداً - همَّ المعادِ (٢) - كَفَاهُ اللهُ سائرَ الهمومِ،

(١) ع: في.

(٢) الشعب: آخرته.

وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الِهُمُومُ لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَّتِهَا هَلَكَ^(١)، وهذا حالُ المجاهدين والمرتاضين.

١٣١ و

٣ والفرقة: هو أن يُفَرَّقَ بينه وبين اهتمامه بحظوظِ نفسه ومَلَاذِهَا | وشهواتها، فلا يتحركُ لأجلِ نفسه، بل لشاهدٍ يُقُومُ له، فيتحركُ به.

وهذان الوصفانِ حالُ المُبتدئينِ مِنَ المُرَاعِينَ لتأديبِ أَنْفُسِهِمْ، والمُحافظينِ على تركيتها. وأما الجَمْعُ والفرقُ في لسانِ التوحيدِ فغيرُ ذلك.

٦

سُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنِ الجَمْعِ: ما هو؟، فقال: جمعُ الأسرارِ بأنْ ليسَ منه بُدٌّ، ولا شِبْهَ له ولا ضِدًّا. وقال أبو عليٍّ الدقاقُ: الفرقُ ما نُسِبَ إليك، والجمعُ ما سُلِبَ عنك^(٢).

٩

قلتُ: شهادةُ الله في الآية، وهي عينُ الجَمْعِ، إذ هو الشاهدُ والمُشهودُ له، وشهادةُ مَنْ شَهِدَ معه هو لسانُ التفرقة، إذ الكلُّ مُحدَثون.

١٢

ورميه هو عينُ الجَمْعِ، إذ هو الرامي والمُصيبُ، ورَمِي الرَسُولُ: هو التفرقة؛ لاختلافِ الرامي والرَمِيِّ، ويُجيزُهُما بالزمانِ والمكانِ، فلا غِنَى بالعبدِ عن الجَمْعِ والفرقِ في أفعاله وتوحيده، فإنَّ مَنْ لا تفرقة فيه لا عبودية له، ومَنْ لا جَمْعَ عِنْدَهُ فلا معرفة له.

١٥

وقد وقعَ الجَمْعُ بينهما^(٣) في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فالعبادةُ للفرقِ، والاستعانةُ للجمعِ. فالفرقُ ما توجَّهَتْ | إليه

١٣١ ظ

١٨

البشرية من إقامةِ وظائفِ العبودية. والجمعُ ما فُوتِحَ به العبدُ مِنَ المعاني السرية، والأسرارِ الغيبيةِ السرية^(٤)، وهو ملاحظُ النعم^(٥) عليه في تلكِ القضايا العلية. فإثباتُ قيامِ الحقِّ هو من وصفِ الجَمْعِ، وإثباتُ قيامِ الخلقِ هو من بابِ التفرقة.

(١) انظر: سنن ابن ماجه، ٢٧٥؛ وكنز العمال، ٦١٧٨؛ وشعب الإيمان، ١٧٤٤.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية، ٢٠٧.

(٣) س: منها.

(٤) لا توجد في: س.

(٥) س: المنعم.

- ٣ وجمعُ الجَمْعِ (*أتم وأعظم*^(١))، وهو أن يأخذَ العبدُ عن الإحساسِ بما برزَ^(٢) له من عالمِ الغيبِ، ويختطفَ من عالمِ الشهادةِ، فلا يُميِّز ولا يُفرِّق؛ لِمَا حُكِمَ عليه من قهرِ سلطانِ الحقيقةِ، فهذا جَمْعُ الجَمْعِ. ووراء ذلك مرتبةٌ عزيزةٌ، وتُسمَّى الفرقَ الثاني، وهو إعادته في أوقاتِ الفرائضِ لأدائها، كما حُكي أنه قيلَ للجُنَيْدِ: إن أبا الحسينِ الثوريَّ قائمٌ في مسجدِ الشُونَيْزِيِّ^(٣) منذُ أيامٍ، لا يأكلُ ولا يشربُ ولا ينامُ وهو يقول: اللهُ اللهُ، ويصلي الصلواتِ لأوقاتها. فقال بعضُ من حضره: إنَّه صاح. فقال الجُنَيْدُ: لا، ولكنَّ أربابَ المواجيدِ^(٤) محفُوظونَ بين يديِ اللهُ تعالى في مَواجيدِهِم.
- ٩ وقال أبو عليٍّ | الرُّوذُبَارِيُّ: الجَمْعُ: سرُّ التوحيدِ، (*والتفرقةُ: لسانُ التوحيدِ*^(٥)). ١٣٢ و**قال خير النساجُ: الجَمْعُ: ما اجتمعَ عليه أهلُ العلمِ، والتفرقةُ: ما اختلفوا فيه.**
- ١٢ وقد اختلفَ أهلُ الطريقِ فيما يعرضُ من هذه الأحوالِ للرجالِ، فمنهم من جعلَ الجميعَ حالاً واحدةً وإن اختلفتِ العبارةُ، وحصلتِ إليها الإشارةُ، فعنده الجَمْعُ تفرقةٌ، والفناء بقاءٌ، والشكرُ صحوٌ، والغيبةُ شهودٌ؛ لاشتغالِ معنى أحدهما على الآخرِ.
- ١٥ فإنَّ من اجتمعَ فقد فارقَ؛ لأنَّه لم يشهدْ نفسه ولا الخلقَ، فبقي دائماً مع الحقِّ، ومن فنيَ عمَّا هو له بقيَ بما هو للحقِّ، ومن بقيَ بالحقِّ فنيَ عمَّا له، ومن اجتمعَ فإنَّه لا يشهدُ غيرَ الحقِّ، فهو فانٍ عن سواه، ومن فنيَ فهو غائبٌ سكرانٌ؛ لِمفارقةِ الملاحظةِ لحظِّه، وإطراحِ التمييزِ عنده، وزواله عنه، وما يعني بذلك عدمه منه،

(*)-*(١) الرسالة: فوق هذا.

(٢) س: يبرز.

(٣) عامر بن أحمد بن محمد، أبو الحسنِ الشُونَيْزِيِّ الشافعيِّ المتوفى سنة ٣٠١ هـ، سكن إصبهان، وحدثَ عن أحمد بن عبد الجبار، وعبد الله بن محمد بن النعمان، وإبراهيم بن فهد، وعنه: الطبراني، وأبو الشيخ. انظر: تاريخ الإسلام، ٧: ٣٥.

(٤) في الأصل: المواجد، والمثبت من: ع، س.

(*)-*(٥) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

- بل يعني به استواء المكروه والمحبوب، والألم واللذة، والوصل والفصل، والغيبة والشهود... وغير ذلك من حيث اتحاد الأشياء عنده في مصدرها وموردتها عن مُدبِّرها ومُريدها، فهو لا يشهدُ اختلافاً ولا يجحدُ اثتلافاً، والحقُّ | لا ٣
- يصرفه إلا في مُرافقاته^(١)، فإذا اتحدت الأشياء عنده لم يبقَ للتمييز وجهٌ، وهذا هو غاية ما ينتهي إليه القوى البشرية من القيام بوظائف العبودية، وذلك من التشبيه بالصفات المملكية، إذ سلبت منهم الإرادات، وطرحت عنهم كلفة التطلع إلى ٦
- العادات، فسلموا من سطوبة المنازعات وغنموا، وفهموا قدرة الإهية عند المطالعات لأسرارها وعلموا، فهم حزبُ الله الغالبون العارفون، وعبادُه القانتون الآمنون، لا ٩
- يَحزُنُهُمُ الفزعُ الأكبرُ، وتتلقاهمُ الملائكةُ، هذا يومكمُ الذي كنتم تُوعَدُونَ. ومنهم من قال: هي حالاتٌ مُتواردةٌ، ووطناتٌ مُتزايدةٌ، وهو اختيارُ الأكثر. وبه تم^(٢) القول في الجَمع والفرق.
- ١٢ وقد نَجَرَ بحمدِ الله ما قَصَدناه من الكلام في المقامات والأحوال بحسب ما تَأْتى في ذلك من المقال.
- ولم نُطوِّل ذلك بكثرة الحكايات وذِكْرِ المقالات، فإننا لم نَضَع هذا إلا بحسبِ المدخلِ إلى التعرُّضِ بلسانِ أهل التصريف.
- ١٥ ومن الله نَسألُ الإمدادَ بالتوفيقِ للتحقيقِ | والتشريفِ منه على طريقِ هذه الطائفةِ بالتَّوقيفِ على التدقيقِ، فإنها الطائفةُ التي فَهِمَت مَسْتَوْرَ الأسرارِ عن خالقِها، وَعَلِمَت مدخولَ الأنوارِ في مغاربِ الأقدارِ ومشارِقِها^(٣)، فهي من الله ١٨
- مُلَهَّمَةٌ، وأسرارُها بالفناءِ عن الأغيارِ مُعَلَّمَةٌ. وبذلك انتهى ما أردناه من النوع الثاني من الطرف الثاني. والله أعلم.

(١) س: موافقاتها.

(٢) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٣) لا توجد في: س.

القولُ في التَّمتَّة

المقصودُ بما نَحَوْنَاهُ في هذا الموضوع أن يكتفي به المُطالعُ له عن كثيرٍ من
الكُتُبِ المُصنَّفَةِ في علومِ هذه الطائفةِ، فَلنُحْصِ هذه التَّمتَّةَ بما يُعَايِنُه السالكُ في
خُلُوتِه مِن رياضتِه، وما يُدَانِيهِ مِنَ الأعمالِ المُوصَّلةِ لِاعتنائه^(١).

فَنقولُ: أولُ مبادئِ سعادةِ المریدِ التطلُّعُ لطلبِ المزيدِ، والتنبُّهُ والإنزجارُ عمَّا
كان يَرتكِبُه مِنَ الأخطارِ، ثمَّ اليقظةُ والاعتبارُ، ثمَّ الحياءُ والاعتدالُ، ثمَّ التوبةُ
والإستغفارُ، ثمَّ العزلةُ عن الأغيارِ، ثمَّ الخلوَّةُ لتصفيةِ الأكدارِ، ثمَّ الإخلاصُ
في المقاصدِ، وتركُ الإشراكِ في المصادرِ مِن أمرِه والمواردِ، | ثمَّ الصدقُ^(٢) فيما
يُعَايِنُه مِن تركِ العوائدِ، ثمَّ التقوى بارتكابِ المصالحِ واجتنابِ المفاسدِ، ثمَّ الورعُ
بالتحرُّي في اكتسابِ الفوائدِ، ثمَّ الزُّهدُ في الدنيا؛ فإنَّها آفةٌ قاعِدةٌ بالمراسدِ.
فالزُّهدُ غايةٌ مُرتقى العابدينِ، وهو مقامُ العوامِّ مِنَ المُتوجِّهينِ، والتوحيدُ نهايةُ
مقامِ العارفينِ، وبينهما مراتبُ تتردَّدُ فيها آثارُ العاملينِ، فمنَ أعظمِ الإعانةِ العزلةُ
والخلوةُ.

[العزلةُ والمُعاشرةُ، أيُّهما أفضلُ؟]

وقد اختلفَ أهلُ العلمِ في الأفضلِ منهما:
فقَالَ قومٌ: العزلةُ. وقال قومٌ^(٣): المُعاشرةُ. وَفَرَّقَ آخرونَ بَيْنَ مَنْ فِيهِ مَنفَعَةٌ
متعدِّيةٌ، كالعالمِ^(٤)، وبين مَنْ لا مَنفَعَةَ فِيهِ، كالعابدِ. فالعزلةُ أَوْلَى.

(١) س: لإغائته.

(٢) ع: القصد.

(٣) ع، س: آخرون.

(٤) ع: كالعالم.

- وأما العالمُ فإنه يُقاسُ^(١) بعلمه، ولو كانت العزلة على الإطلاقِ أَوْلَى لَبَطَلَتِ الحِكْمَةُ، ونقصت الهِمَّةُ، ولَحْرَبَ ما في الوجودِ من عمارة الهداية، ولَرَغِبَ عن الهدى مَنْ كان مُقِيمًا على العَمَايَةِ. فالقولُ بالفرقِ أَوْلَى، والميلُ إلى الحقِّ ٣ لِقَدْرِ العبدِ أَعْلَى، فَالعزلةُ والخُلُوةُ منشأُ السعادةِ | ومبدأُ الزيادة. قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَعْتَرِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ [مريم: ٤٨]، فأخبر اللهُ عن إبراهيمَ باعتزاله لقومه ليتأسى به مَنْ تَبِعَهُ، فَمَنْ آثَرَ الخُلُوةَ على العِشْرَةِ، ٦ فیتعیّنُ عليه ثلاثةُ أمورٍ:
- أحدها: خُلُوةٌ مِنَ الأذكارِ إِلَّا ذَكَرَ مَوْلَاهُ فِي الجَهْرِ والإسْرَارِ.
- ٩ وثانيها: تركُ جميعِ الإراداتِ.
- وثالثها: عَزْلُ نَفْسِهِ عن ولايةِ المُطالِبَاتِ، فَإِنْ عَزَبَتْ^(٢) عن هذه الصفاتِ كانت فتنةً في جميعِ الحالاتِ.
- ١٢ وفي العزلةِ والخُلُوةِ مِنَ الفوائدِ وُجوهٌ عَشْرَةٌ:
- أحدها: سَتْرُ حالِهِ مِنَ الإطْلَاعِ عليه مِنْ عَدُوٍّ فَيَشْمَتُ به، أو صديقٍ فَيَغْتَمُّ له.
- ١٥ وثانيها: كِتْمَانُ فَاقَتِهِ وإخفاءِ حاجتِهِ.
- وثالثها: إِعَانَتُهُ على تكثيرِ فائدَتِهِ مِنْ تحصيلِهِ لِلْعِلْمِ ودراسَتِهِ، وِفْرَاغِ خاطرِهِ مِنَ الشواغِلِ المُتنوّعةِ بِنُتُوعِ إرادَتِهِ.
- ١٨ ورابعها: عَدَمُ الإِعْوَانِ^(٣) على الغيبةِ والبُهتانِ والمعصيةِ والطُّغيانِ.
- وخامسها: الأَمْنُ مِنْ تَغْيِيرِ المُنْكَرِ؛ فَإِنَّهُ لو شَاهَدَهُ لَغَيَّرَهُ، ولو غَيَّرَهُ لم يَأْمَنْ ١٣٤ ظ مِنَ العَوَائِلِ فِي | تَغْيِيرِهِ.

(١) س: يُعَاش.

(٢) س: عَرِبَتْ.

(٣) س: عَوْن.

- وسادسها: راحتته من النظر إلى زينة الدنيا وفتنة أهلها بها، فإنه لو عاشرهم لاشتغل فكره بهم، وشاركهم فيما هم فيه.
- ٣ وسابعها: المفارقة لذلل الأمل والطمع^(١)، والمرافقة لعز القناعة والورع. وثامنها: البعد عن اعتراض الناس على أقواله وأفعاله فيما يصدر عنه أو يظهر عن سهو وغفلة.
- ٦ وتاسعها: سلامته من خوف التعب بمعاشرة العوام ومخالطتهم، ومراعاة أخلاقهم، ومُعانة أمراض عقولهم.
- ٩ وعاشرها: الأمن من الذلّة والمهنة للعامة، والملاحة للخاصة والأصدقاء^(٢)، فإن كلّ مبذول مملوك، وكلّ ممنوع مأمول.
- ١٢ فإذا علمت هذه الفضيلة، وظهرت هذه المنزلة الجليلة، فقد وردت أحاديث في فضيلتها، منها ما روينا عن أبي سعيد الخدري قال: سئل رسول الله ﷺ: أيُّ الناس خير؟ قال: «رجلٌ جاهد في سبيل الله»، قالوا: ثم من؟ «قال: مؤمن في شُعب من الشُّعاب يتقي ربه ويدع الناس من شره»^(٣).
- ١٥ وروينا عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على عمل، فقال: ١٣٥ يا رسول الله، خر لي. قال: «الزم بيتك»، أو قال: «اجلس»^(٤).
- ١٨ وروينا عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الشَّيء إلى الله الغُرباء». قيل: يا رسول الله، ومن الغُرباء؟ قال: «الفرارون بدينهم، يبعثهم الله مع عيسى ابن مريم يوم القيامة»^(٥).

(١) في الأصل: والطبع، والمثبت من ع، س.

(٢) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٣) انظر: سنن أبي داود، ٢٤٨٧؛ وسنن الترمذي، ١٦٦٠؛ وسنن النسائي، ٣١٠٥؛ وصحيح ابن حبان، ٦٠٦؛ وكنز العمال، ١٠٥٣٢.

(٤) انظر: كنز العمال، ٣٠٨٧٣.

(٥) انظر: الزهد الكبير، للبيهقي، ٢١٤؛ والغرباء، للآجري، ٣٧؛ ومسنند سعد بن أبي وقاص، ٨٠.

القول في التتمة: العزلة والمعاشره، أيها أفضل؟

قال ابن عباس: أفضلُ المجالسِ مَجْلِسُ فِي قَعْرِ بَيْتِكَ، لَا تَرَى وَلَا تُرَى^(١).
وقال الفضيلُ بن عياضٍ: مِنْ سَخَافَةِ عَقْلِ الرَّجُلِ كَثْرَةُ مَعَارِفِهِ^(٢).

وقال ابن سيرين: العزلةُ عبادةٌ^(٣). وقال مكحولٌ: إِنَّ الْفَضْلَ فِي الْجَمَاعَةِ،
وَالسَّلَامَةَ فِي الْعَزَلَةِ^(٤).

وقال إبراهيم بن أدهم: أَقْلُوا مَعْرِفَتَكُمْ مِنَ النَّاسِ، وَلَا تَعْرِفُوا إِلَّا مَنْ
تَعْرِفُونَ، وَأَنْكِرُوا مَنْ تَعْرِفُونَ.

وَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دَاوُدَ إِلَى أَخٍ لَهُ: أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تَسْتَوْحِشَ مِنَ النَّاسِ؟!^(٥).
وكان الربيع بن خثيم يقول: تَفَقَّهُوا ثُمَّ اعْتَزَلُوا ثُمَّ تَعَبَّدُوا.

ولو تَبَعْنَا مَا قِيلَ فِي الْعَزَلَةِ أَطْلَنَّا؛ فَلْتَقْتَصِرْ عَلَى مَا ذَكَرْنَا. فنقول:
العزلةُ مُجَانِبَةُ الْخَلْقِ بِالْجَسَدِ، وَمُبَاعِدَةٌ | النَّاسِ مِنْ خَوْفِ النِّكَدِ.
وَالْخُلُوةُ: مُقَاتَعَةُ الْعِبَادِ بِمُطَالَعَةِ الْمُرَادِ.

ظ ١٣٥

فالعزلةُ ابتداءٌ، والخلوةُ انتهاءٌ. هذا ما يتعلّقُ بِحُكْمِهَا عَلَى الْعُمُومِ.
أما ما يتعلّقُ بِدُخُولِ الْخُلُوةِ الْخَاصَّةِ الَّتِي وَقَعَ الْإِصْطِلَاحُ بَيْنَ الصُّوفِيَّةِ عَلَيْهَا،
فإنهم اقتصروا من عددِ الأيامِ على أربعين، وَسَمَّوْهَا بِالْأَرْبَعِيَّةِ.

فالكلامُ يَقَعُ فِي مَبْدَأِ أَصْلِهَا، وَفِي ذِكْرِ فَضْلِهَا، وَفِي أَدَبِ فِعْلِهَا، وَفِي ثَمَرَةِ
قَصْدِهَا. فَلْنَجْعَلِ الْكَلَامَ فِيهَا فِي أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

(١) انظر: إحياء علوم الدين، ٤: ٢٥٢.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين، ٤: ٢٥٢.

(٣) انظر: العزلة والانفراد، ١٤؛ والعزلة، للخطابي، ٢٦.

(٤) انظر: العزلة والانفراد، ٢٦.

(٥) انظر: العزلة والانفراد، ١٩٧.

القسم الأول

في مبدأ أصلها

- ٣ قال الله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢]. رَوَى أَهْلُ السِّيَرِ أَنَّ مُوسَى عليه السلام وَعَدَّ قَوْمَهُ إِذْ كَانُوا بِمِصْرَ أَنْ عَدُوَّهُمْ إِذَا هَلَكَ وَنَجَّوْا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يَأْتِيهِمْ بَكْتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فِيهِ بَيَانٌ^(١) الْحَلَالِ مِنَ الْحَرَامِ وَالْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ، فَلَمَّا حَصَلَ الْمَهْلَاكُ لِعَدُوَّهُمْ سَأَلَ مُوسَى مِنْ رَبِّهِ الْكِتَابَ، | فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِصَوْمِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ١٣٦ و - ذُو الْقَعْدَةِ - فَلَمَّا انْقَضَتْ^(٢) أَنْكَرَ خَلُوفَ فَمِهِ، فَتَسَوَّكَ بِعُودٍ مِنْ خَرْنُوبٍ، ٩ فَقَالَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كُنَّا نَشْمُ مِنْ فِيكَ رِيحَ^(٣) الْمِسْكِ فَأَفْسَدْتَهُ بِالسَّوَالِكِ!، فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِصَوْمِ^(٤) عَشْرَةِ أَيَّامٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، لِيَعُودَ الْخُلُوفُ، وَقَالَ لَهُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدَ اللَّهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ؟، ^(٥) *وَكَانَ صَوْمُ مُوسَى طَيِّبًا* ١٢ مِنْ غَيْرِ تَخَلُّلٍ أَكَلَ لَا صَوْمًا وَفِطْرًا بِاللَّيْلِ^(٦). وَقِيلَ: إِنَّ الْمِيقَاتِ كَانَ شَهْرَ ذِي الْحِجَّةِ وَعَشْرَ الْمُحَرَّمِ. الْأَوَّلُ أَكْثَرُ وَأَشْهُرٌ.

- ١٥ وورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ الْعِبَادَةَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ»^(٧)، وَرُوِيَ: «تَفَجَّرَتْ». فَلَمَّا وَقَعَ التَّحْدِيدُ لِمِيقَاتِ مُوسَى بِالْأَرْبَعِينَ وَبِالْإِخْلَاصِ بِالْأَرْبَعِينَ، جَعَلَ أَهْلُ الطَّرِيقِ ذَلِكَ بَابًا لِمَدْخَلِ الْمُتَوَجِّهِينَ، وَلَمْ يُعَيِّنُوا الْأَرْبَعِينَ لِمَقْصِدٍ،

(١) ع، العوارف: تبيان.

(٢) العوارف: تمت.

(٣) العوارف: رائحة.

(٤) ع، العوارف: أن يصوم.

(٥) لا توجد في الأصل، س: طيبًا، والمثبت من: ع.

(٦)*-٦* العوارف: ولم يكن صوم موسى عليه السلام ترك الطعام بالنهار وأكله بالليل.

(٧) انظر: الزهد، لهناد، ٦٧٨؛ والزهد، لابن المبارك، ١٠١٤.

يُخَصِّصُونَهَا بِهِ دُونَ بَاقِي أَرْزَامِهِمْ. لَكُنْهُمْ لَمَّا بُغِثُوا نَفَحَاتِ الْمَخَالَفَاتِ فِي أَعْمٍ
 ١٣٦ ظ | مَا يَتَكَرَّرُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَوْقَاتِ، اخْتَارُوا ضَبْطَ الْوَقْتِ عَنِ التَّبَدُّدِ، وَخَصَّرَهُ بِالتَّقْيِيدِ،
 ٣ وَعَيَّنُوا مِنْهُ الْأَرْبَعِينَ، تَرْجِيًّا مِنْهُمْ لِانْسِحَابِ الْحُكْمِ فِي الْأَرْبَعِينَ عَلَى مَا يُسْتَقْبَلُ مِنْ
 أَرْزَامِهِمْ، فَيَبْقُوا فِي أَوْقَاتِهِمْ كُلِّهَا كَمَا كَانُوا فِي الْأَرْبَعِينَ، فَإِنَّ الْخَيْرَ لِلْأَنْفُسِ عَادَةً.

وَالْحِكْمَةُ فِي التَّقْيِيدِ بِالْأَرْبَعِينَ وَالتَّحْدِيدِ لَهَا بِالتَّعْيِينِ فِيهِ سِرٌّ خَفِيٌّ، حَتَّى لَا
 ٦ يُطَّلِعَ عَلَى حَقِيقَتِهِ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ وَمَنْ اخْتَصَّه اللَّهُ بِالْعِنَايَةِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ.
 عَلَى أَنَّهُ قَدْ رَوَى ^(١) أَهْلُ السَّيْرِ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَمَّرَ طِينَةَ آدَمَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا،
 فَلَا يَبْغُدُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ^(٢) لَمَّا اسْتَخْلَصَهُ * لِعِمَارَةِ الدَّارَيْنِ - الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ -
 ٩ كَوْنَهُ مِنَ الثَّرَابِ وَجَعَلَهُ تَرْكِيبًا مُتَنَاسِبًا، فَعَمَّرَ بِهِ عَالَمَ الْحِكْمَةِ وَالشَّهَادَةِ، وَهِيَ دَارُ
 الدُّنْيَا. فَلَوْلَا تَرْكِيبُهُ مِنْ أَجْزَائِهَا الْكَثِيفَةِ لَمَّا تَمَكَّنَ مِنْ عَمَارَتِهَا؛ لِأَنَّ وُجُودَ الْمُنَاسِبَةِ
 يَقْتَضِي حُكْمَ الْمَصَاحِبَةِ، فَلَمَّا رَكَّبَهُ مِنَ الْأَجْزَاءِ الْأَرْضِيَّةِ السُّفْلِيَّةِ خَمَّرَهُ تِلْكَ الْمُدَّةَ
 ١٢ لِيُبْعِدَهُ عَنِ عَالَمِ الْغَيْبِ بِأَرْبَعِينَ حِجَابًا | كُلُّ يَوْمٍ بِقِيَامِ حِجَابٍ، فِي كُلِّ حِجَابٍ
 إِيدَاءٌ مَعْنَى يُبَاهِلُ ^(٣) بِهِ لِصَلَاحِهِ ^(٤) عِمَارَةَ هَذِهِ الدَّارِ، وَيَتَعَوَّقُ بِهِ عَنِ التُّهُؤُصِ إِلَى
 مَوَاطِنِ الْقُرْبِ مِنَ الرَّبِّ، ^(٥) * فَيُبْعَدُ بِتِلْكَ الْحُجُبِ عَمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْقُرْبِ ^(٥)، حَتَّى
 ١٥ يَقُومَ بِوُضُوءِ الْخِلَافَةِ فِي الْأَرْضِ وَعِمَارَةِ عَالَمِ الْحِكْمَةِ، فَإِذَا لَاحَ لِبَصِيرَتِهِ نُورُ
 الْهُدَى، وَخُلِعَ عَلَى قَلْبِهِ خَلْعُ الرِّضَى تَذَكَّرَ تِلْكَ الْمَعَاهِدَ الْأُولَى، فَحَنَّ إِلَيْهَا، فَأَقْبَلَ
 بِقَلْبِهِ، وَتَبَتَّلَ إِلَى رَبِّهِ، وَأَعْرَضَ عَنِ التَّوَجُّهِ لِتَدْبِيرِ مَعَايِشِهِ، فَدَخَلَ إِلَى الْخُلُوةِ لِقَطْعِ
 ١٨ تِلْكَ الْحُجُبِ الْمُتَّصِلَةِ بِهِ، فَمَا يَنْقُضِي عَنْهُ يَوْمٌ إِلَّا وَقَدْ ارْتَفَعَ عَنْهُ حِجَابٌ، وَتَجَدَّدَ
 مِنَ الْجَنَّاتِ الْعُلَى مَنْزِلَةَ الْإِقْتِرَابِ. فَبِتِهَامِ الْأَرْبَعِينَ يُرْفَعُ ^(٦) الْحِجَابُ، وَيَتِمَكَّنُ الْقُرْبُ
 مِنَ الْجَنَابِ، وَتَتَفَجَّرُ يَنْابِيعُ الْحِكْمَةِ عَلَى مَا عَلَا مِنْهُ مِنَ الْهَمَّةِ.

(١) فِي الْأَصْلِ: رَأُوا. وَالْمَثْبُوتُ مِنْ: عَد، س.

* - (٢) س: لَمَّا اسْتَخْلَصَهُ، الْعَوَارِفُ: لَمَّا كَانَ مُسْتَصْلِحًا.

(٣) عَد: تَأَهَّلَ، س: يَتَأَهَّلُ.

(٤) عَد: لِصَاحِبِهِ، س: لِصَلَاحِيَّةِ.

* - (٥) لَا يَوْجُدُ فِي الْأَصْلِ، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ: عَد، س.

(٦) عَد: تُرْفَعُ عَنْهُ.

وعلامته صححة خلوة الأربعينية جودة^(١) حاله بعد خروجه منها، وتثقل ما كان فيه من دميم صفاته، وتبدل ما كان عن الصواب حائلاً من حالته، بإقباله بعد رغبة على زهادته، وتجافيه عن دار الغرور، وإنابته إلى دار الخلود، ٣
فإن الزهادة لازمة لإشراق ظهور نور الحلية^(٢)، فمن لم يزهّد لم يظفر بالحكمة، ١٣٧ ظ
وَمَنْ خَرَجَ مِنَ الْأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَظْفَرْ بِالْحِكْمَةِ بَعْدَهَا دَلَّ عَلَى أَنَّ دُخُولَهُ ٦
كَانَ مَعْلُوبًا، وَأَنْ شَرَطَ صِحَّتَهَا كَانَ مَدْخُولًا، وَأَنَّهُ لَمْ يُخْلِصْ فِي تَوَجُّهِهِ ٦
وَعِبَادَتِهِ، فَلَمْ يَكُنْ عَمَلُهُ مَقْبُولًا. فَإِنَّ الْإِخْلَاصَ أَسَاسُ قَبُولِ الْأَعْمَالِ الْمُتَقَرَّبِ ٦
بِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٩
الدين﴾ [البينة: ٥].

روينا عن عبد الحميد بن ثابت بن ثوبان: حدثني أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «طوبى للمخلصين، أولئك أصحاب الهدى، تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء»^(٣). ١٢

وروي في حديث مسلسل عن حذيفة قال: سألت النبي ﷺ عن الإخلاص: ما هو؟ قال: «سألت جبريل عليه السلام عن الإخلاص: ما هو، قال: [سألت رب العزة عن الإخلاص ما هو؟ قال] ^(٤) سِرٌّ مِنْ سِرِّي، أَوْدِعَهُ ^(٥) قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُ مِنْ عِبَادِي»^(٦). ١٥
فَمَنْ لَا إِخْلَاصَ لَهُ فِي عَمَلِهِ فَإِنَّهُ لَا وُصُولَ لَهُ فِي خَلْوَتِهِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ أَمَلِهِ^(٧).

(١) في الأصل، ع: لجودة، والمثبت من: س.

(٢) ع، س: الحكمة.

(٣) انظر: شعب الإيمان، ٦٨٦١.

(٤) زيادة من نص الحديث.

(٥) ع: أودعته.

(٦) انظر: العجالة في الأحاديث المسلسلة، ١: ٨٩؛ وأخرجه القشيري في «الرسالة» عن أبي عبد الرحمن السلمي لسنده إلى الحسن عن حذيفة - والحسن لم يسمع عن حذيفة - وهو مسلسل بالسؤال. انظر: الرسالة القشيرية، ١: ٩٥.

(٧) انظر: عوارف المعارف، ١: ٢٣٠.

١٣٨ و

وفي الصحيح من حديث عروة عن عائشة قالت: «أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان (*يخلو بغار*)^(١) حراء، فيتحنث فيه الليالي ذات^(٢) العدد، ويتزوّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة يتزوّد لمثلها، حتى فاجأه الحق في غار حراء...» الحديث بطوله^(٣).

قلت: فالخلوة مبادئ الكرامة بوصول رتبة الإمامة لمن أهل لدرجتها^(٤)، وأقيم في رتبها، أو لحصول السلامة في دار المقامة، لمن كانت له من الله عناية، وله منه وإليه في نفسه إعانة ورعاية.

فهذا هو الأصل في الخلوة وتحديدتها بالأربعين؛ لما في ذلك الأمر^(٥) من الربح المبين^(٦) للمتوجهين.

وقد روي لنا أن داود التميمي لما ابتلي بالخطيئة خرّ لله ساجداً أربعين يوماً وليلة، حتى أتاه الغفران من ربه^(٧).

وروي عن سفيان الثوري أنه قال: كان يقال: ما أخلص (*عبد الله*)^(٨) أربعين صباحاً إلا أنبت الله الحكمة في قلبه، وزهده الله في الدنيا، ورغبه في الآخرة، (*بصره داء*)^(٩) النفس، وبصره بداء | الدنيا ودوائها^(١٠).

١٣٨ ظ

(١*-*) العوارف: يأتي.

(٢) س، العوارف: ذوات.

(٣) انظر: عوارف المعارف، ١: ٢٣١.

(٤) س: لدرجتها.

(٥) ع، س: للأنفس.

(٦) س: المتين.

(٧) انظر: عوارف المعارف، ١: ٢٤١.

(٨*-*) العوارف: العبد الله.

(٩*-*) محو في الأصل بمقدار كلمتين، والمثبت من: ع، س. وفي العوارف: بصره بعيوب.

(١٠) انظر: عوارف المعارف، ٢٤١.

القسم الثاني في ذكر فضلها

- ٣ قد تقدمت الأحاديث في ذكر فضلها^(١) - فضل الخلوة - على الإطلاق من غير تقييد بزمن معين، وقد تقدم^(٢) أن هذا العدد لم يقصد إلا لثمرن النفس على الخلوة في هذه المدّة، فيألفها الطبع، وتنقاد لها النفس، ويسكن إليها ما تحرك من الخاطر، ويشغل بها ما توزع من الفكر الحاضر، ويجتمع فيها ما تفرق من السر السائر، ويستأنس بها - في الباطن - ما استوحش بما اتصل من الذكر الوافر، وتشرف الأعمال بكثير من نتائجها وثمراتها ومقاصدها.
- ٩ والمقصود منها رفع الحجب عن القلب، وصفاء السر، وتصحيح المعاملة، وهذه كلها أمور^(٣) للشرع مطلوبة، فكانت المحافظة عليها محبوبة.
- ولا يحتلج في سر من يتوجه إلى باب رب العالمين من المرئدين إلى طي الأربعين أساس في وصلة المنقطعين، ولكنّه زيادة في رتبة المقرّبين، وعبادة من جملة وجهة المخلصين.
- ولو كان ذلك كذلك لما فاتت هذه الفضيلة جملة من السلف الماضين، ولتقرب بها الرسول ﷺ ومن قبله من الأنبياء والمرسلين، ولا إشكال أن لها أثراً^(٤) في التطهير من دنس الرذائل، وإن كانت المواهب الإلهية لا تتوقف ولا تنحصر في تعاطي الفضائل؛ فقد يوجد من يتناول الغداء كل يوم وهو من المقرّبين، ومن يطوي الأربعين وهو من المبعدين المغرورين؛ فعلى النفوس وآفاتهما ليس لها غاية، ومنح الله وعطاياه ليس لانقضائها نهاية.

١٣٩ و

(١) انظر فيما تقدم ٢٣٩.

(٢) س: تقرّر.

(٣) ع: للسر.

(٤) في الأصل: أثر.

القول في التتمة: العزلة والمعاشرة، أيها أفضل؟

قال محمد بن حامد: جاء رجلٌ إلى زيارة أبي بكرٍ الوراقِ، فقال له: أوصني. فقال: وجدتُ خيرَ الدنيا والآخرةِ في الخلوةِ والقلّةِ، ووجدتُ شرَّهما في الكثرةِ والإختلاطِ^(١). وبه تمّ القسمُ الثاني.

٣

القسم الثالث

في أدب الدخولِ في الأربعين، وما يتوجب^(٢)

المحافظةُ عليه فيها، لمن رغبَ فيها من المتوجّهين

٦

١٣٩ ظ قد تقدّم بيانُ شرفِ العزلةِ، وما | فيها للعبدِ مِنَ الوصلةِ، وبيانُ وجهِ تحديدها بالأربعين. وقد تقدّم بكاءُ داوودَ على خطيبته أربعينَ يوماً وليلاً، وأنَّ اللهَ غَفَرَ له^(٣).

٩

فإذا عزمَ المريدُ على الدخولِ في الخلوةِ، فلا بدَّ من شروطٍ قبلها:

أحدها: شيخٌ يسوِّهه، فإنَّ تَعَدَّرَ فصاحبُ عارفٍ يُؤنِّسه. وثانيها: الرياضةُ

١٢ على ما شرَّطه الناظرونَ مِنَ التنقيصِ بالتدرّج. قال الشيخُ أبو طالبِ المكيُّ: عَرَفْنَا مَنْ طَوَى أَرْبَعِينَ يَوْمًا بِرِيَاضَةِ النَّفْسِ فِي تَأْخِيرِ الْقُوْتِ، كَانَ يُؤَخَّرُ فِطْرَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى نِصْفِ سُبْعِ اللَّيْلِ حَتَّى يَطْوِيَ لَيْلَةً فِي نِصْفِ شَهْرٍ، فَيَطْوِي الْأَرْبَعِينَ فِي سَنَةٍ وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، فَتَنْدَرُجُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى تَكُونَ «الْأَرْبَعِينَ» بِمَنْزِلَةِ يَوْمٍ وَاحِدٍ^(٤).

١٥

قلتُ: الإقدامُ على الجوعِ بالتقليلِ^(٥) والطِّيِّ من غيرِ تدرّجٍ جهلٌ بالطريقِ،

١٨ وخروجٌ عن أدبِ الشريعةِ والحقيقةِ. وقد تعاطى قومٌ إدخالَ تابِعِيهِمُ الخَلَوَاتِ،

(١) انظر: عوارف المعارف، ١: ٢٣٣.

(٢) ع، س: يتوجه.

(٣) انظر فيما سبأني، ٢٤٧.

(٤) انظر: عوارف المعارف، ١٤٦-٢٤٧.

(٥) ع: بالقليل.

- فاختلت أذهانهم، وذهبت عقولهم، ومات منهم جماعة، | وهذا جرأة^(١) على ١٤٠
الله وعلى أهل الطريق وقلة دين مانعة من المشي على قدم التوفيق.
وللناس فيه مذاهب: أحدها هذا. والآخر: قدر ما يأكل بنوى أو حصى ٣
متقارب أو قُضبان^(٢) خُضِر، فَيَرَنُ بعد ذلك قُوته، وَيُسْقِطُ (*كل يوم*^٣) نَوَاهُ،
وإن كان بالقُضبان. فكل يوم يُجْف، فيجوع ولا يتأذى، ولا ينحل له مزاج،
وتبقى له عادة، فلا يتضرر بالوصال بعد ذلك، ولا بالطي؛ لإعتياده له. ٦
وثالثها: صحّة القصد في دخول الخلوة، فإن الغلط قد كثر في داخلها
ومتعاطيها لما سمعوا أنّ جماعة فعلوها، وفتح عليهم فيها، وهذا منهم تلاعب
في الطريق، وعُدول عن سبيل التحقيق، وتحريف للكلم عن مواضعه، قد فتح ٩
الشیطان به عليهم باب الغرور، وسلك بهم مسالك الجرأة على الله وارتكاب
الفجور، فبنوا الأساس في خلوتهم على شفا جرف هار، وفاتهم نور الإخلاص
الذي به في الأعمال يكون وجود الاختصاص. | وهذا عمل معلول، وقصد ١٤٠
مدخول، تُعدّم منه الفوائد، وتوجد فيه الأوبد، وبصحّة النيات وتصحيحها
تزكو الأعمال، وتزین بالقبول في جملة الأحوال.
وهذه الطائفة إنّا اختارت الخلوة؛ لما قدّمناه من الفوائد العشر فيها، على ١٥
ما تقدّم في القسم الأول^(٤).
ومقصد هذه الطائفة فيها خمسة أوجه: أحدها سلامة الدين، وثانيها تفقّد ١٨
أحوال النفس، وثالثها مراقبة خواطرها، ورابعها قطع وساوسها بالذكر،
 وخامسها إخلاص العمل لله وحده^(٥) سرّاً عن أعين الناظرين مع ما يفتح الله به
على المتوجّه من تصحيح النيّة، فإنّ النيات الصالحة هي أساس كل خير.

(١) ع: جزاؤه.

(٢) شجرة ذات حجم متوسط يتراوح ارتفاعها ما بين ٤٥ و٥٠ قدماً، وشكلها بيضاوي، وينمو الجذع
البيتي الداكن اللون بشكل مستقيم، ويصل قطرها غالباً إلى ٥ أقدام.

(*—٣*) لا يوجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٤) انظر فيما سبق...

(٥) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

القول في التتمة: العزلة والمعاشرة، أيها أفضل؟

- ولأجل هذا قال عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(١).
 فعلى النية مدارُ تصحيح الأعمال، ومنها مَثَارُ إصلاح الأحوال. فَمَنْ دَخَلَهَا
 على صِحَّةِ عَزْمِهِ وَقُوَّةِ هَمِّهِ، فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الزِّيَادَاتِ، فَأَشْرَقَتْ عَلَيْهِ أَنْوَارُ
 السعاداتِ، | وَمَنْ دَخَلَهَا لِيَرَى وَيَسْمَعَ، وَيُخَاطَبَ وَيُكَلِّمَ وَيُشْرِفَ عَلَى عَالَمِ
 الغيبِ، وَيُشَاهِدَ حَالَ أَهْلِ الْقَبْضَتَيْنِ عِنْدَ النِّشَاطَيْنِ، وَيُعْظَمَ^(٢) فِي عَيْنِ الْعِبَادِ بِمَا
 يَتِمُّ لَهُ مِنَ الْمُرَادِ، وَلِيَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ^(٣) الْمُقْرَبِينَ وَالْأَبْرَارِ، وَالْمُطَهَّرِينَ الْأَسْرَارِ، لَمْ
 يَكُنْ سَعْيُهُ مَشْكُورًا، وَلَا حِظُّهُ مِنَ اللَّهِ مَوْفُورًا، بَلْ إِنَّمَا يَدْخُلُهَا لِمَا قَدَّمْنَا.
 وَإِنَّهُ يَلَازِمُ تِلْكَ الْبُقْعَةَ مُلَازِمَةً الْمَيْتِ لِبُقْعَةِ قَبْرِهِ، خَالِيًا عَنِ إِرَادَتِهِ، وَالشَّيْخُ
 أَوْ الرَّفِيقُ الَّذِي تَبِعَهُ^(٤) هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى تَدْبِيرَ أَمْرِهِ، حَتَّى يَظْهَرَ لَهُ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ
 أَمْرِ بَقَاءٍ أَوْ نَهْيٍ عَنِ اسْتِدَامَةٍ^(٥).
 قال الشيخ أبو تميم المغربي: مَنْ اخْتَارَ الْخُلُوعَ عَلَى الصُّحْبَةِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
 خَالِيًا مِنْ جَمِيعِ الْأَذْكَارِ إِلَّا ذَكَرَ رَبَّهُ،^(*) وَخَالِيًا مِنْ جَمِيعِ الْمُرَادَاتِ إِلَّا مُرَادَ رَبِّهِ^(٦)،
 وَخَالِيًا مِنْ مُطَالَبَةِ النَّفْسِ مِنْ جَمِيعِ الْأَسْبَابِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَإِنَّ خُلُوعَهُ
 تَوَقُّعُهُ فِي فِتْنَةٍ أَوْ بَلِيَّةٍ^(٧).
 فإذا صَحَّتِ النِّيَّةُ لِلْمُرِيدِ فِي دُخُولِ الْخُلُوعِ، فَالْأَجْمَلُ^(٨) لَهُ التَّجَرُّدُ مِنْ كُلِّ
 شَيْءٍ يَمْلِكُهُ، حَتَّى لَا | يَتَعَلَّقَ أَمْلُهُ بِشَيْءٍ خَارِجٍ عَنْهُ، وَأَنْ يَغْتَسِلَ غُسْلًا يَنْوِي

(١) انظر: سنن أبي داود، ٢٢٠٣؛ والسنن الكبرى، ١٨٤؛ وسنن ابن ماجه، ٤٢٢٧؛ والمعجم الأوسط، ٤٠؛ وصحيح ابن حبان، ٣٨٨.

(٢) في الأصل، ع: وتعظيم، والمثبت من: س.

(٣) لا توجد في: س.

(٤) ع، س: معه.

(٥) ع: استدامته.

(٦-*) لا يوجد في: ع.

(٧) انظر: الزهد الكبير، ١٩٧؛ والرسالة القشيرية، ١: ٢٢٣.

(٨) س: فالأكمل.

به^(١) التأهُبَ لِلِقَاءِ رَبِّهِ^(٢)، فَإِنَّهُ فِي كُلِّ نَفْسٍ مِنْهُ إِلَى اللَّهِ سَائِرٌ، يَتَقَطَّعُ مَسَافَاتِ الْحُجُبِ الْحَائِلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِتِّصَالِ، وَيَحْتَاطُ فِي طَهَارَةِ ثِيَابِهِ وَبُقَعَتِهِ الَّتِي يَمَكُثُ فِيهَا، وَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ يَنْوِي بِهِمَا الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ إِلَيْهَا. ٣

فَإِذَا تَحَقَّقَ مِنْهُ الْعَزْمُ دَخَلَ إِلَى مَكَانِ خَلْوَتِهِ، وَبَدَأَ بِالْيَمِينِ فِي دُخُولِهِ، وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ يَنْوِي بِهِمَا التَّوْبَةَ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ مُتَابَعَةِ الْعَادَاتِ وَمُطَابَعَةِ النَّفْسِ بِالْمُرَادَاتِ، فَإِذَا سَلَّمَ جَدَّدَ التَّوْبَةَ وَأَكْثَرَ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ وَالتَّضَرُّعِ وَالتَّخَضُّعِ وَالبُكَاءِ وَالإِسْتِكَانَةِ وَقَدْ رَأَى أَنَّهُ كَعَبْدٍ أَبْقَى دَهْرًا، ثُمَّ عَادَ مِنْ إِبَاقِهِ يَطْلُبُ رِضَى سَيِّدِهِ، وَيُسَوِّي بَيْنَ سَرِيرَتِهِ وَعِلَانِيَتِهِ. ٦

ثُمَّ يَمَكُثُ فِي مَوْضِعِهِ ذَاكِرًا لَا يَفْتَرُ وَلَا يَقْصُرُ، دَائِمَ الطَّهَارَةِ، لَا يَنَامُ إِلَّا عَنِ رَغْبَةٍ^(٣)، وَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا لِصَلَاةٍ جُمُعَةٍ أَوْ جَمَاعَةٍ؛ فَإِنَّهُ يُقَالُ إِنَّ ذَلِكَ يَحْفَظُ مِنَ تَطَرُّقَاتِ^(٤) | الْآفَاتِ الْعَارِضَةِ فِي الْخَلَوَاتِ، وَلَعَلَّهُ مَا أَتَى عَلَى كَثِيرٍ فِي خَلْوَتِهِ ١٢
إِلَّا بْتَهَاوِنِهِ^(٥) بِتَرْكِ جَمَاعَتِهِ وَجُمُعَتِهِ.

وَلَيْكُنْ^(٦) ذَاكِرًا إِذَا خَرَجَ، غَاضًّا لِيَبْصِرَهُ عَنِ مُشَاهَدَةِ مَا يَعْضُرُ لَهُ فِي طَرِيقِهِ، فَإِنَّ الدَّهْنَ إِذَا صَفَا انْتَفَشَتْ فِيهِ الْمُبْصِرَاتُ^(٧)، فَيَنْشَأُ عَنْهَا حَدِيثُ النَّفْسِ، فَيُخَشَى الْإِسْتِرْسَالُ فِيهِ إِلَى هَدْمِ مَا قَدْ بَنَاهُ فِي خَلْوَتِهِ. ١٥
وَلِيَتَأَهَّبَ لِلْإِقَامَةِ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى يُدْرِكَ تَكْبِيرَةَ الْإِحْرَامِ مَعَ الْإِمَامِ. وَيَنْصَرَفُ عِنْدَ انْقِضَائِهَا، وَيَحْذَرُ أَنْ تَجِدَ نَفْسَهُ حَلَاوَةً تَطَّلُعُ النَّاسَ إِلَيْهِ^(٨).

(١) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٢) س: الله.

(٣) ع، س: غلبة.

(٤) ع، س: تطرُق.

(٥) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٦) ولكن.

(٧) ع: المصنوعات.

(٨) انظر: عوارف المعارف، ٢٤١-٢٤٢.

وَالْعِلْمُ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْخُلُوعِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُقَالُ: «لَا يَطْمَعُ عَبْدٌ فِي الْمَنْزَلَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَهُوَ يُرِيدُ الْمَنْزَلَةَ عِنْدَ النَّاسِ». وهذه قاعدة عظيمة وأصل كبيرٌ مُعْتَمَدٌ عَلَيْهِ فِي (١) تصحيح الأعمال؛ فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ فِيهَا يَتَّقِعْ عِنْدَهُ مِنْهُ عَلَى الْإِهْمَالِ فَقَدْ أَتَعَبَ نَفْسَهُ ٣ وَكَدَّهَا، وَفَوَّتَ مَا أَمِلَ أَنْ يَجِدَهُ بِخُلُوعِهِ عِنْدَهَا.

وَلِيَجْعَلَ وَقْتَهُ كُلَّهُ فِيهَا وَقْتَ رِضَى عَنِ اللَّهِ بِمَا يُقِيمُهُ فِيهِ مِنْ طَاعَتِهِ، وَلِيُوزِعَ أَوْقَاتَهُ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ إِنْ كَانَ يَحْفَظُهُ، وَإِلَّا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ، وَإِلَّا قَرَأَ ٦ | ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، أَوْ ذِكْرًا وَصَلَاةً نَافِلَةً، أَوْ مُرَاقَبَةً؛ فَمَهْمَا أَحْسَنَ بِفُتُورٍ أَوْ عَجْزٍ، نَامَ حَتَّى يَزُولَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، وَإِنْ وَظَّفَ عَلَيْهِ عَمَلًا مَعِينًا مِنْ صَلَاةِ رَكَعَاتٍ مَعْلُومَةٍ أَوْ تِلَاوَةِ مَحْدُودَةٍ، أَوْ أَذْكَارٍ مَعْدُودَةٍ، فَلَا بَأْسَ بِهِ، وَإِنْ جَعَلَ ٩ الْحُكْمَ لِلْوَقْتِ فِي الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ؛ فَحَسَنٌ يَعْمَلُ عَلَى مَا هُوَ أَخْفُ عَلَيْهِ وَأَنْشَطُ لِنَفْسِهِ. وَهُوَ مُخَيَّرٌ فِي إِطَالَةِ الْقِيَامِ فِي الصَّلَاةِ وَالرَكَعَاتِ وَالسَّجَدَاتِ عَلَى قَدْرِ مَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ فِي حَالِ التَّوَجُّهَاتِ. فَلْيُحَافِظْ عَلَى ذَلِكَ عَدَدًا مَا فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ١٢ مِنْ السَّاعَاتِ.

وَأَفْضَلُ الذِّكْرِ لِلْمُبْتَدِئِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَلِيُمَدِّهَا بِحَسَبِ مَا يَسْتَطِيعُ مِنَ الْمَدِّ. قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: إِذَا قُلْتَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» مُدِّ الْكَلِمَةَ، وَانظُرْ إِلَى قَدَمِ الْحَقِّ فَأَثْبِتْهُ، وَأَبْطِلْ مَا سِوَاهُ.

فَلْيَلِزِمْ هَذَا الذِّكْرَ حَتَّى يُفْتَحَ لَهُ، أَوْ يَأْمُرَهُ الشَّيْخُ، أَوْ مَنْ لَهُ نَظَرٌ وَكَشْفٌ، أَوْ يَرَى هُوَ مَا يَقْتَضِي الْإِنْتِقَالَ عَنْهُ، فَإِنْ سَمِعَ مِنَ الذِّكْرِ بِلِسَانِهِ قَالَ ذَلِكَ بِقَلْبِهِ ١٨ بِغَيْرِ حَرَكَةٍ لِسَانٍ (٢).

وَأَمَّا الْقُوَّةُ فِي الْأَرْبَعِيَّةِ فَإِنَّهُ يَخْتَلِفُ | بِاخْتِلَافِ الْأَمْرِجَةِ وَالْأَزْمِنَةِ وَالْعَوَائِدِ. ١٤٣ وَالْمَقْصُودُ التَّقْلِيلُ، وَأَكْلُ مَا يَحْفَظُ الْقُوَى، وَيَمْنَعُ الْعَقْلَ مِنَ الْإِخْتِلَالِ، ٢١ وَيَحْفَظُ الرُّطُوبَةَ عَلَى الْجَسَدِ مِنْ غَيْرِ (٣) نَهْمٍ وَلَا شَرِّهِ، فَأَوَّلَ مَا يَدْخُلُ بِأَكْلٍ قَدَرَ

(١) لا توجد في الأصل، والمثبت من: ع، س.

(٢) انظر: عوارف المعارف، ٢٤٢.

(٣) لا توجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

٣ ثلثي ما كان يأكل، ثم لا يزال يُنقصُ كُلَّ يومٍ شيئاً إلى مقدارِ الثلث. ثم الناسُ في ذلك يختلفون: منهم من يفطرُ كلَّ ليلةٍ* (على شيءٍ يسيرٍ، ومنهم من يؤخرُ الفطرَ إلى السحرِ، ومنهم من يُنقصُ كُلَّ ليلةٍ*)^(١) من قوته القليل نزرًا يسيرًا^(٢).

٦ وقد ارتضى جماعة من المشايخ أن رطلاً من الطعام يُقيمُ البنية، فإن قنع به بغير إدامٍ يسيرٍ ملحٍ أو غيره فلا بأس، وليكن ذلك بعد العشاء أو في السحر، وإن قسمه في الوقتين حتى يكون أخفَّ عليه كان أولى؛ فإن النفسَ مهما خفت من الأغذية جدت في الخدمة.

٩ وبعضُ المشايخ يرى أن يُطعمَ في الخلوة الأدهان، ويؤمرَ بالأكلِ على قدر الحاجة دون التقليل، ويقول: الذكرُ يذيبُ ذلك ويُفنيه، ويُظهِرُ من الخبث ما كان فيه.

١٢ وقد اتفقَ* (أهلُ الطريقِ*)^(٣) على أن | بناء أمرهم على أربعة أقسامٍ: قلة الطعام، وقلة المنام، وقلة الكلام،* (وترك الاجتماع بالأنام*)^(٤).

١٥ ومن تدرج في قلة الأكل على ما حرره السالكون، وأخلص في ذلك، لم يُخشَ عليه تغييرُ عقلٍ ولا تأثرُ جسمٍ، وكان في وقته طيبًا. واختلَفَ في حدِّ الجوعِ المُفرطِ؛ فقال بعضهم: أن لا تميز^(٥) بين الخبزِ وغيره، يعني في الأكل.

١٨ وقال آخر: هو أن يبزق، فلا يقع على ما^(٦) ألقاه ذبابٌ، فإنه يدلُّ على خلو المعدة من الرطوبة المُمدة للجسد، كالماء لا يقرُّه ذبابٌ.

(١*-*) لا يوجد في: ع. [انتقال نظر].

(٢) انظر: عوارف المعارف، ٢٤٣.

(٣*-*) العوارف: مشايخ الصوفية.

(٤*-*) العوارف: والاعتزال عن الناس.

(٥) كذا في الأصل، ولعلها: يُميز.

(٦) لا توجد في الأصل، س، والمثبت من: ع.

(*) رُوِيَ عن أبي بكرِ الصّدِّيقِ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَطْوِي سِتًّا، وَعَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ كَانَ يَطْوِي سَبْعًا، وَعَنْ الثَّوْرِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ كَانَا يَطْوِيَانِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا* (١)
 قال شيخنا شهابُ الدين في كتاب «عوارف المعارف»: واشتهر حالُ جدنا
 ٣ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، الْمَعْرُوفِ بِعَمَّوِيَه - وَكَانَ صَاحِبَ أَحْمَدَ (٢) الْأَسْوَدِ الدِّيَنَوْرِيِّ
 - أَنَّهُ كَانَ يَطْوِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَأَقْصَى مَا بَلَغَ - فِي هَذَا الْمَعْنَى - مِنَ الطَّيِّ رَجُلٌ
 ٦ أَدْرَكْنَا زَمَانَهُ، وَمَاتَ وَمَا رَأَيْنَاهُ، كَانَ فِي أَبْهَرِ (٣)، يُقَالُ لَهُ: الزَاهِدُ خَلِيفَةُ. كَانَ
 يَأْكُلُ فِي كُلِّ شَهْرٍ لَوْزَةً، وَلَمْ يُسْمَعْ أَنَّهُ بَلَغَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ بِالطَّيِّ وَالتَّدْرِيجِ
 إِلَى هَذَا الْحَدِّ، وَكَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ - عَلَى مَا حُكِيَ - يُقْصُ الْقُوْتَ بِنَشَافِ
 ٩ الْعُودِ. ثُمَّ طَوَى حَتَّى | انْتَهَى إِلَى اللُّوزَةِ فِي الْأَرْبَعِينَ (٤).

١٤٤ و

قلتُ: قد تعدى على إدخالِ الخُلوةِ مَنْ كَانَتْ الْغَفْلَةُ عَلَيْهِ مُسْتَوَلِيَّةً، فَتَأْدَى
 بِسَبَبِهِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ، وَهُوَ مَنْدَرُجٌ تَحْتَ قَوْلِهِ الغفل: «حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ، اتَّخَذَ
 ١٢ النَّاسُ رُؤُسَاءَ جُهَاًلًا، قَالُوا (٥) فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» (٦)، فَكَانُوا سَبَبًا
 لِاتِّلَافِ الْعُقُولِ وَالنَّفُوسِ؛ فَإِنَّهُمْ عَالَجُوا مَنْ أَدْخَلُوهُ الْخُلُوتَ بِالْخِيَالِ الْمَعْكُوسِ.
 وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ مِنَ الْمَشَايخِ مِنَ الْعِلْمِ بِالظَّاهِرِ مَا يَرْجِعُ بِهِ إِلَيْهِ الْمُرِيدُ فِي نَوَازِلِهِ،
 ١٥ وَمِنَ الطَّبِّ (٧) مَا يَعْرِفُ بِهِ أَمْزِجَةَ مَنْ يُدْخِلُهُ الْخُلُوتَ فِي تَغْيِيرِهَا، وَمِنَ الْعِلْمِ
 بِالْبَاطِنِ مِنَ آفَاتِ النَّفُوسِ وَعِلَلِهَا حَتَّى يَتْرَكَهَا، وَمِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ الْجَالِبَةِ

(*)-١) لا يوجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

(٢) لا يوجد في الأصل، ع، والمثبت من: س.

(٣) مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمدان من نواحي الجبل، والعجم يسمونها أوهر. انظر: معجم البلدان، ١: ٨٢.

(٤) انظر: عوارف المعارف، ١: ٢٤٥.

(٥) س: فشتلوا.

(٦) انظر: سنن الترمذي، ٢٦٥٢؛ وسنن ابن ماجه، ٥٢.

(٧) س: الطلب.

للحالات السنيّة حتى يرتكبها^(١)، ومن السياسة الحسنه لنفسه ولمن أدخله الخلوّه حتى يسلكها، لم يجز له أن يتعرّض لذلك، وهو ممن اعتدى في فعله، فارتدى برداء جهله؛ فإنه تعاطى ما ليس هو من أهله. وبه تمّ القسم الثالث. ٣

القسم الرابع

في ثمرتها وما يتجدد بعد فعلها من تركها

- ٦ قد درج سلف هذه | الطائفة على ما ذكرناه من الخلوّه والعزلة، والتقدير ١٤٤ظ
بالأربعين ليس على التعيين حتى لا يقع التغيير فيها بالزيادة والنقص.
- ٩ وجهل العوام من أهل الطريق مقصد أهله بالخلوّه، فقصدوا بها غير ما
وُضِعَ أساسها عليه، وقد تقدّم بيان ذلك فأغنى عن إعادته^(٢)، فمن دخل الخلوّه
لعلّه نال منها ما رام، وكان ذلك حظّه من السعادة، ومن سلّم من العليل في
دُخولها، ووَقِيَ بشروطها، وقام بحدودها، ظهر له من الأسرار العيبيّة والأنوار
الإلهية ما يستغرق به وجوده، ويستوثق فيه^(٣) عن جُجوده لشهوده. ١٢
- رؤي عن أبي عمر الأنماطيّ أنّه قال: لن يصفو للعاقل فهم الأخير إلا
بإحكام ما يجب عليه من إصلاح الحال الأوّل، والمواطن التي ينبغي أن يعرف
منها، أمزداً^(٤) هو أو مُنتقص، فعليه أن يطلب موقع الخلوّه، لكي لا يعارضه
شاغل، فيفسد عليه ما يُريد^(٥). ١٥
- ومدار الوصول في هذا الطريق على أربعة فصول: الصمت، والعزلة،
والجوع، والسهر. ١٨

(١) ع: يتركها.

(٢) انظر فيما سبق ٢٣٩.

(٣) لا توجد في: س.

(٤) في الأصل، ع: أزداد، والمثبت من: س، العوارف.

(٥) انظر: عوارف المعارف، ١: ٢٣٣. وفيه: يريده.

فالصمتُ: حَبَسُ اللسانِ عن التُّطُقِ، وَحَبَسُ | القلبِ عن الفِكرَةِ في غيرِ الله وما يُقَرَّبُ منه.

٣ والعزلةُ: سببٌ للصمتِ، وفي عَزَلَةِ الزاهدينِ بالأجسامِ وعَزَلَةِ العارفينِ بالقلوبِ. والجُوعُ على ضَرْبَيْنِ: اختياريٌّ، وهو جوعُ السالكينِ، واضطراريٌّ، وهو جوعُ العارفينِ، فإنَّ العارفَ مأخوذٌ عن نفسه ومُراعياتِها^(١)، وهو بحسبِ ما يُقامُ فيه: فإنَّ كان في مقامِ الأُنْسِ قَلًّا^(٢)، وإنَّ كان في مقامِ الهَيْبَةِ كَثْرًا. ٦ وأما السهرُ فإنَّه للجوعِ تابعٌ، وهو على ضربَيْنِ: سهرٌ عَيْنٍ عن النومِ، وسهرٌ قلبٍ عن الفِكرِ.

٩ قال أبو عثانَ المغربيُّ: الخُلُوةُ والسماعُ لا يَصْلُحانِ إلَّا لعالمِ رَبَّانِيٍّ، فالخُلُوةُ المحمودَةُ إذا سُلِكَتْ بشروطِها فُتِحَ على مَنْ انفصلَ بِمُلازِمَةِ الاستقامةِ في الأعمالِ، والزهادَةِ في إرادةِ العُلُوِّ وَجَمْعِ الأموالِ، والتخلُّقِ بِحَمِيدِ الخِلالِ، وإيثارِ الباقي على الفاني في جميعِ الأحوالِ، ومُطالعةِ عالمِ الغيبِ في الحالِ والمآلِ، ١٢ ومُرابطةِ السَّيرِ^(٣) على التوحيدِ في الإِدبارِ مِنَ الوقتِ والإقبالِ، ومُحافظةِ الجَوارِحِ على الطاعاتِ في الإكثارِ منها^(٤) والإقلالِ، فهذا مِنْ فُتوحِ | الغيبِ وثمرَةِ الخُلُوةِ^(٥) السَّالِمَةِ عن الإعتلالِ، وليس كلُّ مَنْ دَخَلَ الخُلُوةَ يبدؤُ له مِنْ شَواهِدِ الغيبِ ما يَنزَّهُه به في عالمِ الملكوتِ؛ فإنَّ بعضَ الأنفُسِ تُكونُ لها قُوَّةٌ للكشفِ، فترتفعُ عنها الحُجُبُ الساترةُ، وبعضُ الأنفُسِ تَعَدَمُ^(٦) هذه القُوَّةُ، ولا يكونُ عَدْمُها دليلًا^(٧) على نقصٍ ولا حرمانٍ عطاءً.

(١) س: وداعاتها.

(٢) س: قَلل.

(٣) س: السَّر.

(٤) لا توجد في الأصل، والمثبت من: س.

(٥) س: القلب.

(٦) في الأصل: بعدم. والمثبت من: ع، س.

(٧) في الأصل، ع: بالرفع.

وكم من مكاشفٍ بعيدٍ، ومستورٍ عنه الكشفُ قريبٌ، وقد تقدّم أن أفضلَ الذِّكْرِ لِلْمُبْتَدِي: «لا إله إلا الله»^(١).

٣ رَوَيْنَا أَنَّ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ - عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ - قَالَ: رَبُّ أَنْبِيَانِي عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ. قَالَ: «أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عُلَمَاءُ أَخْفِيَاءُ^(٢)، أَنْفِيَاءُ^(٣)، حُلَمَاءُ، [أَصْفِيَاءُ]^(٤)، كَانَتْهُمْ أَنْبِيَاءُ، يَرْضُونَ مِنِّي بِالْقَلِيلِ مِنَ الْعَطَاءِ، وَأَرْضَى مِنْهُمْ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْعَمَلِ، وَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، يَا عَيْسَى، هُمْ أَكْثَرُ سُكَّانِ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَذَلَّ أَلْسِنَةُ^(٥) قَوْمٍ قَطُّ بِرِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» كَمَا ذَلَّتْ أَلْسِنَتُهُمْ، وَلَمْ تَذَلَّ رِقَابُ قَوْمٍ [قَطُّ]^(٦) بِالسُّجُودِ كَمَا ذَلَّتْ رِقَابُهُمْ»^(٧).

٩ فَلِأَجْلِ ذَلِكَ اخْتَارَ | جَمْعُ مِنَ الْمَشَايخِ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنْ دُونِ سَائِرِ الْأَذْكَارِ، فَإِنَّ لَهَا خَاصِّيَّةً عَظِيمَةً إِذَا ذُكِرَتْ بِشُرُوطِهَا فِي تَنْوِيرِ الْبَاطِنِ وَضَبْطِ النَّفْسِ عَنِ الْمَلَاذِ^(٨) فِي الْخَوَاطِرِ وَجَمِيعِ الْهَمِّ.

١٢ فَلْيُدَاوِمِ الْعَبْدُ عَلَى ذِكْرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي خَلْوَتِهِ، لَا يَفْتُرْ عَنْ ذِكْرِهَا حَتَّى تَتِمَّكَنَ فِي قَلْبِهِ، وَتَنْزِلَ مِنْزَلَةَ حَدِيثِ نَفْسِهِ، فَإِذَا تَسَهَّلَتْ عَلَى لِسَانِهِ تَأَصَّلَتْ فِي قَلْبِهِ، وَبَقِيَ الْقَلْبُ ذَاكِرًا، وَاللِّسَانُ سَاكِتًا، فَيَتَجَوَّهَرُ الْقَلْبُ وَيَسْتَقَرُّ فِيهِ نَوْرُ الْيَقِينِ، وَيَتَّحَدُّ الذِّكْرُ مَعَ رُؤْيَةِ عَظْمَةِ الْمَذْكَورِ، فَيَكُونُ الذِّكْرُ إِذْ ذَاكَ ذِكْرَ الذَّاتِ، وَذَلِكَ هُوَ الْمُكَاشَفَةُ وَالْمَشَاهِدَةُ وَالْمَعَايِنَةُ، فَيَتَجَوَّهَرُ الْقَلْبُ بِذِكْرِ^(٩) الرَّبِّ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ **الْعَلَّيْلَا**: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا» إِلَى أَنْ قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا، واجْعَلْنِي

(١) انظر فيما سبق ٢٥٤.

(٢) العوارف: حنفاء.

(٣) ع، س، العوارف: أتقياء.

(٤) زيادة من العوارف.

(٥) العوارف: ألسن.

(٦) زيادة من العوارف.

(٧) انظر: عوارف المعارف، ٢٣٦.

(٨) ع، س: التبدد.

(٩) س: بنور.

- نوراً^(١). وهذا هو أقصى موضوع الخلوّة عند أهلها، وهي موهبة عظيمة ومرتبة عليّة^(٢). وقد تُنال هذه الحالة بتلاوة القرآن بالتدبّر والإعتبار، والتفكّر والإفتقار، حتى يشهد عظمة المذكور فيما يُحاوله من^(*) (التلاوة | وغيره^(٣))، فيشرق نور^٣ الكلام^(*) على القلب، ويستحضر عظمة المتكلم، فيجمع بين نور الكلام^(*) وبين عظمة المتكلم به، فيستفيد به ما ذكرناه من اللذّاة والحلاوة والأنس سابقاً، هذا مع ما يفتح به عليه من العلوم اللدنيّة، والمطالعات الغيبيّة، والأسرار الكشفيّة،^٦ والمعارف الإلهاميّة، وإن كان دُونَ الأوّل.
- وقد يقوى عليه الحال في الدكّر، فيؤخذ حتى يبقى كأنه في الدكّر كصاحب الشبّات أو النوم، إلاّ أنّه ناطقٌ، فتتجلّى له الحقائق كما تقع للنائم، فيحتاج إلى^٩ تعبيرٍ، وقد تتجلّى الحقائق للذاكر من غير مثالٍ، فيكون كَشْفًا وَعِلْمًا مِنَ اللَّهِ، فتارة بالعيان وتارة بالسمع من خارج، كالهاتف، وتارة من الباطن.. كلُّ ذلك يناله صاحبُ الخلوّة الجارية على أصلِ الصّحة، فيصيرُ هذا الفتحُ ممّا يزيدُهم^{١٢} شغفًا بالإستقامة، والصدّق في المعاملة، والقوّة^(٥) في الزّهادة، والتلبّسِ بمحاسنِ الأخلاق المعتادة، وقد يقع بشيءٍ من | صورة الفتح على من واصل واعتزل، ولم يسنّ نفسه بالسياسة الشرعيّة، فيكون ذلك القدر سبباً لبعده وطرده،^{١٥} فيزداد حماقةً واستطالةً واحتقاراً بالعباد، ويتهدى به الأمر في ذلك حتى يمرق من الدين، ولا يرى الإقتداء بالنبين، ويعتقد أنّ المراد إنما هو الدكّر المبين دون وسائل المرسلين، ذلك هو الحُسران المبين، فيخرجُ بذلك عن جملة من^{١٨} يُعدّ من الموحّدين، ويثبت في ديوان المترنّدين الملحدين. وقد يقع التمويه على

(١) انظر: صحيح مسلم، ٧٦٣؛ ومسنّد الطيالسي، ٢٨٢٩؛ ومسنّد أبي عوانة، ٢٢٧٤.

(٢) انظر: عوارف المعارف، ١: ٢٣٦.

(*)- (٣) س: التلاوة في الصلاة وغيرها.

(*)- (٤) لا يوجد في: ع.

(٥) س: والفتوّة.

- طائفةٍ أخرى بخيالاتٍ، وهي ناشئةٌ عن جهالاتٍ، وليست بوقائعٍ عن أربابِ
الحالاتِ. وعلى كلِّ واحدٍ من أهلِ الإعوجاجِ والإستقامةِ دلالاتٌ.
- ٣ وقصدُ الإختصارِ في المقالةِ يَحْمِلُنَا على الإقتصارِ عن الإطالةِ، والمواجيدُ التي
تَرُدُّ على قُلُوبِ المُتوجِّهينَ لا يَسَعُ التَّصَبُّرُ^(١) عنها لِلْمُسْتَمِعينَ، وإنَّها لها آثارٌ تُلُوْحُ
عِنْدَ المُسْتَبصِرِينَ، وروائحٌ تَفُوْحُ عِنْدَ المُسْتَنشِقِينَ، *ومَطَاعِمٌ تُذَاقُ | في السِّنةِ
٦ المُسْتَعْمِينَ^(٢)، ومَلَابِسٌ تُكْتَسَى^(٣) مِنَ النُّورِ المُبِينِ، ومَوَاهِبٌ تُفَاضُ على العُقُولِ
مِنَ الفضلِ العَمِيمِ، ذلك فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ، واللهُ ذُو الفضلِ العَظِيمِ.
وبذلك تَمَّ ما أَرَدْنَا مِنَ الإقتداءِ بالإهتداءِ، ونَعُوذُ باللهِ مِن جَهْدِ البَلَاءِ،
٩ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وشَمَاتَةِ الأعداءِ، والحاجةِ إلى الأَكْفَاءِ^(٤)، وصَلَّى
اللهُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الأنبياءِ، وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ البِرَّةِ الأتقياءِ، وَسَلَّمْ
تسليماً كثيراً.

(١) س: التعبير.

(*)-(٢) لا يوجد في: ع.

(٣) س: تُكسى.

(٤) ع: الأكتفاء.

القول في التتمّة: العزلة والمعاشرة، أيها أفضل؟

وَأَفَقَّ الْفِرَاعُ مِنْ نَسْخِهِ [صُدِّ] بِحَ الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ، يَوْمِ الْجُمُعَةِ
سَادِسِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ،

٣

عَلَى يَدِ الْعَبْدِ الْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ مُحَمَّدِ

ابْنِ قِيَمَازَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ رِضْوَانَ

٦

الشَّافِعِيِّ السُّعُودِيِّ،

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ زَلَّاهُ،

وَلِمَنْ طَالَعَ فِيهِ

٩

وَسَدَّ خَلَّاهُ،

وَلِجَمِيعِ

الْمُسْلِمِينَ

ثبت المصادر والمراجع^١

أولاً: المصادر

القرآن الكريم.

الأجري: أبو بكر محمد بن الحسين البغدادي، المتوفى سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م.

الغرباء، تحقيق بدر البدر، دار الخلفاء، الكويت، ط ١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

أثير الدين الأندلسي: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي، المتوفى سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م.
البحر المحيط، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،
٢٠٠٢م.

أحمد بن حنبل: (الإمام) أبو عبد الله بن محمد الشيباني، المتوفى سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م

المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٨م.

ابن الأزرق: محمد بن علي بن محمد الأصبحي الغرناطي، أبو عبد الله، المتوفى سنة
٨٩٦هـ/١٤٩١م.

بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، وزارة الإعلام العراقية،
بغداد ١٩٧٨م

الأشموني: علي بن محمد بن عيسى الشافعي، المتوفى سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٥م.

شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة
النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.

البخاري: (الإمام) محمد بن إسماعيل الجعفي، المتوفى سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م.

الجامع الصحيح، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، مكتبة النهضة الحديثة،
مكة المكرمة، ١٩٥٦م.

(١) مرتب على حروف المعجم بدون ابن، أبو، و ال التعريف.

- الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٩م، المصوّرة عن طبعة القاهرة ١٩٥٥م.
- البرّار: أبو بكر أحمد بن عمرو العنّكي، المتوفّى سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م.
- مسند البرّار المسمى البحر الزّخار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وآخرين، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنوّرة - بيروت، ٢٠٠٩م.
- أبو بكر بن العربي: محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي، المتوفّى سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م. أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، المتوفّى سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦م. السنن الكبرى، مطبوعات مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ط ١، ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م.
- شعب الإيمان، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط ١، ٢٠٠٢م.
- كتاب الزهد الكبير، تحقيق عامر أحمد حيدر، مؤسّسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦م.
- الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحّاك، المتوفّى سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م. السنن، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٥م.
- الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم، المتوفّى سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.
- الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف، المتوفّى سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م. كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
- ابن الجعد: علي بن عبيد الجوهري البغدادي، المتوفّى سنة ٢٣٠هـ/٨٤٥م. مسند ابن الجعد، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسّسة نادر للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.
- ابن جنّي: أبو الفتح عثمان ابن جنّي الموصلي، المتوفّى سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م.

- الخصائص، تحقيق محمد علي النجّار، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٦٥م.
- ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ/١٢٠١م
- ذمّ الهوى، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٢م.
- صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٩م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.
- حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي، المتوفى سنة ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٠م.
- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م.
- المستدرک علی الصحیحین، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
- أبو حامد الغزالي: محمد بن محمد الطوسي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ/١١١٢م
- إحياء علوم الدين، تحقيق اللجنة العلمية بدار المنهاج، جدّة ٢٠١١م.
- ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي الدارمي البُستي، المتوفى سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م
- صحيح ابن حبان، حققه شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣م.
- ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني الشافعي، المتوفى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م.
- لسان الميزان، تحقيق غنيم بن عباس بن غنيم، و خليل بن محمد العربي، القاهرة، دار الفاروق الحديثة، ١٩٩٥م.
- الحُميدي: محمد بن أبي نصر فتوح الأزدي الميورقي، المتوفى سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٨م.
- تفسير غريب ما في الصحيحين، تحقيق زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٩٥م.
- الخطّابي: حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البُستي، المتوفى سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م.

العزلة، تحقيق عادل عبد الموجود، مراجعة محمد الزناري، مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٨٧م.

الدَّارِقُطْنِي: علي بن عمر بن أحمد البغدادي، المتوفى سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م.

السنن، تحقيق السيّد عبد الله هاشم يماني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٦م.

الدَّارِمِي: عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل التميمي، المتوفى سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م. السنن، مطبعة الاعتدال، دمشق، ١٩٣٠م.

ابن أبي الدنيا: عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي، المتوفى سنة ٢٨١هـ/ ٨٩٥م.

ذمّ الدنيا، تحقيق مجدي السيد، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٨٨م.

الصمت وآداب اللسان، تحقيق أبو إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

محاسبة النفس، تحقيق مجدي السيد، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٨٧م.

العزلة والانفراد، تحقيق مشهور آل سليمان، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧م.

أبو داود الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود البصري، المتوفى سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م.

المسند، تحقيق محمد عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٩م.

الدَّورَقِي: أحمد بن إبراهيم بن كثير، المتوفى سنة ٢٤٦هـ/ ٨٥٠م.

مسند سعد بن أبي وقاص، تحقيق عامر حسن صبري، بيروت، ١٩٨٧م.

الدَّيْلَمِي: شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو، أبو شجاع، المتوفى سنة ٥٠٩هـ/ ١١١٥م.

الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، المتوفى سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م.

سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م.

الربيع بن حبيب: ابن عمرو الفراهيدي البصري، المتوفى أواخر القرن الثاني للهجرة.
مسند ابن حبيب، تحقيق محمد إدريس، وعاشور بن يوسف، مكتبة الاستقامة
ودار الحكمة، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

ابن رجب الحنبلي: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد السلامي البغدادي ثم الدمشقي،
المتوفى سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م.

جامع العلوم والحكم، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ابن رشيد السبتي: محمد بن عمر الفهري، المتوفى سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م.
ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، (رحلة السبتي) تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة،
الدار التونسية للكتاب، تونس ١٩٨١م.

السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، المتوفى سنة ٧٧١هـ/١٣٧٠م.
طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، طبعة عيسى
البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٤م.

السخاوي: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر، المتوفى سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٧م.
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٨م.
القول النبوي في ترجمة ابن العربي، تحقيق خالد بن العربي مدرك، رسالة ماجستير
غير منشورة.

ابن سعيد المغربي: أبو الحسن علي بن موسى، المتوفى سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٧م.
المغرب في حلى المغرب، قسم مصر، تحقيق حسين نصّار، دار الكتب المصرية،
القاهرة، ١٩٧٠م.

السُّلمي: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم
النيسابوري الأزدي، المتوفى سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م.

طبقات الصوفية، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،
١٩٩٨م

جوامع آداب الصوفية، دار جوامع الكلم، القاهرة، ١٩٩٩م.
الأربعون في التصوف، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، ١٩٨١م.

السهروردي: عبد القاهر بن عبد الله بن محمد البكري الصديقي، أبو النجيب، المتوفى سنة ٥٦٣هـ/١١٦٨م.

آداب الميردين، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٢م، تحقيق عاصم بن إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

عوارف المعارف، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

سبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، أبو بشر، المتوفى سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م.

الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦م.

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضير، المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م.

الأعمال الكاملة للسيوطي في التصوف الإسلامي، تحقيق عبد الخالق محمود، وأحمد جمعة عبد الحميد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ٢٠١١م.

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٧م.

جمع الهوامع، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ت.

ابن شاذان: الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد، أبو علي البرّاز، المتوفى سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٤م.

مشيخة ابن شاذان الصغرى، تحقيق: عصام موسى هادي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٩٩٨م.

الشافعي: (الإمام) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطليبي، أبو عبد الله، المتوفى سنة ٢٠٤هـ/٨٢٠م.

مسند الشافعي، تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٥م.

الشهاب القضاعي: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيمون المصري، المتوفى سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م.

- مسند الشهاب، تحقيق حمدي عبد المجيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.
- أبو الشيخ الحَبَّاني: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حَبَّان الأصبهاني، أبو محمد، المتوفى سنة ٣٦٩ هـ/٩٧٩م.
- الأمثال في الحديث، تحقيق عبد العليّ عبد الحميد حامد، الدار السلفية، بومباي، ط ١٩٨٧، ٢م.
- الصاحب بن عباد: إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المتوفى سنة ٣٨٥ هـ/٩٩٥م.
- المحيط في اللغة، تحقيق محمد حسن آل ياسين، دار عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٨م.
- الصنعاني: عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني، المتوفى سنة ٢١١ هـ/٨٢٦م.
- المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.
- أبو طالب المكي: محمد بن علي بن عطية الحارثي، المتوفى سنة ٣٨٦ هـ/٩٩٦م.
- قوت القلوب، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.
- الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم، المتوفى سنة ٣٦٠ هـ/٩٧١م.
- الدعاء، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، ١٩٩٣م.
- المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٩٩٤م.
- المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط ٢، ١٩٨٣م.
- ابن أبي عاصم: أحمد بن عمرو بن الضحّاك بن مخلد الشيباني، أبو بكر، المتوفى سنة ٢٨٧ هـ/٩٠٠م.
- الآحاد والمناني، تحقيق باسم فيصل وأحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، ١٩٩١م.
- ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، المتوفى سنة ٥٧١ هـ/١١٧٦م.
- تاريخ دمشق، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥م.

ابن العباد الحنبلي: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري، أبو الفلاح، المتوفى سنة ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٩٥م.

الفاصي المكي: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب الحسني، المتوفى سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م.

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، محمود الطناحي، محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٨م.

ابن فرحون المالكي: إبراهيم بن علي بن محمد، برهان الدين اليعمرى، المتوفى سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م.

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٢م.

ابن فهد المكي: محمد بن محمد، تقي الدين الهاشمي، أبو الفضل العلوي الشافعي، المتوفى سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٧م.

لحظ الأخطأ بذيل طبقات الحفاظ، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٠م.

ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، المتوفى سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق ناصر سليمان، وصالح بن عبد العزيز التويجري، وآخرين، دار الصميعي، الرياض، ٢٠١١م.

الكاشاني: عبد الرزاق جمال الدين بن أحمد بن أبي الغنائم محمد، المتوفى سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م.

معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق عبد الخالق محمود، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٧م.

ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، أبو عبد الله، المتوفى سنة ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م.

سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢م.

مالك بن أنس: (الإمام) أبو عبد الله الأصبحي، المتوفى سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م.

- الموطأ، تحقيق تقي الدين الندوي، دار القلم، ط١، دمشق، ١٩٩١م.
- ابن المبارك: عبد الله بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي، أبو عبد الرحمن، المتوفى سنة ١٨١هـ/٧٩٧م.
- الزهد، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٦٦م.
- المتقي الهندي: علي بن عبد الملك حسام الدين، المتوفى سنة ٩٧٥هـ/١٥٦٧م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق بكرى حياني، وصفوت السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٩٨١م.
- محمد الدين ابن الأثير: المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، أبو السعادات، المتوفى سنة ٦٠٦هـ/١٢١٠م.
- جامع الأصول من أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣ - ١٩٨٥م.
- المرتضى الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩١م.
- إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين، المطبعة الميمنية، القاهرة، ١٨٩٣م.
- تاج العروس، منشورات دار مكتبة الحياة، والمطبعة الخيرية، بيروت، والقاهرة، ١٩٨٨م.
- المقري التلمساني: شهاب الدين أحمد بن محمد، المتوفى سنة ١٠٤١هـ/١٦٠٥م.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- المنذري: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، أبو محمد، المتوفى سنة ٦٥٦هـ، ١٢٥٨م.
- الترغيب والترهيب، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي الرويفعي الإفريقي، المتوفى سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م.
- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١.
- أبو نعيم الأصفهاني: أحمد بن عبد الله بن أحمد، المتوفى سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

أبو نصر السَّراج: عبد الله بن علي الطوسي، المتوفى سنة ٣٧٨ هـ/٩٨٨م
اللمع في التصوف، تحقيق نيكلسون، ليدن ١٩١٤م.

النووي، يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، أبو زكريا، المتوفى سنة
٦٧٦ هـ/١٢٧٧م.

شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث، بيروت، ١٣٩٢هـ.

أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهرا، المتوفى
بعد سنة ٣٩٥ هـ، بعد ١٠٠٥م.

جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، دار الفكر،
القاهرة، ط ٢، ١٩٨٨م.

هناد بن السري: أبو السري بن مصعب بن أبي بكر التميمي الدارمي الكوفي، المتوفى
سنة ٢٤٣ هـ/٨٥٧م.

كتاب الزهد، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب
الإسلامي، الكويت، ط ١، ١٤٠٦هـ.

أبو يعلى: أحمد بن علي بن المثني بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، المتوفى سنة
٣٠٧هـ.

المسند، تحقيق حسن سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٤م.

اليونيني: موسى بن محمد بن أبي الحسين أحمد البعلبكي، قطب الدين، أبو الفتح، المتوفى
سنة ٧٢٦ هـ/١٣٢٦م.

ذيل مرآة الزمان، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، ١٩٥٤م.

ثانياً: المراجع

- إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وآخرون
 المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٥م.
- إسماعيل باشا الباباني: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، المتوفى سنة
 ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م.
- هدية العارفين في أسماء الكتب والمصنّفين، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٢م.
- حبيب الله حسن أحمد
 جهود القطب القسطلاني في رسم الطريق إلى الله، مصر للخدمات العلمية،
 القاهرة، ٢٠٠٢م.
- الزركلي: خير الدين، المتوفى سنة ١٩٧٩م.
- الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٥م.
- قرة بلوط، على رضا، وأحمد طوران
 معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم، دار العقبة، تركيا.
- كارل بروكلمان
 تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية عبد الحلیم النجار، ويعقوب بكر، ورمضان
 عبد التوّاب، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣ - ١٩٩٩م.
- الفاداني المكي: علم الدين محمد ياسين بن محمد عيسى، أبو الفيض، المتوفى سنة
 ١٤١١هـ/١٩٩١م
- العجالة في الأحاديث المسلسلة، دار البصائر، دمشق، ١٩٨٥م.
- المخطوطات الموقّعة: أعمال المؤتمر الدولي الثاني لمركز المخطوطات مكتبة الإسكندرية،
 أبريل ٢٠٠٥م.

الكشافات

كشاف الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٠٤	الفاحة: ٥	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
١٢٤	البقرة: ٣	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾
٥٩	البقرة: ٢١	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾
٣٧	البقرة: ٢٩	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾
٥٠	البقرة: ١٢٥	﴿وَأَخْذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾
١٠١	البقرة: ١٣١	﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
١٥٣ ، ١٥٢	البقرة: ١٥٢	﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾
١٩٨	البقرة: ١٦٣	﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾
١٩٨ ، ١٠٩	البقرة: ١٨٥	﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾
١٦٩	البقرة: ١٨٦	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾
		﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ
١٤٤	البقرة: ٢١٨	اللَّهِ أُولَئِكَ يُرْجَوْنَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
١٢٨	البقرة: ٢٢٢	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾
١٩١	البقرة: ٢٤٥	﴿وَاللَّهُ يَفْقِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
١١٩	البقرة: ٢٦٩	﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾
٥٦	البقرة: ٢٧٣	﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

الصفحة	رقم الآية	الآية
٧٧	البقرة: ٢٧٨	﴿يَنَّايْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾
١٧٧	آل عمران: ١٤	﴿ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَآبِ﴾ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ
٢٠٣ ، ١٩٨	آل عمران: ١٨	﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
١٤٢	آل عمران: ٢٨	﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ﴾
١٨١	آل عمران: ٣١	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾
٧٧	آل عمران: ١٠٢	﴿يَنَّايْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾
١٤٥	آل عمران: ١٢٢	﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾
٨٨	آل عمران: ١٢٦	﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾
٧٤	آل عمران: ١٤٢	﴿وَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّادِقِينَ﴾
٨٨	آل عمران: ١٦٠	﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾
١٤٢ ، ١٤٠	آل عمران: ١٧٥	﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
٧٢	آل عمران: ١٨٥	﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾
١٥٨	آل عمران: ١٩١	﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾
١٣٦	النساء: ١	﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾
١٤٥	النساء: ٨١	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾
١٥٢	النساء: ١٠٣	﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾
١٦٧	النساء: ١١٣	﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾

الصفحة	رقم الآية	الآية
١٠١	النساء: ١٢٥	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾
٦٦	النساء: ١٤٢	﴿يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾
٩٧	النساء: ١٤٧	﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾
١٤٥ ، ٨٧	المائدة: ٢٣	﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
٦٨	المائدة: ٢٧	﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾
٧٧	المائدة: ٣٥	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾
١٨١	المائدة: ٥٤	﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾
١٧٠	المائدة: ٨٣	﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾
٩٠	الأَنْعَامُ: ٦٢	﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾
١٧٦	الأَنْعَامُ: ٦٢	﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ
٤٩	الأَنْعَامُ: ٧٥	﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾
٥	الأَنْعَامُ: ٩٠	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ آقْتَدَهُ﴾
١٥٦	الأَنْعَامُ: ٩١	﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾
١٧١	الأَنْعَامُ: ٩١	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾
١٦٦	الأَنْعَامُ: ١٣٩	﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾
١٨٦	الأَعْرَافُ: ٣٣	﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِهَا مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾	الأعراف: ١٤٢	٢١١
﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾	الأعراف: ١٥٦	٩٢
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾	الأعراف: ١٩٩	١٤٩ ، ٦٣
﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾	الأعراف: ٢٠١	٥١
﴿وَإِحْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾	الأعراف: ٢٠٢	٥١
﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾	الأنفال: ١٧	٢٠٣
﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾	الأنفال: ٢٣	١٦٢
﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾	التوبة: ٦٧	٨٣
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾	التوبة: ١١٩	٧٧
﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾	التوبة: ١١٩	١٣٧
﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾	هود: ٥٦	١٤٥
﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾	هود: ٨٦	١٣٢
﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾	هود: ٨٨	١٢١
﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتِ﴾	هود: ١١٢	١٤٧
﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾	هود: ١٢٣	١٤٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ ﴾	يوسف: ٥٣	٧٤
﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ ﴾	يوسف: ٥٣	٧٤
﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَن أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ ۚ ﴾	الرعد: ١٠	١١١
﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ ﴾	إبراهيم: ٧	٩٧
﴿ وَإِن تَعَدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ ﴾	إبراهيم: ٣٤	٩٢
﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۖ ﴾	إبراهيم: ٤٨	١٢٣
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّمَنْ تَوَسَّيَنَ ﴾	الحجر: ٧٥	١٧٩
﴿ تَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ﴾	النحل: ٥٠	١٤٠
﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾	النحل: ٩٨	٧٤
﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ ﴾	النحل: ١٢٥	١١
﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾	الإسراء: ٣٦	١٤٨، ١٧٩
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ ﴾	الإسراء: ٣٦	١٩٨
﴿ وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ۗ ﴾	الإسراء: ٤٤	١٨٨
﴿ وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾	الإسراء: ٦٤	٧٤
﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾	الإسراء: ٧٠	٣٧
﴿ إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ ﴾	الكهف: ١٣	١٣٦

الصفحة	رقم الآية	الآية
١٥٢	الكهف: ٢٤	﴿وَأَذْكُر رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾
١٣٣	الكهف: ٢٨	﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾
١٦٧	الكهف: ٦٥	﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾
١٤	مريم: ٩	﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾
٢٠٨ ، ١٦٥	مريم: ٤٨	﴿وَأَعْتَرِلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
١١١	طه: ٧	﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾
١٧٣	طه: ٧٣	﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾
١٣٩	طه: ١٠٨	﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾
١٧١	طه: ١١٠	﴿وَلَا تُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾
١٦٨ ، ٤٨	الأنبياء: ١٨	﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾
٤٩	الأنبياء: ٥١	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾
١٣٩	الأنبياء: ٩٠	﴿وَكَا نُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾
٨٤	الحج: ٣٢	﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾
١٤٠	المؤمنون: ٢-١	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِيعُونَ﴾
٨٤	المؤمنون: ٥	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾
١٤٤	المؤمنون: ٦٠	﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٧٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ تَحْضُرُونَ﴾	المؤمنون: ٩٧	٧٤
﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾	النور: ٢	٤٥
﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾	النور: ٣٠	٧٨
﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	النور: ٣١	١٢٧، ٧١
﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾	النور: ٤٠	١١٨
﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾	الفرقان: ٢٣	٩٦
﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾	الفرقان: ٣٩	٢٩
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾	الفرقان: ٥٨	٨٧
﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾	الفرقان: ٦٦	١٠٦
﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّسْأَةَ الْآخِرَةَ﴾	العنكبوت: ٢٠	١١٦
﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾	العنكبوت: ٢٩	١٥٣
﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾	العنكبوت: ٤٣	٣٥
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾	العنكبوت: ٦٩	١٣١، ٧٤، ١٢٩
﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾	الروم: ١٧	١٥٩

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّوَانِكُمْ﴾	الروم: ٢٢	٣٧
﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾	الروم: ٢٧	١٦٢
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	الروم: ٤٧	٨٨
﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا دَيْكَ﴾	لقمان: ١٤	٩٧
﴿وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾	لقمان: ١٥	١٢٩
﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾	السجدة: ١٦	١٤٠
﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾	الأحزاب: ١	٧٧
﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾	الأحزاب: ٢٣	١٣٧
﴿وَأَلْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ﴾	الأحزاب: ٣٥	٨٤
﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾	الأحزاب: ٣٥	١٥٢
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾	الأحزاب: ٤١	١٥١
﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾	الأحزاب: ٤٦	١٢
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾	الأحزاب: ٧٠	٧٧
﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾	سبأ: ١٣	٩٨
﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾	سبأ: ٤٦	١٢٧
﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾	فاطر: ٦	٧٣
﴿إِنَّمَا نَخْنِشُ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمْتُونَ﴾	فاطر: ٢٨	٣٥، ٤١، ١٤٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿الْمَ أَعْهَدَ إِلَيْكُمْ بَيْنِي ۖ أَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾	يس: ٦٠	٧٣
﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾	الصافات: ١٦٤	٦١
﴿رُدُّوهَا عَلَىٰ فَطْفِقٍ مَّنْسُخًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾	ص: ٣٣	١٨٦
﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾	الزمر: ٣	٩٣
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	الزمر: ٩	٣٥
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾	الزمر: ١٠	٧٧
﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	الزمر: ١٠	٩٠
﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۗ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾	الزمر: ١٧	١٩٢
﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾	الزمر: ١٨	١٩٢
﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾	الزمر: ٢٢	٥٠
﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾	الزمر: ٣٦	١٧١
﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾	الزمر: ٥٣	١٤٣
﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾	الزمر: ٥٤	١٢٩ ، ١٢١
﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةٌ وَعِلْمًا﴾	غافر: ٧	١٧٨
﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾	غافر: ٤٤	٩٣
﴿فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوهًا﴾		

الصفحة	رقم الآية	الآية
١٥٩	غافر: ٥٥	﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾
١٤٧	فصلت: ٣٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾
٢٠١	فصلت: ٣١	﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۗ﴾
١٣٩	فصلت: ٣٩	﴿تَرَى الْآرْضَ خَشِيعَةً﴾
١٠٦	الزخرف: ٤٢	﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
١٠١	الجنائية: ٢٣	﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾
٥	الأحقاف: ٣٥	﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾
٨٨	محمد: ٧	﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾
١٧١	محمد: ١٩	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾
		﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا
١٦٨	الفتح: ٤	﴿إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾
٦٦	الحجرات: ١٧	﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾
١٦٩	ق: ١٦	﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾
١٢٩	ق: ٣٣	﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾
٢١٨	ق: ٣٧	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾
		﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ
١٨٨	ق: ٣٧	﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾
٤٢	الذاريات: ٢١	﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢١﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ﴾	الذاريات: ٢٢	٨٧
﴿فَقِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۗ﴾	الذاريات: ٥٠	١٤١ ، ١٢٩
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	الذاريات: ٥١	٥٩
﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾	النجم: ١١	١٧٨
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿١٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾	الرحمن: ٢٦	١٩٣
﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴿١٦﴾ ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي	الحديد: ١٦	١٣٩
﴿كِتَابٍ﴾	الحديد: ٢٢	٨٩
﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ﴾	الحديد: ٢٣	٨٩
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾	الحديد: ٢٨	٧٧
﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾	المجادلة: ١١	٣٥
﴿وَمَا ءَاتَكُمْ الرَّسُولَ فخذوهُ وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَانتهوا﴾	الحشر: ٧	٣٩
﴿وَمَنْ يُوقِ شِئْحَ نَفْسِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	الحشر: ٩	٦٨ ، ٢٧
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾	الحشر: ١٨	٧٧
﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾	الحشر: ٢١	٢٩
﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾	الطلاق: ٣	١٤٥ ، ٨٨
﴿تُتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾	التحریم: ٨	٧١

الصفحة	رقم الآية	الآية
١٤٩	القلم: ٤	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾
٨٧	المزمل: ٩	﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾
٧٥	النازعات: ٤٠	﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٥٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾
٥	المطففين: ١٤	﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
٦٠	المطففين: ٢٨	﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾
٣٩	الأعلى: ١٤	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾
٧٠	البلد: ١١-١٣	﴿فَلَا أَقْتَحِمُ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقِيبَةً ﴿١٣﴾ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿١٤﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿١٥﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾
٧٦	الشمس: ٧-٩	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٧﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾
٤٠، ٣٩	الشمس: ٩-١٠	﴿وَلَا يَتَخَفُ عُقْبَاهَا﴾
١٤٢	الشمس: ١٥	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾
٣٧	التين: ٤	﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿٤﴾﴾
١٦٩	العلق: ١٩	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾
٢١٣، ٩٣، ٦٥	البينة: ٥	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾
١٩٨	الإخلاص: ١	

كشاف الأحاديث النبوية

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
١٧٩	أبو سعيد الخدري	«اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»
٢٠٩	عبد الله بن عمر	«أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى اللَّهِ الْغُرَبَاءُ»
١٨٢	ابن عباس	«أَحِبُّوا اللَّهَ كَمَا يَعْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعْمِهِ ...»
١٥٠	أنس	«أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»
٩٥	معاذ	«أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِيكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ»
٦١		«أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي»
١٨١	أبو هريرة	«إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ قَالَ لَجِبْرِيلَ <small>عليه السلام</small> : يَا جِبْرِيلُ ...»
١٣٤		«إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ اسْتَعْمَلَهُ»
٧٣		«إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ مَرَجَتْ عَهْوُهُمْ ...»
١٥٣	أنس	«إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعَوْا»
١٣٣		«ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ ...»
١٤٨	ثوبان	«اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُخْصُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ ...»
٣٨		«أَطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصَّيْنِ»
٧٤		«أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ»
٢٠١		«أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ...»
١٦٩		«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»
١٥٤	معاذ	«أَكْثَرُوا ذِكْرَ اللَّهِ <small>تعالى</small> عَلَى كُلِّ حَالٍ ...»
١٣٣		«أَلَا إِنَّ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا لَيْسَ بِتَحْرِيمٍ ...»

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
١٥٣	أبو هريرة	«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها ...
٦٣	أبو هريرة	«الإيمان بضعٌ وسبعونَ شُعبَةً ...
١٤٦		«التوكلُ نصفُ العبادة، والدُّعاء ...
١٣٠		«الجهادُ أربعٌ: أمرٌ بالمعروفِ ...
١٢٥	أبو هريرة	«الذاكرونُ اللهَ كثيرًا والذاكراتُ»
١٥٤	نبيط بن شريط	«الذِّكرُ نعمةٌ مِنَ اللهِ فأذُّوا شُكرَها»
٢٠٩	ابن عمر	«الزِّمُ بيتك ...
١٠١		«الصومُ جُنَّةٌ»
٣٥		«العالمُ والمتعلِّمُ شريكانِ في الأجرِ ...
٣٦	الحسن	«العِلْمُ عِلْمَانِ: فعِلْمٌ في القلبِ ...
٥٧		«الفقراءُ الصُّبْرُ جُلُساءُ اللهِ»
٢٢٥		«اللهم اجعلْ في قلبي نورًا»
١٥٢	أنس	«المجالسُ ثلاثةٌ: سالمٌ وشاحبٌ وغائمٌ ...
١٢٩	فضالة بن عبيد	«المُجاهدُ من جاهدَ نفسَه في اللهِ ﷻ»
٧١		«الندمُ توبةٌ»
١٣٧		«أُمَّتِي أُمَّتِي»
٢٦		«أُمرِرتُ أنْ أحكمَ بالظاهرِ، واللهُ يتولَّى السرائرَ»
٧٣		«أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ»
١٧٠ ، ١٦٩	أبو هريرة	«إنَّ أقربَ ما يكونُ العبدُ من ربِّه وهو ساجدٌ ...
١٤٩	أبو هريرة	«إنَّ العبدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ درجةَ الصائمِ القائمِ»
١٨٢	رافع بن خديج	«إنَّ اللهَ ﷻ إذا أحبَّ عبدًا حمّاهُ مِنَ الدنيا ...
١٥٣	أبو هريرة	«إنَّ اللهَ ﷻ يقول: أنا مع عبدي إذا ...

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
٩٣		«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: أَنَا خَيْرُ شَرِيكَ ...
٨٤		«إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ...
١٩٩		«إِنَّ اللَّهَ وَثَرٌ يُحِبُّ الْوِثْرَ»
١٨٦	أبو هريرة	«إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ ...
١٨٠	علي	«إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ﷻ»
٧١		«إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ عَقَبَةٌ كَوْوَدًا ...
١٧٢		«إِنَّ دِعَامَةَ الْبَيْتِ أَسَاسُهُ ...
١٧٨		«إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»
٤٩		«إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي ...
٥٠		«إِنَّ فِي أُمَّتِي مُحَدَّثِينَ وَإِنَّ عَمَرَ لَمِنْهُمْ»
١٥١		«إِنَّ فِيكَ لَخَصَلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ ...
٩٧		«إِنَّ لِلنَّعَمِ أَوَابِدَ كَأَوَابِدِ الْوَحْشِ ...
١٨٠	أنس	«إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَشُّمِ»
١٢٠	سعيد بن المسيب	«إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا ...
١٢٥		«إِنَّ هَذَا الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ ...
١٤٩		«إِنَّ هَذَا دِينَ ارْتَضَيْتَهُ لِنَفْسِي ...
١٦٦		«أَنَا جَلِيسٌ مَن ذَكَرَنِي»
١٦٠	أبو هريرة	«أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِ بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ...
١٧٨		«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ»
٢١٨		«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ ...
١٥١		«أَوَّلُ مَا يُوَضَعُ فِي الْمِيزَانِ حُسْنُ الْخُلُقِ»
٣٨	ابن عمر	«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ»

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
٦١ ، ١٥		«تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ»
١٨١	أنس	«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ...
٢٢٢		«حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُسَاءَ جُهَالًا ...»
١٥٠	أبو سعيد الخدري	«خَصَلْتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ ...»
١٥٧		«خَيْرُ الْبِقَاعِ الْمَسَاجِدُ، وَشَرُّهَا الْأَسْوَاقُ»
١٦٠		«خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيِّ»
١٥٣	سعيد بن مالك	«خَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي، وَخَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيِّ»
١٣١	ابن عمر	«دَعُ مَا يَرِيئُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيئُكَ»
١٣٧	أبو الحوراء	«دَعُ مَا يَرِيئُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيئُكَ»
١٤٠	ابن مسعود	«رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ ﷻ»
٧٦		«رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ»
٢٠٩	أبو سعيد الخدري	«رَجُلٌ جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ...
٩٢		«رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»
٢١٣		«سَأَلْتُ جَبْرِيلَ ﷺ عَنِ الْإِخْلَاصِ مَا هُوَ ...»
٦٣		«صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ ...»
١٢٥	علي بن أبي طالب	«طَلِبُ الْحَقِّ غُرْبَةٌ»
٢١٣	عبد الحميد بن ثابت	«طُوبَى لِلْمُخْلِصِينَ، أَوْلَتْكَ أَصْحَابُ الْهُدَى ...»
١٥٨	عبد الله بن بشر	«طُوبَى لِمَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ»
١٣		«عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الْإِثْنَانِ ...»
١٨٢	أنس بن مالك	«عَلَامَةُ حُبِّ اللَّهِ حُبُّ ذِكْرِ اللَّهِ ...»
١٥٣	ابن عمر	«فَذِكْرُ اللَّهِ إِيَّاكُمْ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِكُمْ لَهُ»
٣٥		«فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ»

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
١٤٣	علي بن أبي طالب	«قال الله تعالى: مَنْ رَجَا غَيْرِي لَمْ يَعْرِفْنِي ...»
١٤٠		«قال ربُّكم: لا أَجْمَعُ على عبدي ...»
١٤٧	سفيان بن عبد الله الثقفى	«قل: آمَنتُ باللهِ ثُمَّ اسْتَقِمَّ»
١٢٧	أنس	«كلُّ بني آدمَ خَطَّاءٌ، وخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»
٨٢		«كلُّ لحمٍ نبتَ مِن سُحْتٍ فالنَّارُ أَوْلَى بهِ»
٣٦		«كِلَاهُمَا على خَيْرٍ، وأحَدُهُمَا أَفْضَلُ مِن صاحِبِهِ ...»
١٨٩	زيد بن أرقم	«كُنْ كَأَنَّكَ تَرى اللهَ ﷻ، فَإِن لَمْ تَكُن تَراهُ ...»
١٣١		«كُنْ وَرِعًا تَكُن عابِدًا ...»
١١٦		«كَيْتَةٌ أو كَيْتَانِ مِن نارٍ»
١٨٩	زيد السُّلمي	«كيفَ أصبَحْتَ يا حارِثَةُ؟ ...»
		«لا أُحْصِي ثَناءً عَليكِ، أنتِ كَما أثْنيتَ على نَفسِكَ»
٢٠٢		«لا تَغْضَبْ»
١١٠		«لا تَقومُ السَّاعَةُ حَتى لا يُقالَ في الأَرْضِ: اللهُ اللهُ»
١٥٦	أنس	«لا يَجْتَمَعانِ في قلبِ عبِدٍ مُؤمِنٍ في مِثْلِ ...»
١٤٣	أنس بن مالك	«لا يَزالُ اللهُ في حاجَةِ العَبْدِ ما دام ...»
١٣٧		«لا يَزالُ لسانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللهِ»
١٥٨	عبد الله بن بشر	«لا يَعلِمْهُ إِلاَّ العَلماءُ باللهِ»
١٢٠	أبو هريرة	«لا يَموتُ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ حَسَنُ الظَّنِّ باللهِ ﷻ»
١٤١		«لأنَّ أَجسِدَ مَعَ قومٍ يَذْكُرُونَ اللهُ مِن غَدوَةٍ إلى ...»
١٥٤	أنس	«لكلِّ شَيءٍ مَعَدِنٌ، وَمَعَدِنُ التَّقوى ...»
١٧٢	عمر بن الخطاب	

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
٥٢		«لن يدخلَ أحدٌ منكم الجنةَ بعملِهِ»
٨٨		«لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكلِهِ ...
١٤٦	عمر بن الخطاب	«لو توكلتُم على الله حقَّ توكلِهِ لَرَزَقَكُم ...
٦٢		«لو خَشَعَ قلبُهُ لَخَشَعَت جوارحُهُ»
٥٢		«لو لم تكونوا تُدنيونَ لَخَشِيتُ عليكم ما هو ...
٢٩		«ما بال أقوامٍ يقولون كذا وكذا»
٦١		«ما تَقَرَّبَ إليَّ المُتَقَرِّبونَ بِمِثْلِ أَدَاءٍ ...
		«ما تَقَرَّبَ إليَّ عبدٌ بشيءٍ أَحَبَّ إليَّ ممَّا افترضتُ
١٧٠	ابن عباس	عليه ...
١٤٣	ابن ثوبان	«ما يسرُّني هذه الآية الدنيا وما فيها ...
١٧٢		«معرفةً بالقلب، وإقراراً باللسان ...
١٨٢	عائشة	«مَنْ آتَرَ حُبَّةَ اللَّهِ على حُبَّةِ الناسِ ...
٢١١		«مَنْ أخلصَ لله العبادَةَ أربعينَ صباحًا ...
٢٠٢	أنس بن مالك	«مَنْ أصبحَ وهَمَّتْهُ غيرُ اللَّهِ فليس مِنَ اللَّهِ بشيءٍ ...
١٦٥		«مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ منه ذِرَاعًا»
٢٠٣		«مَنْ جَعَلَ الهَمَّ هَمًّا واحداً ...
١٣		«من دعا إلى هُدًى كان له كأجرٍ مَنْ عَمِلَ به ...
٩٤		«مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ به ...
١٥٤		«مَنْ عَجَزَ منكم عن الليل أن يكابده ...
٣٥		«من يُردُّ اللَّهُ به خيراً يُفَقِّهُهُ في الدين»
٨٠	معاذ	«هل يَكُوبُ الناسَ على مَنَاحِرِهِم في نارِ جَهَنَّمَ إلا ...
		«والذي نَفْسِي بيده لا يَسْتَقِيمُ إيمانُ الرَّجُلِ
١٤٨	أنس	حتى ...

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
٩١، ٤١		«والله إنِّي لأَعْرِفُكُمْ بالله وأشدُّكم خوفًا منه»
١٧٣		
٣٥	سهل بن سعد	«والله لأنَّ يَهْدِيَّ اللهُ بكَ رجلاً واحداً ...
١٦٠		«وإنَّ تقربَ منِّي شبرًا تقربتُ إليه ذراعًا»
		«وهل يكبُّ الناسَ على مناخرهم في نارِ
١٠٠		جهنمِ إلا ...
١٦٣		«يا أنجشة، رويدك، رفقًا بالقوارير»
١٥٣	جابر بن عبد الله	«يا أيها الناسُ ارتعوا في رياضِ الجنة»
١٤٦	جابر	«يا أيها الناسُ إنَّ أحدكم لن يموتَ حتى ...
١٦٥	ابن عباس	«يا غلام، ألا أعلمك كلماتٍ ينفعك اللهُ بهنَّ»
٩٤		«يُجاءُ يومَ القيامةِ بـصُحفٍ مُحْتَمَةٍ ...
		«يدخلُ فقراءُ أمتي الجنةَ قبلَ أغنيائهم بنصفِ
٥٦		يوم ...
١٥٩		«يفضل - أو يضاعف - الذكر الحفي ...
١٣٤	أنس	«يُوفِّقه لعملٍ صالحٍ قبلَ الموتِ»

كشاف المصطلحات والمقامات والأحوال

المصطلحات

١٠٥	الوقت
١٠٦	المقام
١٠٦	الحال
١٠٨	الخاطر
١٠٨	الوارد
١٠٩	الشاهد
١٠٩	النَّفْس
١١١	النَّفْس
١١٠	الروح
١١١	السرّ
١١٢	الغلبة

المقامات والأحوال

١٦٩	القرب	١٣٩	الخشوع	١٢٧	الانتباه
١٧٠	المعرفة	١٤٠	الخوف	١٢٧	التوبة
١٧٨	المُكاشَفة	١٤٣	الرجاء	١٢٩	الإِنابة
١٨١	المحبة	١٤٥	التوكل	١٢٩	المُجاهدة
١٨٦	العَيرة	١٤٧	الاستقامة	١٣١	الورع
١٨٨	المشاهدة	١٤٩	الخُلُق	١٣٢	الزهد
١٩١	القبض والبسط	١٥١	الدُّكر	١٣٣	الإرادة
١٩٣	الفناء والبقاء	١٦٢	السماع	١٣٦	المراقبة
١٩٨	التوحيد	١٦٥	الأنس	١٣٦	الفتوة
٢٠٣	الجمع والتفرقة	١٦٧	العِلم	١٣٧	الصدق

كشاف الأعلام

الصفحة	اسم العلم
٥٣	إبراهيم الخوّاص
٧٥	إبراهيم الطباطبائي
مقدمة ١٥ ، ١٧	إبراهيم بن أبي بكر الزعبي
١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢١٠ ، ٢٢٢	إبراهيم بن أدهم
١٩٧	إبراهيم بن شيبان
مقدمة ٩	إبراهيم بن محمّد بن عبد الرحمن الهروي
١٩	إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهان (ابن المرأة)
٧٦	ابن المبارك
٢٤٢	ابن سيرين
١٨٢ ، ١٨١ ، ١٢٣ ، ٦٤	ابن عباس
١٩٢ ، ١٩٥ ، ٢٠٠	
٢٤٢ ، ٢١٢	
١٧	ابن فهد الهاشمي
١٧١ ، ١٠٠	ابن مسعود
١٩	ابن مطرف الأعمى
١٧٣	أحمد بن عاصم الأنطاكي
مقدمة ١٧	أحمد بن المقرّب بن سلمة الأموي
٧٦	أحمد بن سهل
مقدمة ٩ ، ٧٩	أحمد بن علي

الصفحة	اسم العلم
مقدمة ١٧	إسماعيل بن أحمد العراقي
مقدمة ٩، ١٢٣	أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي
١٥١	أشجّ عبد القيس
١٦٦	الأصمعي
٣٥	أبو أمّامة الباهليّ صُدّيّ بن عَجَلانَ
٩٤، ١٤٣، ١٤٦، ١٨٢،	أنسُ بن مالك
٢٠٢	
٦٨	بشرُّ بن الحارث الحافي
١٧٥	أبو بكر
٦٠، ٣٠	أبو بكر الطُّمستاني
١٣٤، ١٥٠	أبو بكر الكتّاني
١٣٥، ١٣٧، ٢١٦	أبو بكر الورّاق
١٥٨	أبو بكر بن فُورك
١٧٣	أبو بكر محمّد بن الحسين الحتّامي
٣٠	أبو بكر محمد بن عبد العزيز المَروزي
٣٠	أبو بكر محمّد بن موسى
مقدمة ٥ و ٨	أبو بكر محمد بن عليّ الغازي المُطّوعي
١٧١	أبو تُراب
٢١٨	أبو تميم المغربي
١٤٣، ١٤٨، ٢١٣	ثوبان
٤١، ٢١٤، ٢٢٢	الثوري
١٤٩، ١٥٣	جابر بن عبد الله
١٨٠	أبو جعفر الحدّاد
١٧٦	جعفر الصادق
١٩١	جعفر بن محمّد الخُلدي

الصفحة	اسم العلم
١١٥ ، ١٠٧ ، ١٠٣ ، ٩٥	الجُنَيْد
١٣٢ ، ١٢٩ ، ١٢١	
١٦٣ ، ١٥٥ ، ١٣٧	
١٧٦ ، ١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٦٤	
١٨٩ ، ١٨٥ ، ١٨٨	
٢٠٠ ، ١٩١ ، ١٩٠	
٢٠٥ ، ٢٠١	
١٩٠	حاتم
١٣٦	حذيفة بن قتادة المرعشي
مقدمة ١٥	الحسن ابن الزُّيَيْدِي
مقدمة ١٩	أبو الحسن الشَّشْتَرِي
مقدمة ١٥ و ١٧	أبو الحسن بن البناء
١٦٨	الحسن بن علي
١٤٦	أبو الحسن مُحَمَّد بن أحمد الفارسي
٢٣٥ ، ٢١٨ ، ١٧١ ، ١٦٤	أبو الحسين الثُّورِي
١٣٧	الحسين بن أحمد الثقفي
مقدمة ١٩ ، ١٨٠	الحسين بن منصور الحَلَّاج
٢٠١	الحصري
٦٢	أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد
١٦٠	حمّاد المَكِّي
١٣٤	حميد الساعدي
١٣٧	أبو الحوراء
مقدمة ١٩	أبو حَيَّان الأندلسي
١٣٣ ، ١٣١ ، ١٠٢	الداراني
١٣٣ ، ٧٢ ، ٧١	أبو الدرداء

الصفحة	اسم العلم
٢٢٢	الدينوري أبو العباس الأسود
١٦٤ ، ١٥٦ ، ٤٧	ذو النُّون المصري
١٨٢	رافع بن خديج
٢١٠	الربيع بن خُثَيْم
١٦٥	رُوم
١٨٩	زيد السُّلمي
١٨٩	زيد بن أرقم
مقدمة ١٧	أبو السعادات عبد الله بن عمر البَنْدَنِيْجِي
٢٠٩ ، ١٧٩ ، ١٥٠ ، ٨٠	أبو سعيد الخُدْرِي
٢٠٠ ، ١٩٧ ، ١٥٥	أبو سعيد الخِرَاز
١٢٠	سعيد بن المُسَيَّب
١٥٣	سعيد بن مالك
٢١٤ ، ٤١	سفيان الثوري
١٤٧	سفيان بن عبد الله الثقفِي
١٣١ ، ١٠٢	أبو سليمان الداراني
مقدمة ١٥ و ١٧ و ٢٢	الشُّهْرَوْرْدِيّ شهاب الدين
مقدمة ٨ ، ٦٢	الشُّهْرَوْرْدِيّ ضياء الدين أبو النَّجِيب
١٣٣	سهل بن ربيعة
٣٥	سهل بن سعد
١٩ ، ٤٦ ، ١٢٨ ، ١٤٧	سهل بن عبد الله
١٤٩ ، ١٦٣ ، ١٧٤	
٢٢٠ ، ١٩٠	
١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٤٥	
١٨٠ ، ١٦٧	شَناه الكِرْمَانِي

الصفحة	اسم العلم
١٣٤ ، ١٤٩ ، ١٦٧ ،	الشَّبْلِي
١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ،	
١٨٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠	
١٩ ، ١٥١	شَقِيقِ الْبَلْخِي
مقدمة ١٩	الصَّفِيفِي
٩٣	الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسِ الْفَهْرِيِّ
٢١٦	أَبُو طَالِبِ الْمَكِّيِّ
مقدمة ١٧	أَبُو طَالِبِ عَبْدِ الْمُحْسَنِ بْنِ أَبِي الْعَمِيدِ الْخَفِيفِيِّ
٧٥	الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ
١٧٦ ، ١٠٤	أَبُو الْعَبَّاسِ بْنِ عَطَاءِ
مقدمة ١٩	عَبْدُ الْحَقِّ بْنِ سَبْعِينَ
٢١٣	عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ ثَوْبَانَ
مقدمة ٨ ، ٣٣	أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ السُّلَمِيِّ
٤٧	أَبُو عَبْدِ اللَّهِ السَّجْزِيِّ
مقدمة ١٩	أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشُّوْذِيِّ
مقدمة ١٠ ، ٨ ، ٢٤	أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ
مقدمة ١٩	أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْلَى الْمُتَأَمِّرِ بِلُورِقَةَ
١٥٨	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ بَشْرِ الْمَازِنِيِّ
١٤٥	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ خَفِيفِ
٢١٠	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ دَاوُدَ
مقدمة ١٧ ، ٣٦ ، ١٥٩ ،	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو
٢٠٩	
٧٣ ، ١٣٠	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ
١٤٠ ، ١٣٩ ، ٧١ ، ٣٦	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودِ
٧٥ ، ٣٥	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَعَاوِيَةَ

الصفحة	اسم العلم
مقدمة ١٩	أبو عبد الله بن عربي الطائفي
١٠٧ ، ٩٦ ، ٥٢	أبو عثمان الحيري
٢٢٤ ، ١٨٧ ، ١٤٤ ، ١٣٢	أبو عثمان المغربي
٢١٤ ، ١٥٩	عروة
مقدمة ١٩	العفيف التلمساني
مقدمة ٢٣	علم الدين البرزالي
١٠٥ ، ١٣١ ، ١٤٨	أبو علي الدقاق
٢٠٥ ، ١٥٥	أبو علي الروذباري
٢٠٥ ، ١٣٤	علي بن أبي طالب
١٧٢ ، ١٢٥ ، ٨٠ ، ٣٥	علي بن سهل بن الأزهر الأصبهاني
١٥٩	أبو عمر الأنماطي
٢٢٣	عمر بن الخطّاب
١٧٢ ، ١٥٥ ، ١٤٦ ، ٨٨	عمر بن علي بن الفارض
مقدمة ١٩	عمرو بن عثمان المكي
مقدمة ٨ ، ٦٢ ، ١٤٢	أبو عمرو بن نُجَيْد
٥٣	فارس
٢٠٠ ، ١٩٣ ، ١٧٣ ، ١١٥	فضالة بن عبيد
١٢٩	فضل الله بن عبد الرازق الجيلي
مقدمة ١٧	الفضيل بن عياض
٢١٠ ، ٩٥ ، ١٩	أبو القاسم الشَّهْروردِي
مقدمة ١٥	أبو القاسم عبد الكريم بن هُوَازِن القُشَيْرِي
مقدمة ٨ ، ٣٣	مجاهد
١٥٢	المحاسبِي الحارث بن أسد
١٥٠ ، ٦٢	أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الهروي
مقدمة ٩	

الصفحة	اسم العلم
مقدمة ١٠ ، ١٢٣	أبو محمّد إسحاق بن أحمد بن الفرات السرخسي الشافعي
٤٨	محمد بن أبي الورد
مقدمة ١٥	محمّد بن أحمد بن علي بن محمّد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن الميمون القيسي التُّوزري القسطلاني
١٧١	محمد بن الفضل
١٣٥ ، ١٤٥	محمد بن المبارك الصُّوري
١٦٦	محمّد بن النضر
٢١٦	محمّد بن حامد
١٩٢	محمّد بن خفيف
٢٢٢	محمّد بن عبد الله (عمويه)
مقدمة ١٢ ، ٢٢٨	محمّد بن قيباز بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن رضوان الشافعي السعودي
١٩٩	محمد بن موسى الواسطي
مقدمة ١٥	محمد بن نصر بن الحصري
٤١	أبو مسلم الخَوْلاني
١٥٤ ، ١٠٠ ، ٩٥	معاذ
مقدمة ١٧	موهوب بن أحمد الجواليقي
مقدمة ١٦	ناصر الدين أبو علي شاور طرخان (ابن النقيب)
١٥٤	نُبَيْط بن شَرِيط
مقدمة ١٧	نجم الدين بشير بن حامد التبريزي
مقدمة ٨ ، ٣٣	أبو نصر عبد الله بن محمّد السراج
١٧٣	النصر اباذي

الصفحة	اسم العلم
١٢٠ ، ٦٢ ، ٥٦ ، ٣٥	أبو هريرة
١٤٩ ، ١٣١ ، ١٢٤	
١٧٠ ، ١٦٠ ، ١٥٣	
١٨٦ ، ١٨١	
مقدمة ١٥	يحيى بن القميرة
١٧٢ ، ١٤١ ، ١٣٥ ، ٤٦	يحيى بن معاذ
١٨٣	أبو يزيد السطامي
١٩٧	أبو يعقوب النهرجوري
١٣٦	يوسف بن أسباط
٥٢	يوسف بن الحسين

كشّاف الأشعار

(الهمزة)

صفحة	القافية
٧٦	أعـــــــــدائي
٧٦	وعنـــــــــائي

(الدال)

صفحة	القافية
مقدمة ١٣	بـــــــــالورد
مقدمة ١٣	والطـــــــــرد

(الراء)

صفحة	القافية
مقدمة ١٦	الــــديار
٧٩	صــــابِرُ
١٨٧	غــــيـورُ
مقدمة ١٦	الكبــــار
مقدمة ١٦	المــــدار
٩٢	مــــنَ الســــفــــرِ
٧٩	المــــناظــــرُ

(العين)

صفحة	القافية
٧٥	وأوجــــاعي
٧٥	أضــــلاعي

(الفاء)

صفحة	القافية
٩	تَعْرِفُ
٩	مُنْصَفُ

(القاف)

صفحة	القافية
٨٢	بِالْمَنْطِقِ

(اللام)

صفحة	القافية
١٧٦	أَرْفُلِ
١٧٦	أَنْقُلِ
٨١	الرَّجُلِ
٨١	على مهلِ

(الهاء)

صفحة	القافية
٧٢	أســــــــــــــــمه
٨١	برأســــــــــــــــه
٢٦	جنســــــــــــــــه
٧٢	فيهاــــــــــــــــا
٢٦	قدســــــــــــــــه
٢٦	لنفســــــــــــــــه
٧٢	يصــــــــــــــــطفيها
٨٠	المشــــــــــــــــتبه
٨٠	النُّطْقِ به
٧	نساءــــــــــــــــها

(الياء)

صفحة	القافية
١٢٠	الخصــــــــــــــــوصيُّ
٧٥	راضــــــــــــــــيا

صفحة	القافية
١٢٠	رُبُّـوِيُّ
٧٥	المسـاويـا

Bibliografische Information der Deutschen Bibliothek

Die Deutsche Bibliothek verzeichnet diese Publikation in der Deutschen Nationalbibliografie; detaillierte bibliografische Daten sind im Internet über <https://portal.d-nb.de> abrufbar

Für den nichtarabischen Raum: Klaus Schwarz Verlag Berlin

ISBN 978-3-87997-698-0



Für den arabischen Raum: Dar al-Farabi Beirut

ISBN 978-614-432-469-1



© 2015 Orient-Institut Beirut (Max Weber Stiftung)

Das Werk einschließlich aller seiner Teile ist urheberrechtlich geschützt. Jede Verwertung des Werkes außerhalb des Urheberrechtsgesetzes bedarf der Zustimmung des Orient-Institut Beirut. Dies gilt insbesondere für Vervielfältigungen jeder Art, Übersetzungen, Mikroverfilmungen sowie für die Einspeicherung in elektronische Systeme. Gedruckt mit Unterstützung des Orient-Institut Beirut in der Max Weber Stiftung – Deutsche Geisteswissenschaftliche Institute im Ausland – aus Mitteln des Bundesministeriums für Bildung und Forschung.

Druck: Dergham
Gedruckt im Libanon

IQTIDĀ' AL-GHĀFIL BI-HTIDĀ' AL-ĀQIL

Quṭb al-Dīn Muḥammad b. Aḥmad

b. ʿAli al-Qaṣṭallānī

614-686 H.

1218-1287 AD.

EDITED WITH INTRODUCTION BY
AHMED GOMAA ʿABD AL-HAMID

REVISION BY
THE ORIENT-INSTITUT BEIRUT

BEIRUT 2015



IN KOMMISSION BEI
KLAUS SCHWARZ VERLAG BERLIN

BIBLIOTHECA ISLAMICA
GEGRÜNDET VON HELLMUT RITTER

HERAUSGEGEBEN VOM
ORIENT-INSTITUT BEIRUT

BAND 54

IQTIDĀ' AL-GHĀFIL BI-HTIDĀ' AL-ĀQIL

